

أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديموقراطية

٢٠٠٢ - العدد ٢٠٨

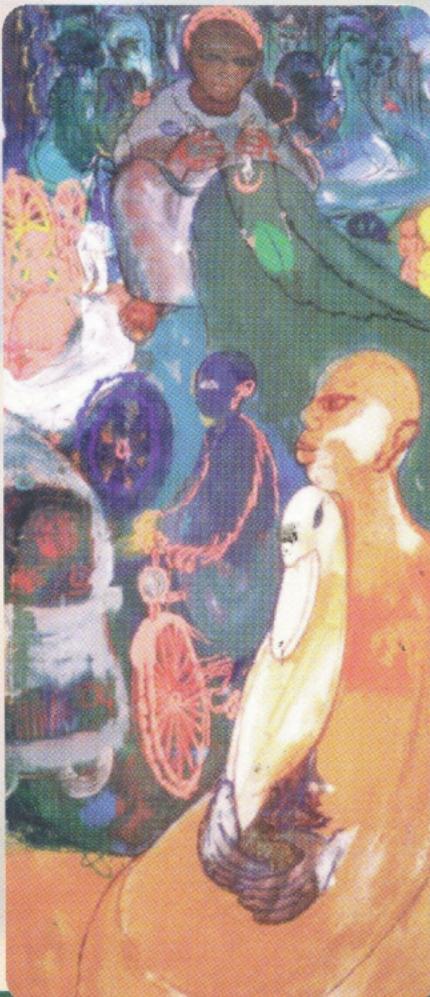
تشو مسكي.. سيادة الشركات.. عبودية البشر

مهرجان برلين
للأدب العالمي

الفلكلور..

والنهر المقدس

سان



العالم.. المصادفة
والنقد الجدل

خالد سعود الزيد
.. سيرة مشقى

الحص



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديموقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الثامنة عشر العدد ٢٠٨ / ديسمبر ٢٠٠٢

رئيس مجلس الادارة: د. رفعت السعيد

رئيس التحرير: فريدة النقاش

مجلس التحرير : إبراهيم أصلان

د. صلاح السروي / طلعت الشايب

د. على مبروك / غادة نبيل

كمال رمزي / ماجد يوسف

حلمى سالم / مصطفى عبادة

على عوض الله كرار

المراسلات: مجلة [أدب ونقد] ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب /الأهالى
القاهرة / هاتف ٢٨١٢٢٧ / ٥٧٩١٢٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المستشارون

د. الطاهر مكي / د. أمينة رشيد
صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس

شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون
د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر
محمد روميش / ملك عبد العزيز

أعمال الصف والتوضيب
نسرين سعيد إبراهيم

الغلاف
أحمد السجيني

تصحيح: أبو السعود على سعد
لوحة الغلاف الأمامي: الفنان فرغلى عبد الحفيظ
رسوم الديوان الصغير: الفنان سيف وائل
الاشتراكات لمدة عام
باسم الأهالي / مجلة [آدب ونقد]: داخل مصر ٥ جنيها
البلاد العربية ٥ دولارات / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

الطباعة

شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدي أو البريد الإلكتروني:

adabwanaqd@yahoo.com

موقع [آدب ونقد] على الانترنت: adabwanaqd.4t.com

ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن عشر
صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة

محتويات العدد

• أول الكتابة المحررة.....	٥
• سيادة الشركات ... عبودية البشر ت: ناعوم تشومسكي / ترجمة غادة نبيل / فكر	١١
- الديوان الصغير / الحصان / رواية / تأليف سيمون فريدر ستاندر / ترجمة بدر الرفاعي	٢٥
٦١ إبرار الخراط	٦١
• الفلكلور والنص المقدس / سيد إسماعيل ضيف الله / دراسة	٦٨
• العالم والمصادفة والنقد الجدل / مقال سامح الموجى	٨١
• خالد سعود سعود الزيد .. سيرة مثقف / ذكري عباس الحداد	٨٧
• الأدب الأذربيجاني في الدراسات العربية / مقال د. إمام وردى حميدوف	٩٩
• مياه الشهاوى فى أصابعه / قوس قزح حلمى سالم	١٠٤
• أسبوع الفيلم الالمانى / رسالة محمد عبد العظيم على	١٠٨
• حلمى سالم .. البولع بفك الحصار / ندوة نجوى على	١١١
• عصفور غريب / شعر محمد البرغوثى	١١٥
• الفنانة فاطمة مذكر / حوار أحمد الشريف	١١٧
• خضة الموت / تحية أحمد أبو خنيجر	١٢١
• قصيدتان / شعر صلاح جاد	١٢٤
• نفحة / قصة حنان سعيد	١٢٦
• على مرمى الحاسة / شعر عاطف عبد العزيز	١٣٠
• عدوة مصرية / شعر عبد المجرى	١٣٣
• أصابع صغيرة لها بهاء الحصرم / قصة عماد أبو زيد	١٣٥
• قولى لهم / شعر عارف البرييسى	١٣٧
• كتب / التحرير	١٣٩
* تواصل / التحرير	١٤٣
• من هو المثقف على عوض الله كرار	١٤٤

فرغلى عبد الحفيظ هنان مصرى معاصر له عديد من المعارض داخل مصر وخارجها وأيضاً مقتنيات من أعماله في أماكن مختلفة . له أسلوب خاص جداً ، سواء في استخدامه للألوان أو مفردات الحياة.



أول الكتابة

فريدة النقاش

فى فيلم «البحث عن سيد مرزوق» لداود عبد السيد «مشهد قصير لكنه عبقى فى بلاغته لسجين أثقل قيد محكم معصمه وأعيته الحيل حتى يتخلص منه دون جدوى وحين جاء سجانه ليفك القيد بعد إطلاق سراحه قال له خم أصابعك إلى بعضها البعض جيدا .. هكذا .. وقام السجان بضمها وكان أن سقط القيد.

أتذكر هذا المشهد كثيرا خاصة كلما تراجعت وبهت تلك الإجابات البديهية عن بعض الأسئلة الكبرى المطروحة على عصرنا من مثل كيف ستتجاوز البشرية مأزق النظام الرأسمالي القائم الذى تبرز فيه بشكل همجي تلك الجوانب الهدامة للرأسمالية وتتوارى جوانبها البناء أو سؤال آخر له طابع ملح وأنى وهو كيف يمكن أن نمنع الحرب ضد العراق بعمل جماعي متضاد وكفء.

فنحن نعرف أنه حين نشأ النظام الرأسمالى على امتداد القرون الخمسة الماضية محظما الإقطاع وأساليب إنتاجه وقيمه وثقافته كان قوة تقديرية إنتقلت بها البشرية إلى الأمام نحو حرية الفرد وحرية الإبداع وظهور العلم ووفرة الإنتاج وروح الحلق والتجديد أولى الحداثة بكل تجلياتها ويرغم المأسى التى صاحبت ولادة هذا النظام فإنه شكل طفرة كبيرة فى مسيرة المجتمع الإنسانى لأنه من رحم الرأسمالية ولدت الطبقة العاملة الصناعية التى حين تبلور وعيها بذاتها وبقدراتها الكامنة نما الفكر الاشتراكى العلمى وتأسست منظماته الكبرى على الصعيدين النظري والعملى لتغيير العالم وبناء عالم جديد كانت تتفتح وروده فى ظل التقدم المتواصل للعلم والنضال الإنساني معا .. فى ظل آلام وأشواق لاتحدوها حدود .. آلام على طريق العمل والأمل وأشواق تتخلق فى السعي المشترك من أجل إنسانية جديدة، وحياة وجدانية أكثر غنى يتحرر فيها البشر من الروح التفعية المبتذلة وهم يبنون روى جديدة وعالم داخلية متغامدة وقيمها جديدة أساسها الرحمة والتضامن والعدل والعطاء المتبادل، عيادها التسامح والودة لكنها جمیعا كانت سرعان ما تصطدم بمحدودية الأفق لنظام اجتماعى ظالم وإن كان قد نشأ على أنقاض نظام

سابق هو الإقطاع إلا أنه عجز عن تجاوز الأساس الأول الذي قام عليه هذا النظام السابق إلا وهو الاستغلال ، أي مراقبة الثروات لدى أفراد أو طبقات اجتماعية من جهد وعرق طبقات أخرى تعمل وتكمى على قيد الحياة بينما يكتن المالكين فائض عملهم.

بل إن البلدان الاستعمارية التي احتلت بلداناً أخرى ونهبت ثرواتها توسيع في مراقبة الفائض من ناتج عمل شعوب المستعمرات وخيراتها فحققت هذه المراكز الاستعمارية تقدماً هائلاً وأخذت الفجوة تتسع بينها وبين البلدان الفقيرة حتى بعد أن نجحت حركات التحرر الوطني في إزاحة الاستعمار القديم بصورة العسكرية وخلال قبضته الاقتصادية بمشروعاتها التحررية الطموحة للإنفلات من قبضة التبعية والسير على طريق التقدم الاجتماعي.

وشهدت بداية القرن العشرين حدثاً جلاً شكل في حينه قطعاً في مسيرة الرأسمالية المتتصرة التي أمتد نظامها ليشمل العالم كله تمثل في إنتصار أول ثورة اشتراكية حين خرجت روسيا القيصرية من قبضة رأسمالية مختلفة وأنشأت نظاماً إجتماعياً جديداً طامحاً لتصفية الاستغلال والتبعية حاملاً للإنسانية كلها أملاً خفافة ووعوداً بالتحرر الشامل حين كان حليناً نزيهاً لحركة التحرر الوطني ضد الاستعمار وحركة التقدم الاجتماعي في البلدان المستقلة حيثما من أجل تصفية العلاقات القديمة وبناء علاقات جديدة أساسها العدل والمساواة بعد أن ارتفعت أعلام الاشتراكية على بلدان يزيد عدد سكانها على نصف سكان المعمورة خاصة حين أُنجزت الصين الشعبية ثورتها الاشتراكية في منتصف القرن العشرين وجاءت بما يزيد على نصف فلاح العالم إلى معركة التحرر وإسقاط أغلال العبودية، وقام تحالف متين بين روسيا البلاشفية والصين الشعبية في مواجهة الإمبريالية التي كانت تزداد توحشاً مع قوة الضربات التي وجهتها لها الشعوب لكن هذا التحالف المتنين سرعان ما تقوض وترابع، هذه الاجابة الدينيه عن واحد من أسئلة العصر الكبرى: كيف تتجاوز الرأسمالية ، وترهت الأصابع المضمومة إلى بعضها البعض لكسر الأغلال .. وأحكمت الأغلال قبضتها من جديد .

وكان أن سقطت التجربة الاشتراكية الأولى في مسلسل من الانهيارات نعرف كل تفاصيله الفاجعة ، ومع هذا السقوط التراجيدي انتشرت على نطاق واسع فكرة أنه لا بديل للنظام الرأسمالي ، وإنرتبطت الفكرة بالروح العدمية اليائسة وبشاشكان لاحصر لها خلقتها الرأسمالية الإمبريالية للتحكم والضبط الاجتماعي بعد أن طفي جانبها الهدام على توجهها الخلاق ، بعد أن انهارت القوة التي كانت بما لها وما عليها ترفع شعارات العدالة والمساواة والحرية والتضامن وتزرع في وعي البشرية فكرة أن هناك بدلاً اشتراكياً للنظام الرأسمالي ، وأن هناك صورة أخرى ممكنة للعالم.. وأنه «لسه الأغاني ممكنة» على حد تعبير الشاعرة كوثر مصطفى ، وأن تضامن البشر وسعدهم المشترك يمكن أن يجتاز المعجزات.

ومع هذا السقوط تهياً البشر لتقبل أوضاعهم مهما كانت يائسة ومزبورة ، فلا طريق للخروج مما هم فيه ، كل الأبواب مغلقة ومستعصية على الفتح خاصة أن النظام الرأسمالي الاحتكاري انقض بوحشية على منجزات دولة الرفاه الاجتماعي التي كانت ثمرة تفاعل عنصرين بالغى القوة هما نضال الطبقة العاملة والكافحين في صور الأحزاب الاشتراكية والنقابات في بلدان العالم الرأسمالي المتقدم من جهة ، وما كانت التجربة الاشتراكية تتحقق على مستوى الرفاه الاجتماعي في كل من الاتحاد السوفيتي وبيلاروسيا الشرقية والصين من جهة أخرى .

وكانت هذه التجربة تشكل تحدياً حقيقياً للنظام الرأسمالي وهي تبني البديل وتفتح الباب لإمكانية تجاوزه . والبناء على قيمه الإيجابية . وكانت جرعة الاتحاد السوفياتي للدخول في منافسة في ميدان تقديم التسلیع مع أمريكا هي بداية الانهيار الحقيقي لدولة الرفاه الاشتراكية التي بنتهَا ثورة أكتوبر ١٩١٧ . هذه خطوط عامة لبحث يحتاج لمزيد من الدقة عن كيفية الاطاحة سواء في الواقع أم في وعي البشر بفكرة البديل إطاحة تستهدف القبول بالأمر الواقع كما هو ولتنبئ أرجلنا وعقولنا مزروعة في أحواله ونحن عاجزون عن التحليق . عن الحلم من ممارسة الأمل .

وبهيمنة الرأسمالية على العالم كله شماله وجنوبه وشرقه وغربه .. ويزو قوة عسكرية عظمى واحدة تمارس البطلجة جهارا نهارا هي أمريكا في غياب رادع طالما متن الاتحاد السوفيتى في زمن سابق جنبا إلى جنب سيطرة المؤسسات المالية العالمية. وهي أذرعة العولمة الرأسمالية من صندوق النقد الدولى للبنك الدولى إلى منظمة التجارة العالمية وهى محمية كلها بالذراع العسكرى الذى يمثله حلف الأطلنطى وقد أخذ يبتلع دول أوروبا واحدة بعد الأخرى تلتقت الحركة الاشتراكية وهى البديل الأكثر جذرية للنظام الرأسمالى ضربات قاسية فى كل مكان حتى أن الحريات العامة والحقوق الديمocratية التى هي مفخرة النظام الرأسمالى رغم أنها حصيلة ثمينات ميررة للطبقات الكافية أخذت تتراجع وتشهد أمريكا التي هي معقل أساسى لهذه الحريات والحقوق محارات الادارة الجمهورية اليمينية العوانية للاتتقاص من الحريات تماما كما تنتقص من الحقوق الاجتماعية للشعب الأمريكي لكن تراكم كل من شركات السلاح وشركات النفط أرياها فلكلية ولو كان ذلك من دماء الشعوب وبإشعاع حرب ضد العراق تجمع البشرية- إلا أقلية ضئيلة- على رفضها وضرورة تجنبها ولكن تواجهها هذه الحالة العدمية التي خلقتها رأسمالية وحشية مزدهرة بنصرها والتى تقول إنه لا يوجد بدile.

ما تقرأونه الأن في هذه الافتتاحية هو حكاية أخرى أو جانب آخر للحكاية الدامية التي يحكيها لنا المفكر الأمريكي التقدمي النزيه هفوم ثوموسكي في الفصل الذي اخترباه لكم من كتابه الجديد «الدول المارقة» وترجمته الزميلة العزيزة غادة نبيل، وحتى يستقر في الوعي

الجمعي للشعوب والقادحين عامة أنه لا توجد بدائل لبرامج الرأسمالية المتوجهة والعولمة التي تحكم هن فيها «تقديم أدبيات صناعة العلاقات العامة في القرن العشرين مخزوناً غنياً وإرشادياً من المعلومات عن كيفية زرع روح العصرية الجديدة ، وذلك بخلق مطالب مصطنعة ، أو بتسخير عقل الجماهير في كتاب خاضعة للنظام تماماً وبإدخال فلسفة اللاجدوى وانعدام الهدف في الحياة وتركيز الانتباه الإنساني على الأشياء الأكثر سطحية التي تشكل أكثر أنماط الاستهلاك عصرية ، وذلك حتى ينسى الناس الأفكار المتمردة ، أو «المخبية» كما يصفها النظام». ورغم هذا الوجود الثقيل للعولمة الرأسمالية التي تدمر الأمل يصنع البشر أملاً .. ويحملون بالبدائل بل يتوجهون بمساره لصنفها في مواجهة هذا الوحش الدامي الكفيف والقديم لا فحسب في شكل الحركة العالمية المتآمرة لبناء عولة بديلة قائمة على التضامن والمساواة وإعادة توزيع ثروات الكوكب على أساس عادل، بل يحرزن في بلدان كثيرة أيضاً انتصارات يومية ملموسة تتجلى بصورة مفرحة في أمريكا اللاتينية وفي انتخابات الرئاسة في بلدان مجربيين حيث فاز في كل من «فنزويلا» و«البرازيل» رؤساء جمهوريات من الاشتراكيين الحقيقيين المنحدرين من أصول عمالية مناضلة حيث تتفتح الآفاق على الأمل .. ويتحقق البديل .. رغم أنف الرأسمالية المتوجهة وشركاتها وبورصاتها.

المقدمة

• في العدد القادم •

• قصص من إيران : مختارات من مريم جمشيدى

• النقاد تجاهلوا الرافعى

• الطيب صالح والهجوم على الأدب المفارق

• قصص لـ إدوار الخراط ، موسى نجيب موسى ، عاطف سليمان.

أحمد السعدنى

• قصائد لـ :



إذا ماتوا .. انتبهوا

محدثة مني

.. بالمتاحيل	١- حرية الاختيار (إلى الاسماعيلية)
ساعتها بس	كل البيوت اللي كانت هنا
كان الرمل شايل الشجر	سابت .. مسافة
وبيزحف .. ف اتجاهنا	شموها ..
والسلك ..	(حرية ..
بيجري بالعصافير	.. الاختيار)
ساعتها بس	الدبابات ..
كتشك الشاي	.. والبحر
لي ف ضهر مديرية الإسكان	كانوا عارفين الحقيقة
بس على الرجال	لما خرجننا عليهم
لي كان بيسقى الجنينة	

عنف .. ومحبة	ورغب ..
أظاهـر	.. بالدموع
أنهم بطلوا عنف ومحبة	
حتى ماعدش حد فيهم .. بيضرب	٢- وجـاـيز .. مش أنا
عشان حد تاني .. يقف لحظة يقول ..	جاـيز أكون
(الاحول ولاقيـة إلا بالـله)	ماشيـ فـ مدـيـنة
وـمع إنـ الشـارـعـ مـليـانـ	خطـفـهاـ الجنـ
وـأـنـاـ لـوحـدىـ ..	ـوحـفـتـ .. عـلـىـ القـلـبـ لـحظـةـ
الـلـىـ طـالـعـ المـطـلـعـ	جاـيز
ماـحدـشـ لـاحـظـ غـيرـىـ	أـكونـ خـفتـ
(ـ الرـاجـلـ ..)	ـوهـربـتـ عـلـىـ الرـصـيفـ التـانـىـ
الـلـىـ كـانـ بـيـزـقـ الـستـ	ـمـنـ وـشـ كـتـتـ أـعـرفـهـ
ـعـلـىـ الـكـرـسـيـ اـمـيـارـحـ ..	ـرأـسـتـلـفـ مـعـرـشـ
ـبـدـلـ .. وـيـاهـاـ .. الـمـنـتـرـ	ـبـمـارـدـهـوـشـ
ـأـظـاهـرـ ..	جاـيز
ـإـنـ الـأـلـانـ .. الـلـىـ بـتـنـزـلـ عـ الـجـلدـ بـسـرـعـهـ	أـكونـ
ـوـتـنـوـبـ فـ الزـحـمـ	ـقـوـلـتـ حـاجـةـ لـبـيـاعـ
ـبـتـرـغـلـ ..	ـوـمـاهـتـمـشـ
ـأـكـثـرـ الـكـرـيـاجـ ..	ـوـجـاـيزـ ..
.....	...
.....	...
....	يـكونـ
.	ـبـيـقـعـ .. عـلـىـ الـأـسـفـلـتـ شـنـ
ـوـالـمـطـلـعـ	...
ـمـاـيـبـتـمـيـشـ	ـوـمـاهـتـمـشـ

سيادة الشركات... عبودية البشر

ناعوم تشومسكي*
ترجمة: غادة نبيل

تأكدت عبر العام الماضي العديد من القضايا الكونية ضمن مفهوم السيادة أي ، حق الكيانات السياسية أن تختار مسارها - والذى يمكن أن يكون محموداً أو قبيحاً - وأن تفعل ذلك بحرية بدون تدخل خارجى .

وفي العالم الواقعي ، فإن ذلك يعني التدخل من جانب قوة شديدة التركيز ومركزها الرئيسي هو الولايات المتحدة.

وتوصف هذه القوة الكونية المركزية بأوصاف شتى وذلك بحسب أى جانب من جوانب السيادة والحرية يكون فى ذهن المرء وهو يصفها وبهذا فى أحياناً ما تسمى "باجماع واشنطن" أو "مجمع وول ستريت / الخزانة" ، أو حلف الناتو أو البيروقراطية الاقتصادية العالمية (منظمة التجارة العالمية ، البنك الدولى وصندوق النقد الدولى) أو ج - ٧ (أى

الدول الفنية السبعة الصناعية الغربية) أو ج - ٢ أو بدقة أكبر عادة ج - ١ وج هى إشارة إلى Great أي العظيم .

ومن جانب أكثر جواهرية يمكن لنا أن نصفها كمجموعة شركات عاملة عادة ماتكون مرتبطة ببعضها بتحولات استراتيجية وتثير اقتصاداً عالمياً والذى هو فى حقيقته نوع من الميراثية

المتحدة المشتركة تميل نحو حكم القلة فى معظم القطاعات وتعتمد بشدة على قوة الدولة لجعل المخاطرة والثمن ذات طابع اجتماعى وإلخضاع العناصر المقدرة أو غير المطرأة .

ثارت فى العام الماضى قضايا السيادة فى مجالين . أولهما له علاقة بالحق السياسى فى أن تكون (الدولة) أمنة من التدخل العسكري وهذا تولد أسلمة فى ظل النظام资料 الذى يقوم على

والمصالح الشعبية . لكن إطار العمل الواقع هو على العكس تماماً ذلك أن هذا الإطار يقوم على اعتبار الشعب عمداً خطراً ولابد من السيطرة عليه من أجل مصلحته !!!

وتعد هذه القضايا إلى قرون خلت ، إلى الثورات الديموقراطية الحديثة الأولى في إنجلترا في القرن السابع عشر وفي مستعمرات أمريكا الشمالية بعد ذلك بقرن .

وفي كلتا الحالتين ، تلقى الديمقراطيون هزيمة ، ليس نهائياً وبالتاكيد ليس في كل الحالات .

ففي إنجلترا القرن السابع عشر لم يكن أغلب السكان يريدون أن يحكمهم الملك أو البرلمان ولنتذكر أن الملك والبرلمان كانوا هما المتنافسين (التقليديين) في الصيغة المعتمدة من الحرب الأهلية ولكن ، كما في معظم الحروب الأهلية لم تكون النسبة الغالبة من السكان ترغب في الخضوع لاي منهما وكانت منتشراتهما صريحة في إعلانها أن الشعب يريد أن يحكمه أناس من الشعب يعرفون مطالبـه " وليس من قبل " فرسان ورجال يضعون لنا القوانين والتي يتم اختيارها للتخييف ولكنها تعمقنا بينما هم لا يعرفون " ألم الشعب .

وقد ألمت هذه الأفكار نفسها المزارعين الثوار في المستعمرات بعد ذلك بقرن ، لكن النظام الاستوري تم وضعه على نحو مخالف تماماً لتطورات الأطبالية فقد حرص على وقف تلك المهرطقة حيث كان الهدف هو " حماية الأقلية التراثية من الأغلبية " و ضمان أن تحكم الدولة من جانب أولئك الذين يملكونها .

لقد كانت تلك هي كلمات جيمس ماييسون الشخصية الرئيسية في وضع إطار المستور الأمريكي وجون جاي رئيس الكونجرس وأول وزير عدل في المحكمة العليا .

سيادة الدول . أما الثاني فهو مسألة حقوق السيادة في وجه التدخل الاجتماعي الاقتصادي .

وهنا تثور أسئلة عالم تسسيطر عليه الشركات متعددة الجنسيات وخاصة المؤسسات المالية وكل إطار العمل الذي تم تأسيسه لحماية مصالحها ، مثل القضايا التي ثارت على نحو درامي في المظاهرات المضادة لمنظمة التجارة العالمية في سياتل بأمريكا في نوفمبر من عام ١٩٩٩ .

ولكن دعونى أتجه إلى الموضوع الثاني وهو موضوع هذا الفصل أي : أسئلة السيادة والحرية وحقوق الإنسان التي تثور على الساحة الاجتماعية الاقتصادية .

أود أولاً أن أسوق تعليقاً عاماً : أن السيادة لا قيمة لها بذاتها إنما هي ذات قيمة فقط بالقدر الذي ترتبط به بالحرية والحقوق سواء بزيادة وتعظيم هذه القيم أو بالانتهاص منها وأريد كذلك أن أخذ كمسلمة شيئاً قد يبدو بديهياً ولكنه في الحقيقة مثار جدل فلدي الحديث عن الحريات والحقوق فإن ما يكمن حاضراً في أنفسنا هو البشر ،أشخاص من لحم ودم وليس بني سياسية وقانونية مجردة مثل الشركات أو الدول أو الأموال فإذا ما كان لهذه الكيانات أية حقوق على الإطلاق -

وهو أمر قابل للتساؤل - فإن هذه الحقوق يجب أن تتبع من حقوق الناس وهذا هو جوهر العقيدة الليبرالية الكلاسيكية كما أنه ظل المبدأ المرشد للنضالات الشعبية على مدى قرون ولو أنه يتعرض لمقاومة واسعة الآن سواء من قبل الأيديولوجية الرسمية أو من جانب دوائر الشروء والامتيازات ويصدق هذا على كل من المجالين السياسي والاجتماعي الاقتصادي .

المجال السياسي :
يظل الشعار المألوف في المجال السياسي هو " سيادة شعبية لحكومة من الشعب ، بالشعب

الديمقراطية» ينبغي مواجهتها حينذاك.

المجال الاجتماعي الاقتصادي

هناك شيء مشابه لهذا في المجال الاجتماعي والاقتصادي، لقد نشبت صراعات متوازية مع السياسي أو ذات صلة قوية بهذه المجموعات لمدة طويلة جداً في الأيام الأولى من الثورة الصناعية في الولايات المتحدة، في مقاطعة نيوجرلاند منذ ١٥٠ عاماً كانت هناك صحافة معاصرة شديدة الحرية تديرها نساء شابات فلاحات مع عمال من المدن.

وقد أدان هؤلاء «المهانة والخضوع» اللتين تميزان النظام الصناعي الصاعد حديثاً والذي

يسيطر الناس إلى تاجير أنفسهم لكي يعيشوا. وأنه لجذب بالذكر وبما من الصعب التذكر أن العمل المدفوع الأجر (العمل ياجر) كان لا يعتبر مختلفاً كثيراً عن العبوبية في ذلك الوقت وليس فقط من جانب عمال المطاحن بل وفي الاتجاه السائد للمجتمع مثلاً قال إبراهام لينكولن أو الحزب الجمهوري أو حتى الافتتحيات في التنيسيوروك تايمز (والتي ربما يفضلون أن ينسوها).

لقد كان العاملون يعارضون العودة إلى ما أسموه «المبادئ الملكية» في النظام الصناعي وطالبوه بأن يمتلك العاملون المطاحن التي يعملون فيها - روح الحزب الجمهوري وأدائوا ما أسموه «روح العصر الجديدة». اكتسب الثورة ولتس كل شيء مما ننسى» وهي رؤية دينية ومهنية للحياة الإنسانية يتحتم أن يتم نفعها في عقول الناس بجهد مضمن وهو - في حقيقة الحال لم يحدث منذ قرون.

وتقدم أدبيات صناعة العلاقات العامة في القرن العشرين مخزوناً غنياً وإرشادياً من

ولقد دام مفهومهما طويلاً غير أن الصراعات استمرت وتلك الصراعات عادة ما تأخذ أشكالاً جديدة كما أنها مازالت حية حتى وقتنا هذا ومع هذا فإن عقيدة النخبة الثورية لم تتغير في الأساس، وبالاتجاه السريع للقرن العشرين (سوف أظل هنا في الجانب الليبرالي التقديمي من الدائرة النظرية إذ أن الأمور هي أشد قسوة في الجانب الآخر)، حيث تنظر الأقلية الثورية للسكان على أنهم «غرباء جهلة ومتخلفون» ينحصر دورهم في أن يكونوا متفرجين وليس مشاركين. وذلك على الرغم من فرص بورصة للإختيار بين ممثلي السلطة الخاصة وهذا هو ما يعرف بالانتخابات.

وفي الانتخابات يتم اعتبار الرأي العام أساساً غير ذي بال إذا ما تعارض مع مطالب الأقلية الثورية التي تملك البلاد ونحن، في الحقيقة نرى هذا الان بوضوح. وأحد الأمثلة الصارخة (هناك العديد من الأمثلة) له علاقة بالنظام الاقتصادي العالمي - أو ما يسمى اتفاقيات التجارة، إن الناس إجمالاً وبكما تظهر نتائج الانتخابات يوضحون معارضين بشدة لما يحدث لكن القضايا لا تثار في الانتخابات لأن مراكز القوة - الأقلية الغنية - موحدة في تأييدها لتأسيس نوع منحدر من النظام الاجتماعي الاقتصادي وما تتم مناقشته يكون أشياء لا يهتمون بها كثيراً مثل ما له علاقة بالشخصيات أو بالاصدارات التي يعرفون أنها لن تطبق.

وهذا موقف نمطي ويصبح ذا معنى من حيث افتراض أن دور الجمهور - بوصفه مجموعة من الغرباء الجهلة والمتخلفين - هو فقط أن يظل متراجعاً فإذا ما سعى الجمهور العريض - كما يحدث عادة - إلى تنظيم نفسه ودخول الساحة السياسية للمشاركة ولتقديم مطالبه فإن هذا يتحول إلى مشكلة، ولا تكون هناك ديمقراطية بل، أزمة

كسبيها عبر أجيال من الكفاح المrier. وعندما يتحدث البنك الدولي عن رفع القيود عن مرونة الأجور فهم يقصدون المرونة الهابطة وليس المرونة التي ترتفع ولا يعني الحديث عن حراك العمالة أن من حق الناس أن ينتقلوا إلى أي مكان يريدونه كما كانت تتطلب نظرية السوق الحرة منذ أيام سميث وإنما فقط تعنى الحق في طرد العاملين عندما يريد رئيسهم ذلك.

ويموجب الصيغة الحالية من العولمة القائمة على المستثمرين يجب أن يظل رأس المال والشركات حرفة الحركة ولكن ليس ذلك من حق الناس لأن حقوقهم ثانوية يمكن الالتفات إليها بالصادقة.

ويتم فرض هذه الاصلاحات الازمة مثلاً يسميها البنك الدولي على أكثر دول العالم بما فيها الدول الغنية كشرط لمنع القروض وأن كان ذلك يحدث في الدول الغنية بطريقة مختلفة.

ولقد شهد الان جرينسبان أمام الكونجرس بأن «عدم الأمان المتعاظم لدى العامل» كان عاملاً مهمًا فيما يعرف بـ«اقتصاد حكايات البن أو الاقتصاد الخرافي» حيث ينخفض التضخم لأن العمال يكونون خائفين من أن يطلبوا الأجر والمزايا ويشعرون بعدم الأمان ويظهر هذا بوضوح في السجلات الاحصائية.

عبر الخمس والعشرين سنة الماضية ، أى تلك الفترة من الرجوع للوراء ومن أزمة الديمقراطية ، ظلت الأجور ثابتة كما هي أو حتى انخفضت بالنسبة لغالبية قوة العمل وبالنسبة للعمال في الواقع الدنيا بينما زادت ساعات العمل على نحو حاد وصارت الأعلى في العالم الصناعي وقد لاحظت هذا بالطبع صحافة الأعمال التجارية والتي تصفه بأنه تطور مرحباً به وفائقة الأهمية» حيث العمال يضطرون للتخلّي عن أنماط حياتهم

المعلومات عن كيفية نزع روح العصر الجديدة وذلك بخلق مطالب مصطنعة أو بين تسيير عقل الجماهير في كتاب خاضعة للنظام تماماً مثلاً يقوم الجيش ب التقسيم جنوده في أفواج (إبوارد برناين) وبإدخال «فلسفة اللادجوى» وانعدام الهدف في الحياة وتتركيز الانتباه الإنساني على «الأشياء الأكثر سطحية التي تشكل أكثر أنماط الاستهلاك عصرية».

فإذاً أمكن تحقيق هذا فإن الناس سوف يقبلون الحيوانات الخاضعة وغير ذات المعنى التي تناسبهم وسوف ينسون الأنكار المتمردة أو المخربة كما يصفها النظام أو الخاصة بسيطرتهم على حياتهم.

إن هذا مشروع كبير في التحكم الاجتماعي وهو مستمر منذ قرون لكنه أصبح أكثر حدة وضخامة في القرن الماضي (العشرين) وهناك وسائل عديدة لإنجازه من بينها بعض ما أشرت إليه وهي أساليب معروفة إلى حد أنها لا تحتاج للتوضيح والبعض الآخر تهدف إلى إضعاف الأمان وهناك أيضاً عدد من الوسائل إن أحدها وسائل إضعاف الاحسان بالأمان هي التهديد بالطرد من العمل أو النقل الوظيفي كوسيلة لفرض النظام .

ومن الأساليب الأخرى تدعى ما يسمى به مرونة سوق العمل» وسوف أقوم بالاقتباس من البنك الدولي الذي عرض المسألة بمنتهی الموضوع حين أعلن القائمون على هذا البنك «إن زيادة مرونة سوق العمل - على الرغم من السمعة السيئة التي اكتسبها ذلك التعبير كتجميل لخفق الأجور وطرد العمال (وهذه بالضبط حقيقة ذلك المصطلح) هو أمر حيوي في كل مناطق العالم.

إن أهم الإصلاحات تتعلق برفع القيود عن حركة العمل ومرونة الأجور إلى جانب تحطيم الصلات بين الخدمات الاجتماعية ومقذد العمل». ويعنى هذا تقليص المنافع والحقوق التي تم

الثمانينيات واستمراره منذ ذلك الحين بسببي من السياسات الاجتماعية الاقتصادية التي يفرضها المتصرفون.

ولقد أهتم المؤتمر بشكل خاص بما أسماه «رواسب ثقافة الإرهاب» والتي تستمرة حتى بعد انحسار الإرهاب الفعلي ويكون من تأثيرها استئناس توقعات الأغلبية والذين يهجرون أى فكرة عن «البدائل» الأخرى التي تتناقض مع مطالب الأقوية».

لقد تعلموا الدرس وهو أنه لا توجد بدائل - كما ورد في عبارة مارجريت تاشر القاسية - وال فكرة - أنه لا توجد بدائل هي الان الشعار المألوف لهذه النسخة من العولمة الجماعية.

وفي الدول التابعة يتمثل الانجاز العظيم للعمليات الإرهابية (الإرهاب الأمريكي) في تحطيم الأimal التي نشأت في أمريكا اللاتينية والوسطي في السبعينيات والتي أهملها التنظيم الشعبي في تلك المنطقة «والخيار المفضل لفقراء» الكنيسة الأمر الذي تلقى عقايباً صارماً على ذلك الانحراف عن السلوك اللائق.

وأحياناً ما يجري استخلاص الدروس المستفادة مما حدث بدقة محسوبة، وأنه يوجد سيل من مدافننا الذات عن نجاحنا نحن الأمريكيين في إلهام موجة من الديموقراطية في بلاد أمريكا اللاتينية التابعة لنا.

ولقد تم عرض المسألة على نحو مختلف قليلاً ولكن أكثر دقة في مقال مهم من قبل أحد المتخصصين الرئيسيين حول الموضوع وهو توماس كاروثرس الذي - كما يقول - يكتب ببرؤية «العين الداخلية» حيث إنه عمل في وزارة الداخلية ضمن برامج تعليم الديموقراطية كما كانت تسمى في إدارة الرئيس ريجان.

وهو يعتقد أن لدى واشنطن نوايا حسنة لكنه

الفخيم بينما أرباح الشركات المتحدة مبهرة وهائلة الضخامة.

لا يوجد بديل:

في الدول التابعة ، تكون الإجراءات المتأحة أقل كياسة . وأحدها هو ما يسمى بـ «أزمة الدين» والتي يمكن إرجاعها بصورة غالبة إلى برامج سياسات كل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في السبعينيات وإلى حقيقة أن أثرياء العالم الثالث في الأغلب الأعم لا يتحملون أى التزامات اجتماعية وهذا صحيح على نحو درامي في أمريكا اللاتينية وهو إحدى مشكلاتها الكبرى.

«أزمة الدين» ليست حقيقة اقتصادية بسيطة بائى حال بل هي - إلى حد بعيد - بناة إيديولوجى ذلك أن ما يعرف بـ «الدين» يمكن إلى حد كبير التغلب عليه ببعد من الطرق المبدئية.

لكن هذا غير مسموح به . إن الدين سلاح قوى جداً في السيطرة ولا يمكن التخلص منه . وبالنسبة لنصف سكان العالم في الوقت الحالى يقوم البيروقراطيون في واشنطن بإدارة سياساتهم الاقتصادية الوطنية وكذلك فإن نصف سكان العالم (وهو ليس نفس النصف المذكور بل يتقاطع معه) يخضع لعقوبات أحادية من جانب الولايات المتحدة، وهي صورة من صور الاكراه الاقتصادي والذى مرة أخرى - يضعف السيادة بشدة ولقد أدين هذا الاكراه مراراً ومؤخراً من قبل الأمم المتحدة بوصفه غير مقبول لكن لا يبدو أن ذلك قد أحدث أي آثار.

وتوجد داخل الدول الفنية وسائل أخرى لتحقيق نتائج مشابهة ، ولكن قبل ذلك لا بد من كلمة عما لا يجب أن نسمح لأنفسنا ببنسيانه وهي أن الأساليب التي تستخدم في الدول التابعة يمكن أن تكون بالغة القسوة.

فمنذ عدة سنوات عقد الجيزويت مؤتمراً في سان سلفادور للنظر في مشروع إرهاب الدولة في

والفاسد في نيكارجوا حتى النهاية المريء وأنه حتى عندها -عندما تحولت البنى التقليدية للقوة ضد الديكتاتور فقد حاولت الولايات المتحدة الحفاظ على الحرس الوطني الذي أسيسته ودربيته والذى -كما يقول باستور- كان يعتدى على السكان وقتذاك «بوحشية عادة ما تذرها الدولة لعدوها» وكل هذا حدث بنية حميدة بموجب مبدأ «أنه لا بديل من ذلك»، وهو السبب «إن الولايات المتحدة لم تكن ترغب في السيطرة على نيكارجوا أو دول أخرى بالمنطقة ولكنها أيضاً لم تكن راغبة في أن تخرب التطورات عن السيطرة لقد كانت تريد من نيكارجوا أن تتصرف باستقلالية «إلا لو كانت تلك الاستقلالية ستؤثر سلباً على مصالح الولايات المتحدة».

وهكذا ، ويعنى آخر ، فإنه يجب أن يحظى المواطنون الأمريكيون الجنوبيين بالحرية ولكنها الحرية في أن ينهجوا بما يتفق مع رغباتنا ، نحن نريدهم أن يختاروا مسارهم بحرية إلا في حالة أن يقوموا باختيارات لا نريدها نحن وفي هذه الحالة يتسعى أن تعيد البنى التقليدية للقوة بالعنف- إن لزم الأمر .
وهذا هو الجانب الأكثر ليبرالية وتقديمية في الدائرة النظرية.

هناك أصوات خارج الدائرة -لا أريد أن أنكر هذا فمثلاً هناك الفكرة التي تقول إن الناس يجب أن يكون لديهم الحق «للمشاركة في القرارات» التي عادة ما تعدل أسلوب حياتهم على نحو عميق وأن لا تتحطم أمالهم بقوسية في ظل نظام على تتركز فيه القوة السياسية والمالية ، بينما تهتز الأسواق المالية بشدة ، مع النتائج المدمرة لذلك على القراء ، وحيث يمكن «استغلال الانتخابات بينما ينظر الأقواء إلى الجوانب السلبية على الآخرين بوصفها غير ذات بال بالمرة».

يعترف أنه في الممارسة على أرض الواقع سعت إدارة زيجان إلى الحفاظ على النظام الأساسي لمجتمعات غير ديمقراطية تماماً وإلى تجنب «التغير الذي يعتمد على الجماهير » وأنها -مثل إدارات سابقة عليها -تبنت «سياسات مؤيدة للديمقراطية كوسيلة لخفيف الضغط الذي يطالب بتغيير أكثر راديكالية ولكنها في نهاية الأمر سعت فقط إلى أشكال مقلوبة ومحفوظة من التغيير الديمقراطي لا تجاذب بخلطة البنى التقليدية للقوة التي طالما تحالفت معها الولايات المتحدة «وبما يمكن القول -بديعة أكبر -«البني التقليدية للقوة التي طالما ما تحالفت معها البنى التقليدية للقوة داخل الولايات المتحدة».

إن كارلوثس نفسه غير راض عن النتيجة لكنه يصف ما يسميه «بالنقد الليبرالي» على أنه معيوب في الأساس . ويقول (كارلوثس) إن ذلك النقد يترك التضامن القديمة بلا حل نظراً لنقطة ضعف أزليه «ونقطة الضعف تلك هي كونه لا يقدم بدلاً لسياسة استعادة البنى التقليدية للقوة ، وفي هذه الحالة حدث ذلك بإرهاق دموي خلف بضعة مئات الآلاف من الجثث في الثمانينيات وملايين اللاجئين .
كما خلف المبتورين واليتامى في المجتمعات التي نمررت .

ومرة أخرى إذ نرى ذلك الشعار (الذى يختصر بكلمة **Tina**) **there is no alternative** أي أنه لا يوجد بدile .
ولقد اعترف روبرت باسترور- المتخصص الأساسي لدى الرئيس كارتير في شئون أمريكا اللاتينية ، والذى يعد فى موقع الحمامن والتقدميين فى الدائرة أو المنحنى النظري المسموح به -بنفس المأزق ولكن على مستوى آخر مختلف فى تلك الدائرة . فهو يشرح فى كتاب شيق لماذا اضطررت إدارة كارتير إلى تأييد نظام سوموزا الدموى

لكن واشنطن واجهت مشكلة في فرض الميثاق وتم شرح ذلك بوضوح داخلياً في وزارة الداخلية في ذلك الوقت على النحو التالي:

إن الأمريكيين الجنوبيين يقونون بالاختيارات الخطأ، لقد كانوا يطالبون «سياسات تهدف إلى تحقيق توزيع أكثر إتساعاً للثروة وإلى رفع مستوى معيشة الجماهير» كما أنهما كانوا متفقين بأن «المتفقين الأوائل من تنمية موارد بلد ما يجب أن يكونوا شعب ذلك البلد» وليس المستثمرين الأمريكيين وهذا غير مقبول ولعله لا يمكن السماح بسيادة.

لا يمكن أن تتمتعوا بالحرية، وإنما تكون لهم الحرية لاتخاذ القرارات الصحيحة (أى التي يستخدم المصطلح الأمريكية).

وتقع نفس هذه المخاوف في خلفية الاتفاقيات التجارية - على سبيل المثال «نافتا» لعلكم تذكرون أنه في وقت «نافتا» (منظمة أمريكا الشمالية للتجارة الحرة) كانت الدعاية تقوم على أنها سوف تكون هدية رائعة للعمال في الدول الثلاثة - كندا، والولايات المتحدة والمكسيك. غير أنه سرعان ما تم التخلّي عن هذا عندما ظهرت الحقائق وظهر أن ما كان واضحاً طوال الوقت تم الاعتراف به علناً في نهاية الأمر.

كان الهدف هو «حبس المكسيك في إصلاحات الشمانيات»، تلك الإصلاحات التي خففت الأجور درجة هائلة وأدت إلى إثراء قطاع ضئيل إلى جانب المستثمرين الأجانب.

ولقد تم التعبير عن المخاوف التي تقع في خلفية هذا الموضوع في مؤتمر خاص بالتنمية الاستراتيجية في أمريكا اللاتينية عقد واشنطن عام ١٩٩٠ حيث تم التحذير من «افتتاح يمقراطياً» في المكسيك يمكنه أن يختبر العلاقة الخاصة (بين المكسيك والولايات المتحدة) بتسهيل

إن هذه أفكار مقتبسة عن لسان المطرف الراديكالي في الفايكنان (يقصد البابا) والذي لا يمكن نشر رسالته السنوية في مطلع العام الجديد في الصحافة القوبية وهي بالتأكيد بداعٍ ليست في خطة العمل.

لماذا يوجد هذا الاتفاق العام على أن الأمريكيين الجنوبيين - بل والعالم أجمع لا يمكن أن يسمح له أولئك بممارسة السيادة، أى أن يسيطرؤا بأنفسهم على حياتهم؟ إنه النظير العالمي للخسوف من الديمقراطية من الداخل.

وفي الحقيقة فإن تلك المسألة كثيراً ما كان يتم التعامل معها بوسائل بناءة جداً خاصة في السجلات الداخلية التي لدينا (هذا بلد حر جداً ولدينا سجل حاصل بالوثائق المسموح بالاطلاع عليها وهي شفقة جداً).

إن التيمة الرئيسية في تلك الوثائق تتضمن على نحو باز في إحدى أكثر الحالات تأثيراً وهو مؤتمر لنصف الكورة دعت إليه الولايات المتحدة في فبراير ١٩٤٥ لمحاولة فرض ما كان يسمى بالشلاق الاقتصادي للأمريكتين الذي كان أحد حجرى الزاوية، والذي كان لا يزال يقف صامداً في عالم ما بعد الحرب.

ولقد عاد الميثاق إلى نهاية «القومية الاقتصادية» (معنى السيادة) بكل أشكالها إذ كان الأمريكيين الجنوبيين أن يتبنّوا ما كان يدعى التنمية الصناعية «الزاندة» والتي يمكن أن تتنافس مع مصالح الولايات المتحدة وإن كان يمكنهم أن يقووا بـ «تنمية تكميلية» وعلى هذا فإن البرازيل يمكن أن تنتج صلباً منخفض السعر لاتهتم به الشركات الأمريكية.

جوهرياً، كان يتعين علينا - كما قال جورج كيغان - أن نحمي مواردنا حتى لو كان ذلك يتطلب «دولًا بوليسية».

وصول حكومة إلى السلطة تكون أكثر استعداداً لتحدي الولايات المتحدة على المستويين الاقتصادي والقومي».

لاحظوا أن هذا هو التهديد نفسه الذي تمت إثارته في عام ١٩٤٥ والذي تم التغلب عليه، في هذه الحالة بحسب المكسيك في التزامات الاتفاقيات.

إن هذه الأسباب نفسها تتبع طوال الوقت خلف
نصف قرن من التعذيب والإرهاب وليس فقط في
نصف الكرة الغربي وهي أيضاً في قلب اتفاقات
حقوق المستثمرين والتي يتم فرضها تحت شكل
خاص من أشكال العولمة والذى تضممه رابطة
الاحتياطيات العالمية للدولة.

الأقلية المركزية

ولنعد الآن إلى النقطة التي توقفنا عندها:
القضايا الخلافية حول الحرية والحقوق ومن ثم
السياسة من حيث قيمتها، هل تعيش هذه القضية
بداخل أشخاص من لحم ودم أم فقط في قطاعات
صغيرة تتمتع بالثروة والامتيازات؟ أو حتى فيبني
 مجردة مثل الشركات أو في رأس المال أو في
الدول؟

في القرن الماضي كانت فكرة أن هذه الكيانات لها حقوق خاصة حتى فوق الأفراد فكرة تحظى بتأييد كبير. إن أبرز الأمثلة هي البشفيه والفاشية وسيطرة الشركات الخاصة المتحدة والذي هو شكل من أشكال الطغيان المخصوص إثبات من هذه الأنظمة سقطها أما الثالث فهو حى ومزدهر تحت لواء «لا يوجد بديل» أى أنه لا يوجد بديل للنظام الصاعد لميركانطورية المركزية التي تتخفي وراء تراطيل مثل العولمة والتجارة الحرة.

منذ قرن مضى وفي المراحل المبكرة من بنوغ المركزية في الولايات المتحدة كان النقاش حول هذه المسائل صريحا تماما: فقد أدان المحافظون منذ قرن مضى، ذلك الاحماء واصفين الاحتياطات بأنها

وإنه لمن الجدير بالذكر أنه في ظل ما يسمى اليوم «باقتصاد التجارة الحرة»، فإن عنصراً كبيراً جداً من عناصر المعاملات عبر الحدود (والتي تسمى تضليلياً التجارية) وربما نسبة 7% بالملائمة من هذه المعاملات هي في الحقيقة داخل المؤسسات تدار مركزياً، أي داخل شركات وتحالفات شراكة إذا ما أضفنا عادة استخدام عمال من خارج الشركات وأساليب أخرى للإدارات الحكومية. وهذا يعزز عن كل أشكال التعرنجات الأخرى الحادة للسوق.

إن النقد المحافظ - ولاحظوا أننى استخدم مصطلح «محافظ» بالمعنى التقليدى فمثلى أولئك المحافظين نادراً ما يوجدون الآن - كان يوجه سهامه ضد الجانب الليبرالى /التقدمى من الدائرة السياسية النظرية فى بدايات القرن العشرين ربما كأكبر ما يكون من جانب جون ديبى الفيلسوف الاجتماعى الأمريكى - والذى رکز عمله أساساً على الديمقراطية.

كان (بيو) يقول إن الأشكال الديمقراطيّة ذات قيمة ضئيلة عندما تكون «حياة الدولة» في الإنتاج والتجارة ووسائل الإعلام كلها محكمة بالطغيان الخاص في نظام أسماء بـ«القطاع الصناعي» حيث يتم إخضاع العاملين للسيطرة الاداريّة وتصبح السياسيّة هي ذلك «الظل الذي تلقيه الأعمال التجاريّة (ورجال الأعمال) على المجتمع».

الالتزامات السابقة بأن تبقى ملتزمة بأعمال محددة أSENTت لها. أضف إلى هذا فلن المحاكم وفى حركة مهمة - قامت بنقل السلطة تصاعدياً من حملة الأسهم ذوى الشركاء إلى الإداره المركزية والتي كان هناك تماه بينها وبين شخص الشركات المتحده الخارج.

ومن ألم منكم تاريخ الشيوعية سوف يلقط التشابه بين ما كان يحدث فى تلك الفترة وكما نتبأ فى الحقيقة نقاد البلشفية الفوضويون والماركسيون واليساريون إلى حد كبير . ذلك أن أناسيا مثل روزا لوکسمبرج كانوا قد حذروا في مرحلة مبكرة من أن الإيديولوجية المركزية سوف تنتقل السلطة من العمال إلى الحزب وإلى اللجنة المركزية ثم إلى الزعيم مثلاً حدث بسرعة عقب الغزو الذي حققه سلطنة الدولة عام ١٩١٧ والذي حطم على الفور كل آخر متبق للأشكال والمبادئ الاشتراكية. ورغم أن الدعاين على كلا الجانبيين يفضلون حكاية مختلفة وذلك لأغراض خاصة فإننى أعتقد أن هذه (أى ما قلت) هي الحكاية الأكثر دقة.

في السنوات الأخيرة حصلت الشركات على حقوق وبعد بكثير من حقوق الأفراد وبموجب لائحة منظمة التجارة العالمية يمكن للشركات أن تطلب ما يسمى بحق «المعاملة الوطنية».

يعنى هذا أن جنرال موتورز ، إذا كانت تعمل في المكسيك يمكنها أن تطلب معاملة بالمثل مع شركة مكسيكية وهذا حق فقط لأشخاص يتمتعون بالخلود وليس حقاً لأشخاص من لحم ودم ذلك أن المواطن المكسيكي لا يستطيع أن يأتي إلى نيويورك ويطالب بمعاملة وطنية ولكن الشركات يمكنها أن تفعل هذا.

وهناك قواعد أخرى تطالب بأن تسود حقوق المستشرقين والمقرضين على حقوق الأفراد العاديين بعامة مما يضعف السيادة الشعبية ويقلص

ولنلاحظ أنه هنا يتحدث بوضوح عن أنكار كانت شائعة تماماً بين الفئات العاملة منذ سنوات ونفس الشئ يصدق على دموته لإبدال الإقطاع الصناعي بديمقراطية صناعية تدار ذاتياً.

إنه لم الشيق أن يتفق المثقفون التقديميون الذين كانوا يفضلون عملية المركزية بدرجة أو بأخرى مع توصيفه مثلاً ودرو ويلسون كتب أن «أغلب الناس هم خدام الشركات» المسؤولون عن النسبة الأكبر من الأعمال التجارية في الدولة وذلك في أمريكا التي تختلف جداً عن أمريكا القديمة.. لم يعد هناك ذلك المشهد من المشروعات الفردية والفرص الفردية والإنجاز الفردي» وإنما أمريكا جديدة حيث «توجد مجتمعات صغيرة من الرجال يسيطرؤن على شركات كبيرة ويمكرون القوة والسيطرة على فرص الثروة والأعمال التجارية للبلاد «بحيث يصبحون منافسين للحكومة ذاتها» ويفسرون السيادة الشعبية التي تمارس من خلال النظام السياسي الديمقراطي.

لاحظوا أن هذه (الكلمات) كتبت في تأييد العملية إذ أنه (ويلسون) وصف العملية الاحتكارية بأنها ربما كانت تدعى للأسف لكنها ضرورية وأنها تتفق مع عالم تجارة الأعمال وخاصة بعد أن اقفت انهيارات السوق الدمرة للسنوات السابقة كلا من عالم الأعمال التجارية والمثقفين التقديميون بأن الأسواق لأبد وأن تدار وأنه لأبد من تنظيم العمليات التجارية.

إن هناك أسلطة مشابهة حية إلى حد بعيد في الساحة الدولية اليوم : مثل ذلك الحديث عن إصلاح المسار المالي وما إلى ذلك.

ومذ قرن مضى استحوذت الشركات على حقوق الأفراد من خلال قرارات تشريعية راديكالية ناشطة وهو انتهاك متطرف للمبادئ الليبرالية الكلاسيكية . كما أنها (الشركات) تحررت من

الحقوق الديمocrاطية.

إن الشركات تستطيع بطرق كثيرة أن ترفع القضايا وتحرك المواقف ضد دول ذات سيادة وهناك أمثلة شديدة فمثلاً جوايمالا حاولت منذ عدة سنوات أن تخفض معدلات وقيارات الأطفال بتنظيم تسويق تركيبة لغذاء الأطفال جديدة ورخيصة.

وما اقتربت جوايمالا كان يتوافق مع المعايير الصاربة لمنظمة الصحة العالمية فقد التزموا بالمعايير الدولية لكن مؤسسة «جيبرير» التي تتبع أذنيل للأطفال أعدت أنها تتعرض للتجريد من الملكية وكان التهديد بشكوى لدى منظمة التجارة الدولية كافية لكي تتراجع جوايمالا خوفاً من عقوبات على سبيل الرد من الولايات المتحدة حيث تعمل شركة «جيبرير».

وكانت أول شكوى بموجب لوائح منظمة التجارة الدولية هي تلك التي تقدمت بها كل من فنزويلا والبرازيل ضد الولايات المتحدة حيث اشتكت كل منها أن القوانين الأمريكية حول البترول تنتهك حقوقها كمصدرين للبترول وقد تراجعت واشنطن تلك المرة أيضاً بدعوى الخوف من العقوبات.

لكنني أتشكل في ذلك التفسير إذ لا اعتقاد أن الولايات المتحدة تخشى أن تفرض فنزويلا والبرازيل عقوبات ضدهما والأرجح أن إدارة كلينتون ببساطة لم تر سبباً جدياً لحماية البيئة والصحة.

وتثير هذه القضايا على نحو درامي جداً بل وب IDEA الآن.

إن عشرات الملايين من الناس في العالم يموتون من أمراض يمكن معالجتها وهم يموتون لأن الحماية التي تقدمها لوائح منظمة التجارة العالمية للشركات العملاقة لاحتياط حقوق التسويق يجعلهم عاجزين عن شراء الأدوية فمثلاً يكن لكل من تايلاند وجنوب إفريقيا اللتين لديهما صناعات للأدوية أن تنتجا عقاقير تتقى الحياة بعشر تكالفة

عقب «مفاوضات مرفقة كانت عادة تترك الولايات المتحدة مجرحة الوجه إذ تقف ضد الجميع تقريباً». حول ما يسمى «مبدأ الاحتراز».

فما هو مبدأ الاحتراز هذا؟

لقد شرحت المفاوض الأول في الاتحاد الأوروبي على النحو التالي:

«لابد أن تكون الدول الحرية وحق السيادة في أن تتخذ إجراءات احترازية فيما يتعلق بالبنور والميكروبات والحيوانات والمحاصيل المخلقة جينياً» والتي تختلف من ضرورها الحتمية، أما الولايات المتحدة فقد أصرت على إعمال لوائح منظمة التجارة العالمية والتي تقول إنه يمكن مصادرة منتج ما يتم استيراده فقط على أساس من الدليل العلمي.

ولتلاظح الشئ المهم هنا وهو ما إذا كان للناس الحق في أن يرفضوا أن يكونوا كائنات تخضع للتجارب. ولتجسيد الموقف تخليوا أن ياتي أشخاص من قسم الأحياء بكلية العلوم ويدخلوا عليكم ويقولوا إن عليكم أن تكونوا كائنات تجارب في تجربة سمعلية تنتهي حيث سنقوم بتركيب مجسّات كهربائية فوق عقولكم لكي نرى ما الذي سيحدث ومن حكم أن ترفضوا ولكن فقط إذا ما وفرتم لنا دليلاً علمياً أن ذلك سوف يؤذنكم».

عادة أنت لا تستطيعون تقديم الدليل العلمي لكن السؤال هو هل لديك الحق في الرفض أم لا؟ لانه بموجب لوائح منظمة التجارة العالمية ليس لكم /لنا هذا الحق، بل يجب أن تكونوا مطردات تجارب وهو شكل من الأشكال التي أسموها إداورد هيرمان «سيادة المنتج» فالم المنتج يحكم ويتعين على المستهلكين بطريقة ما أن يدفعوا عن أنفسهم ولقد أوضح (هيرمان) أن ذلك من مسؤولية الصناعات الكيماوية والمبتدأت أن تثبت أن ما يفرضونه على البيئة آمن وإنما هي مسؤولية الجمهور أن يثبت علمياً أن تلك الممارسات خطيرة وعليه أن يفعل ذلك

من خلال وكالات شعبية لا تحظى بالدعم المالي الكافي والتي هي كذلك عرضة لتاثيرات تلك الصناعات من خلال جماعات الضغط وضغطوط أخرى.

كانت تلك هي القضية في مونتريال وتم التوصل هناك إلى نوع من الاتفاques الغامضة. واتساحظوا بذلك لكي تكون الأمور واضحة أنه لم تكن هناك قضية مبدأ. ويمكن تبيان هذا من اصطدام الفريقين حيث وقفت الولايات المتحدة من ناحية وإضمت إليها بعض الدول ذات المصلحة في تصديرها المكلف ومن ثم إمكانية خسارتها في مجالات تصدير التكنولوجيا البيولوجية والمعدات الزراعية المتطرفة تكتولوجيا وفي النهاية الأخرى كان الجميع -أى كل من لا يتوقعون الارتفاع بالتجربة.

والأسباب مشابهة يفضل الاتحاد الأوروبي تعريفات مرتفعة على المنتجات الزراعية تماماً مثلما كانت الولايات المتحدة تفضل ذلك منذ ٤٠ عاماً ولكن لم يعد الأمر كذلك ولكن ليس لأن المبادئ تغيرت بل لأن توزنات القوة تغيرت.

ثمة مبدأ غالباً مهيمن يقول هذا المبدأ أن الأقواء وذوى الامتيازات لابد وأن يتمكنا من أن يفعلا ما يريدون (وبالطبع هم في أثناء ذلك يتسللون بالواقع النبيلة) والخطوازي لذلك هو أنه لابد من التضحية بالسيادة والحقوق الديمقراطيّة للجماهير وتتمثل هذه الحالة - وهو ما يجعل الأمر درامياً جداً - تتمثل في عدم استعداد الجماهير لأن تكون مخلوقات تجارب بينما تكون الشركات الأمريكية هي المستفيدة من التجارب.

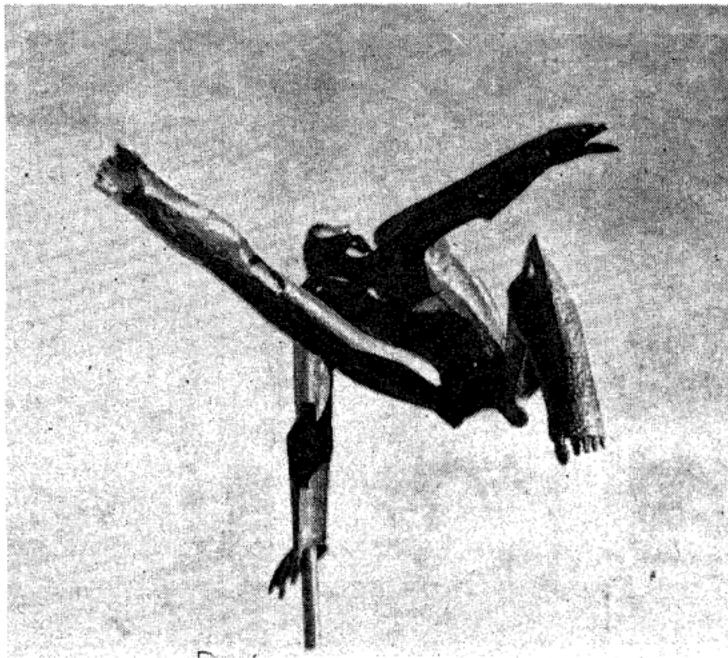
وطبعاً أن تدافع أمريكا عن لوائح منظمة التجارة العالمية لأنها هي التي وضعتها. إن هذه القضية على الرغم من أنها حقيقة جداً وتؤثر على أعداد كبيرة من الناس في العالم

إلا أنها في الحقيقة ثانوية قياساً على وسائل أخرى لتقليص السيادة لصالح قوة القطاع الخاص. وكان تفكك نظام بريطون ودن في بدايات السبعينيات من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا ودول أخرى هو أخطر ما حدث. كانت الولايات المتحدة وبريطانيا مما من وضعتا ذلك النظام في الأربعينيات. وكانت تلك فترة تأييد شعبي عارم لبرامج الرفاه والخدمات الاجتماعية والإجراءات الديمocratية الرايكلالية لهذه الأسباب، جزئياً فقد فن نظام بريطون ودن في منتصف الأربعينيات معدلات الصرف، وسمح بالقيود على سيولة رأس المال إذ كانت الفكرة هي تقليل المضاربة المبددة والضارة وتقييد خروج الأموال. وكانت الأسباب مفهومة تماماً وتم التعبير عنها بوضوح ذلك أن تحرك الأموال بحرية يخلق أحياناً ما يسمى ببريلان فعلى من رأس المال العالمي والذي يمكنه أن يمارس سلطة الفيتوك على سياسات الحكومة التي يعتبرها غير عقلانية، وهذا يعني إهمال أشياء مثل حقوق العمال أو برامج التعليم أو الصحة أو الجهود الرامية إلى تنمية أو إنشاء الاقتصاد أو حتى أي شيء يمكنه أن يساعد الناس وليس مجرد الأرباح (وعليه يمكن ذلك الشيء غير عقلاني بالمعنى التقني).

ولقد ظل نظام بريطون ودن يعمل تقريباً طيلة ٢٥ عاماً، وهذا ما يسميه العديد من الاقتصاديين بـ «العصر الذهبى للرأسمالية الحديثة» (أو بـ «العصر الذهبى للرأسمالية الحديثة»)، فقد كانت تلك الرأسمالية الدولة الحديثة، حتى عام ١٩٧٠، هي مرحلة نمو تاريخي غير مسبوق للاقتصاد والتجارة والانتاجية واستثمار رأس المال والتوجه في سياسات دولة الرفاه والخدمات. وانقلب ذلك في بدايات السبعينيات إذ تم تفكك نظام بريطون ودن بتحرير الأسواق المالية وتعميم معدلات الصرف.

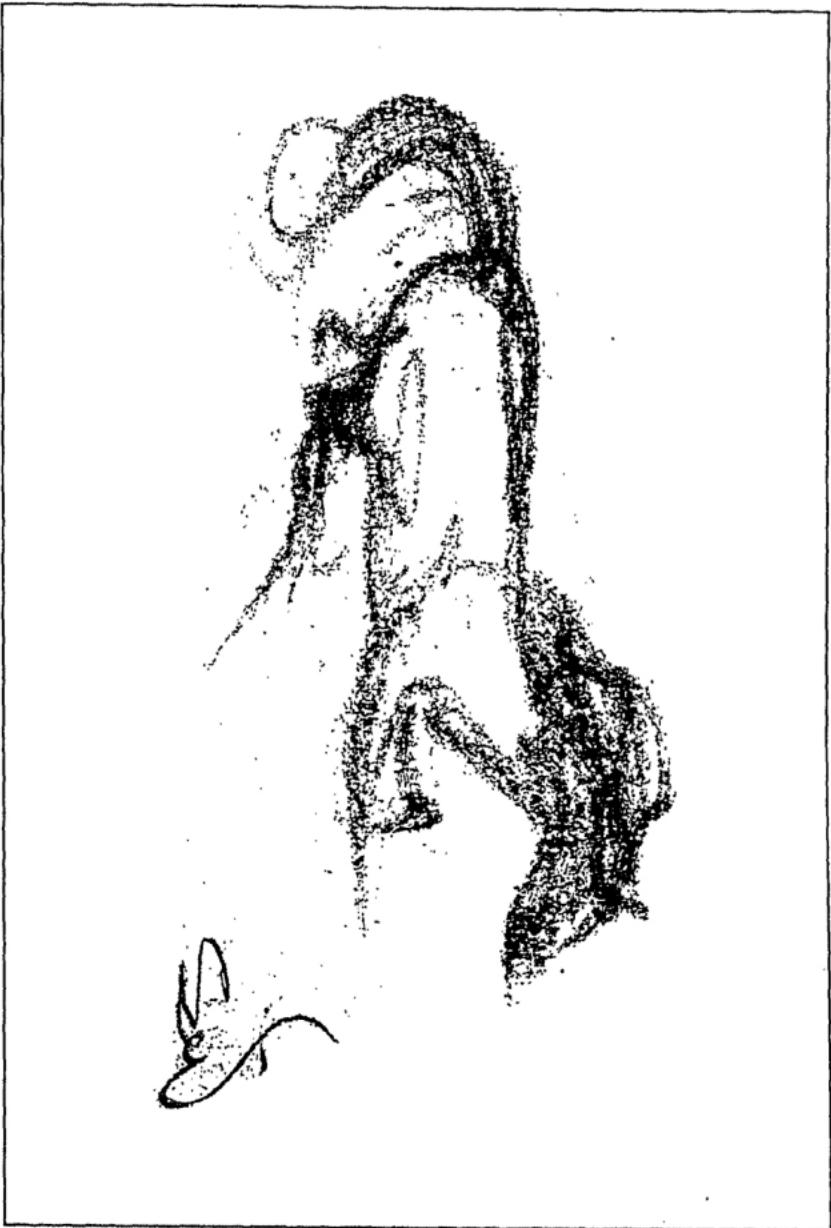
وقد جرى وصف المرحلة التي تلت ذلك بالعصر الرصاصي. كان هناك انفجار كبير لرأس المال المضارب الطائر ذى الأجل القصير جداً وقد طغى تماماً على الاقتصاد الانتاجي وحدث تدهور ملحوظ تقريباً في كل مجال فمثلاً تباطأت، التنمية الاقتصادية الإنتاجية وتتميم استثمار رأس المال مع معدلات فائدة أعلى (والتي تبطئ من النمو) وتقلبات أكثر للسوق وأزمات مالية أكبر. ولدت هذه الأمر تأثيرات إنسانية شديدة جداً، حتى في الدول الفنية: مثال ذلك الأجر الراتكدة أو الهابطة، ساعات أطول للعمل وعلى نحو لافت في الولايات المتحدة جنباً إلى جنب تقليل الخدمات.

وإلاعاتكم مثلاً واحداً فقط على اقتصاد اليوم والذي يعرفه الجميع فقد عاد الدخل المتوسط للأسرة إلى ما كان عليه عام ١٩٨٩ وهو أقل مما كان عليه في السبعينيات كما كانت تلك مرحلة تفكك للإجراءات الديمocratية الاجتماعية التي كانت قد حسنت الأوضاع الإنسانية، وبشكل عام فإن النظام العالمي المفروض حديثاً أثار الفرصة على نحو أكبر لسلطة ثيتو «البريلان الفعلى» من الرأسماль الخاص للمستثمرين بما يؤدي إلى تراجع كبير الديمocratية والحقوق السيادية إلى جانب تدهور كبير في الصحة الاجتماعية عاماً. فإذا كانت هذه التأثيرات محسوسة في المجتمعات الفنية فهي كارثية في المجتمعات الفقيرة. هي إذن قضايا عابرة للمجتمعات ولذا من الخطأ القول إن هذا المجتمع يزداد غنى ولذا المجتمع يزداد فقرًا لأن قطاعات من السكان على مستوى العالم وطبقاً لبيانات الدول تزداد غنى وإذا قارنا دخول أعلى خمسة بالمائة (٥٪) من سكان العالم بآخر خمسة بالمائة (٥٪) نجد أن



يوجد بديل» وهذا يبيّن كأنه نوع من المحاكاة الساخرة للماركسية الفجة.
لا حاجة بنا للقول أن ذلك الشعار هو عملية نصب يستهدف مصلحة من يردد فائٍ نظام اجتماعي اقتصادي يتم فرضه هو نتاج قرارات بشرية في مؤسسات يديرها البشر . والقرارات يمكن تعديلها كما أن المؤسسات يمكن تغييرها وإذا ما دعت الحاجة يمكن تفكيرها واستبدالها بأخرى متلماً دأب المخلصون والشجعان على أن يفعّلوا ذلك عبر التاريخ.

النسبة كانت ٧٨ إلى ١ عام ١٩٨٨ وأصبحت ١١٤ إلى ١ عام ١٩٩٣ (وهذه آخر مرحلة توافرت لها الإحصاءات) ولابد أن النسبة أعلى الآن بكثير ونفس الإحصاءات تبين أن نسبة الواحد بالمائة من سكان العالم تتمنى بنفس دخل الـ ٥٧ بالمائة (٥٧٪) الأخيرة أو الدنيا ، أي أن واحد بالمائة يحصلون على نفس ما يحصل عليه ٢٧ مليار شخص . إنّه لمن الطبيعي تماماً أن تفكك النظام الاقتصادي لما بعد الحرب العالمية يجب أن يتلازم مع هجوم كبير على الديمقراطية الحقيقة -أى على الحرية والسيادة وحقوق الإنسان تحت شعار «لا

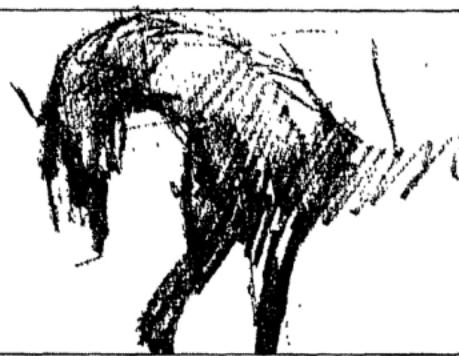


الديوان الصغير



الحصان

تأليف: سيمون ستاندر
ترجمة: بدر الرفاعي



الحصان "والطبيعة وبدر الرفاعي"

أحمد الشريف

"الحصان" ، رواية الكاتب الانجليزي سيرجيفرید ستاندر . الطبيعة أو تجسيد الطبيعة في الفن فكرة كتبت أناقشها مع مترجمنا المصري البارز بدر الرفاعي . فانا شغوف بالطبيعة بكل مفرداتها من غابات وغيطان وحدائق وأنهار وبحيرات وحيوانات وأرض سماء وبشر . أؤمن بمقولة "سيزان" إن في الفن كل شيء نظري . يتظاهر ، يتحقق، بالصلة مع الطبيعة . هذه القناعة دفععني للحوار والنقاش مع الأصدقاء من الكتاب والفنانين ، حتى كان ذلك الحوار الرائع مع بدر الرفاعي الذي قال لي إن هناك رواية فذة كلها تجسيد لدور الطبيعة في الفن ، وذكر رواية (الحصان) وأنه قد ترجمها ولكن لم ينشرها .. على الفور طلبت أن يحضر نسخة كي أقرأها . وبالفعل أحضرها وقرأتها بمنتهى كبيرة ، لكن لم أجده في النسخة التي أعطاني إياها معلومات عن المؤلف ، عندما سأله عن السبب قال إنه لم يجد معلومات في النسخة الإنجليزية الأصلية .
وبعد أن رأني متهمساً لنشر الرواية في الديوان المصغير (أدب ونقد) طلب مني أن أدخل على شبكة NET أو أجد من يدخل كي يجمع بعض المعلومات وبالفعل حصلنا على معلومات بسيطة مع ذلك تكفي للتعرف بالمؤلف ، كي يحظى القارئ بمنتهى قراءة رواية مدفحة وأيضاً معرفة المؤلف .

* سيرجيفرید ستاندر ، كاتب إنجليزي مواليد ١٩٢٥

عمل بالصحافة وله عديد من الأعمال أهمها :

this desert place ١٩٦١
مكان صحراوي

The horse ١٩٦٨
الحصان

The jaur.ny of jesephine ١٩٨٦
يوميات جوزفين

Night Season ١٩٧٧
فصل ليلي

غير المرغوب فيه أو المكره ١٩٧٤ ، بالاشتراك مع كريستيان برنار **The Un wanted**

في تلك الليلة ، كان في السماء ربع قمر ، و بمجرد اختفائه جاءت الأسود .
كان الرجال يتوقعون مجئها منذ ما يزيد على الأسبوع ، عندما دخلوا ، مع خيولهم إلى المنطقة
المشجرة التي تحف بالغور . في كل ليلة ، كانوا يقيمون سياجا من الأشواك ، يدفعون بخيولهم
خلفه ، ويشعرون إلى جواره نارا ضخمة من الجنوب الجافة ، ففيتصاعد اللهب ، ويحلق صانعاً أشكالاً
متحركة من الضوء اللامع ، تتعكس على جلود الأفراس المتزاحمة القلقة . وفي كل ليلة كانوا يعيون منهم
حارساً ، يسهر أمام النار ، بينما ينام الباقيون .

لكنهم ، بعد مرور أسبوع لم يحدث خلاله شيءٌ أو يأتي شيءٌ ، سوى ضبع متسلل أو ابن أوى سريع
العدو . فقدوا الاهتمام شيئاً فشيئاً ، وصاروا يهملون أمر الشوك ، ولا يثبتون الأوتاد بعناية ، يعادلهم ،
أما النار فقد خبت لأنهم لم يعودوا يهتمون بجمع ما يكفي من العشب الذي يجعلها مشتعلة حتى الصباح
ذلك أصبح الحراس أقل يقظة ، لأن شيئاً لم يحدث ، ولأن شيئاً لم يأت .

في ذلك المساء ، أصبحت الفرس الكستانية بحالة من الهياج ، فهي قد وضعت مهرها أثناء المسيرة ،
وأصبح المهر الذي بلغ الأربعين من عمره ، بساقيه الخرتاويين وخطمه الأملس الفضولي ، مصدر
اضطراب لبقية الخيول ، وعندما حاول الرجال دفعها مع المهر إلى داخل الحظيرة ، شبّت وصهلت ، رافعة
معرفتها في تحد واستدارت متعددة ، وهو ما جعل بقية القطيع يدور معها ، لكن أحد الرعاة هرول مسرعاً
إلى الأمام ، حاملاً سلاحه في إحدى يديه والجبل في اليد الأخرى ، محاولاً تهديتها بمحممات متلاحة
في تلك اللحظة ، كانت الفرس والمهر يتاهيان للجري ، لكن الرجل التفت حولهما بيده فداراً معه . ولحظة
أن أصبح إلى اليمين منها ، أطلق صرخة عالية مفاجئة ، ثم قفز إلى الأمام موجهاً ضربات متتالية
بالجبل إلى كفل المهر . صرخ المهر من الألم واتجه نحو الحظيرة بخطوات متسلجة . ولحقت به الفرس
القلقة ، وتبعتها بقية الخيول طائعة .

تبادل الرعاة الضحكات وهي يسحبون المزيد من فروع الشوك ليسدوا بها البوابة ، وصاح أحدهم : «
يواستوجا .. كان خائفاً » . ضحكوا من خوف المهر طويلاً ، وحتى بعد أن التحفوا ببطاطينهم ظلوا
يضحكون في سرهم كلما تذكروه .

كانوا من رجال «باتوانا» الشماليين ، يتاجرون في الخيول بين قبائل «بامانجوانتو» يخدمون بلا
رحمة ، لأنهم أناس بسطاء يضحكون بسهولة لأشياء بسيطة .
هام يرتحلون جنوب الغور الفحل الواسع والذي يطلقون عليه «ماكارى كارى» ، والذي يمتد ميلاً
بعد ميل إلى ما لانهاية .

ظلوا بالدغل وسط الأشجار بالرغم من بعد المسافة بينه وبين الغور ، لأن الوقت وقت الجفاف ويمكن
أن يموت الإنسان في هذه الأرض المقفرة ، أو يصاب بالجنون وسط هذا الأفق الفارغ .
.. كما أنها غابة ملعونة .

شيئاً فشيئاً ، استقر المعسكر .. الرجال يتذرون بأشفطتهم وبالجياود بعضها راقد والبعض الآخر يقف ساكتاً ، تلams فى رفق بوهى تحدق بعيون عمياء فى القمر الساطع خلف الأشجار .

خدمت النار ، فقام الحارس متسلقاً ليحضر مزيداً من العشب ، كان رجلاً بالرغم من عمره الذى لم يزد على السبعة عشر عاماً ، وكان حزيناً لأنه اكتشف الورطة التى وقع فيها (أخبره بذلك الرجال الأكبر سننا ولم يكنوا من إغاظته) . كانوا فى طريقهم إلى المنطقة التى ينتشر فيها وباء «ناجانا» ، ومن المؤكد أن كل الخيول سوف تموت عندما يسقط المطر . فإذا ما ولدت الأفياس الآن ، اشتد عود المهر تحت المطر .

أما وقد وضعت الكستنائية ولديها قبل الأوان ، فمن المحتم أن تتفق مع مهرها عندما يحل الوباء .

شعر الشاب بالمرارة بسبب هذه الخسارة ، فقد كان بإمكانه الحصول على زوجة مقابل الخراف الأربعية التى دفعها ثمناً لهذا الحصان الحالك .

جلس بتراب أيام النار ، متذراً بغيظه ، يتراحمى إلى سمعه غطيط رفاقه ، تتمم : « لا ينبغى للمرء أن يتحمل كل هذا » . ثم توجه بالسياب للنائمين ، وشعر بقليل من الراحة .

غاص القمر بهدوء خلف الأشجار ، وفي مكان ما من السهل انطلق فجأة قطيع من الحيوانات فى عدو شرس ، استيقظ أحد النائمين وأنصلت مع الحارس للحظة وبما لم تكن هناك علامة على ما أفرزع الحيوانات ، سحب الغطاء فوق رأسه مرة أخرى ، تاركاً الشاب لصيته وأفكاره الخاصة ، وظل الشاب يحملق فى الهيب المتضاد ، بينما غاب عقله فى حلم طويلاً أصبح فيه ، بطريقة أو بأخرى ، مالكاً للخيول الثمانية عشرة التى يضمها القطيع وعبد قليل ، نام هو أيضاً .

جذع الشجرة المشتعل يتحول ، شيئاً فشيئاً ، إلى رماد .

ماتت النار ، وبغاب القمر .

عندما استيقظ الحارس كان أحد الأسود قد أصبح داخل حظيرة الشوك بالفعل .

كان المjom مخططاً ومفتداً بإحكام لا يخطئ ، بعد الغروب بقليل ، اختبأ الأسدان واللبؤات الثلاث بين الأعشاب الطويلة ، وعندما حان الوقت نهض أكبر الأسددين وابتعد فى الظلام دون أن يلتفت إلى رفاقه .

سار بخفة فوق الأرض الرملية ، يتحرك بثقة مطلقة ، مدركاً قوته وسرعته ، غير هياب ، شديد العزم لا يرحم ، حام حول الحظيرة من الجهة اليمنى ، بعيداً عن النار ، وفي عكس إتجاه الريح .

بعد قليل ، ظهرت بقية الأسود ، وانتشرت مكونة ما يشبه الهلال ، تسير ، مع اتجاه الريح ، نحو الحظيرة مباشرة ، إنها واحدة من المناورات العديدة التى نفذتها الأسود مرات لا تحصى كل منها يعرف كل حركة من حركات اللعبة .

زيارة عالية من الأسد الكبير كانت إشارة البدء ، اتجه بعدها يميناً نحو الحظيرة .

زار فجأة وأظهر نفسه للفرسية المصودة كى تلتقط رائحته ، فتغير الأقدام الخمسة التى يرتفعها السياج فى قفزة واحدة ، وزأر مرة أخرى وهو يهبط وسط الجياد ، بينما ظلت الأسود الأربعية الأخرى

متحفزة لون حراك.

صهـلـتـ الـجيـادـ ، وـذـارـ الأـسـدـ ، وـانـدـفـعـ الـحـارـسـ نـصـفـ نـاـمـ يـتـعـثـرـ فـيـ قـطـعـ الـفـحـمـ وـيـصـرـخـ . أـمـاـ رـفـاقـهـ الـذـينـ ظـنـنـواـ أـنـ الأـسـدـ قدـ أـمـسـكـ بـهـ ، فـقـدـ هـبـواـ زـاحـفـينـ يـبـحـثـونـ عـنـ رـمـاـمـهـ وـجـابـهـ .
أـجـابـهـمـ الأـسـدـ مـنـ دـاخـلـ الـحـظـيرـةـ مـلـوـحاـ بـمـخـالـبـهـ فـيـ وجـهـ الـجيـادـ الـتـىـ تـنـتـفـتـ حـولـهـ فـيـ هـيـاجـ جـنـوـنـ ،
لـكـنـهـ لـمـ يـقـنـزـ أـوـ يـحـاـلـ القـتـلـ ، كـلـ مـاـ فـعـلـهـ هـوـ مـحـاـلـةـ تـقـادـيـ الـحـوـافـرـ الـذـئـبـةـ الطـائـشـةـ ، ثـمـ أـطـلـقـ ذـئـبـهـ
مـرـةـ أـخـرىـ :

كما كان متوقعاً ، فرت الجياد ، فرس داكنة الحمرة قفزت في فزع محموم لتعثر في أحد الفروع البارزة ، وبصورة عمياء ، تبعتها بقية الجياد ، تحطم في طريقها الأشواك وهي تصرخ وتصهل ، يركل بعضها البعض كي يعبر الفتحة أولاً ، واندفعت خارجية بقوه في فرار مذعور .
وكانت الأسود ، ائضه بين الحشائش ، تنتظر .

أفاق الرجل من المقاومة، غنو النار بالحشائش الجافة وتمكنوا من العثور على أسلحتهم، أمسكوا بحزم النار بدلاً من المشاعل، يقودهم الرجل الذي يحمل سلاحهم الناري الوحيد، بنديقتهم القديمة المربيوطة بأسلاك عريضة، يحاولون السيطرة على الجناد.

تقى الرجل ببطة عبر الفتحة التي أحدثتها الخيول وصوب بندقيته نحو الأسد الكبير الموجود بداخل الحظيرة، توقف بحده وأطلق النار، فقصف المعنوز المعذى حول وجه الأسد الذى شب مزمنجا فى وجه مهاجمه، ويسرعه قفز متعددا يختفى بين الظلل.

حول صوت الطلاقة وصيحات الرجال القلقة اتجاهه نحو اليسار ، بعيداً عن الكمين الذي كان ينتظرها ، وقت أن كانت الأسود تتذهب للقفرن . ودارت الخيول مبتعدة ، تتبخر حواجزها في الظلمة مثيرة الغبار أينما مررت ، وصدر عن إحدى اللبيوات أنّة قلقة. لم تفعل الأسود شيئاً آخر ، وعندما صدر عن قائدها ، الذي كان يقف على مبعدة منها ، صوتاً ينم عن الفشل ، أخذت تتسلل واحداً وراء الآخر وقد تلاشى ، كبرابها.

جاء الأسد الكبير مسرعاً ، وهو يخور ، وعندما انضم إليها ، زأر من أمaca بشدة ، لدرجة أن ثوراً ضالاً كان يتسمى بعيذاً ، انتقض مرتبكاً وانطلق يudo.

خيّم الصمت على الأسود ، وبدأت تتحرك على نفس الطريق الذي انحدرت إليه الخيول ، فلأزال الليل طويلا وهناك فرصة طيبة للإيقاع بهذه الكائنات المستأنسة.

فرت الفرس الكستنائية مع بقية الجياد ، لكنها تذكرت مهرها الصغير ، فدارت الخلف ، تستدعيه بصهلات مالة قلقة.

أخيراً، جاء المهر متعرضاً، يترنح فوق قدميه الخلفيتين اللتين جرحتا أثنياء المطاردة، وهو يرتجف، وكانت رائحة الخطير قد انتقلت إليه من الخيوط، فاندفع معها، غير قادر على تمييز مصدر الخطير بعدها.

هو جسد أمه المريض يلوح فوقه مرة أخرى ، وقد زال الخطر من مخيالاته وتقديم من ثدي أمه برفق يتحسسه كي يرضع.

ـ لكن الفرس «مدركة» أن الخطر لم ينته بعد ، دفعت به جانبها بصبر ناقد ووقيت ، برأس منتصب وأذان مفرودة تتصل إلى الأصوات المتبعثة من بين الأشجار حيث تجري بقية الخيول ومرة أخرى ، أطلقت الأسود زئيرها لتدفع الفرس في قفزات سريعة ، والمهر - يشاركها خوفها - جرى ليظل إلى جوارها ، يتعرّض في البداية ، يتربّح فوق أطراجه اللينة ، لكنه يكتشف في النهاية الإيقاع الغريزي ، ويعدو في الظلام ليجري بحرية وإطلاق إلى جوار الفرس.

قبل أن تبدأ في تقليل سرعتها بالتدريج ، كانت الخيول قد جرت مسافة أكثر من ميل لكنها انطلقت تعدو مرة أخرى عندما عاودت الأسود البعيدة زئيرها من جديد . ميلين قطعهما الفرس وسط الجحيم المطبق للأشجار ، تقطعت خلالها أنفاسها تماما ، أما المهر ، فقد أصبح منهك القوى ، يتنفس بصعوبة وترتعش أقدامه ، وأخيرا ، غاص بجسمه وسط الحشائش الهشة ، وألقى برأسه وفرد رقبته معنا استسلامه الثامن .

اقربت الفرس بعنجه من الجسد المصغير الرخو وأطلقت صهيلاً قصيراً لتحثه على النهوض لعلقت جبهته وأنذنه كما تلعق القطة صغيرها ، وبعد جهد كبير نهض المهر وهو يتربّح .

رضع المهر ثدي أمه بنهم وامتنان .
كان لا يزال يرضع (بحثاً عن الأمان هذه المرة ، حيث كان الجوع والعطش قد أشبعا) عندما عثرت عليهما الأسود الثانية .

كان التحذير الوحيد هو تكسير الأعشاب تحت ثقل الأسود وعندما استدارت الفرس وشبّت على قدميها ، فوجئت بالأسد الكبير طائرا في الهواء . هبط الأسد بساقين نصف منفرجتين ، فوق كتفيهما يلمرق الظهر ويضرب بونه الثقيل على الساقين صرخت الفرس ، وحاولت رفسه لكن الأسد تقادى حوافرها واندفع ثانية ، واثبا فوق الرقبة ليكسر عنقها بضربيه من مخالبه القوية . اصطدمت رفستها الميتة بضلعو المهر ، فدفعت به بعيداً مجرح الرأس ، وامتلاك المكان بأشباح سوداء ثقيلة ، وخيمت عليه رائحة الخوف ، وشق المهر لنفسه طريقاً بين شجيرات الشوك القصيرة ، يدفعه خوف غامض لا يدرك كنهه .

وجهت إليه إحدى البوّات ضربة عارضة أخطأته ، وجرت خلفه عدة خطوات ، لكن خوار الأسد الذي كان يمنق الذبيحة ، استدعاها فترك الحيوان المصغير يلوذ بالفارار .

خلال الليل توغل المهر في البرية ومن حين لآخر ، كان الإنهاك يسيطره إلى التوقف ، لكنه سرعان ما يعاود التحرك ثانية على أثر صوت غصن ينكسر خلفه متذراً بالسوء ، أو انتفاخ عصفور في نومه ، أو صفير ربيع . كانت حركة الهائجة الملقنة هي السبيل الوحيد للهرب مما يواجهه من أخطار .

حل الفجر وقد أوغل في السهل ، يمشي (فلم يعد قادرًا على الجري مطلقًا) بين الأعشاب القصيرة

الهشة التي تتمد حوله إلى ما لانهاية . الكائن الوحيد المتحرك في مرآة إلفراغ اللمعة وبمع خيوط الفجر الأولى ، انحدر نحو مياه الغور كان وحيداً لم يعرف من قبل معنى أن يكون وحيداً . على بعد ظهرت أمامه شجرة التبلدي ذات الجذوع الكبيرة المشابكة ، فاندفع نحوها بالغزارة باحثاً عن ظل يقيه حرارة الشمس التي تسقط فوق رأسه ، كانت الشجرة قد ماتت منذ قرن مضى أفرغها النمل الأبيض ، ولم يتبق منها سوى قشرة من اللحاء الجاف ، لكنها ظلت واقفة كما كانت منذ قرن ، وفي كف صغيرة صنعته فروعها العربية ، ألق المهر بنفسه وبنام .

رقد هناك طوال اليوم ، يكاد لا يتحرك ، رعدة خفيفة كانت تسرى في جسده ، من حين إلى آخر ، لتدل على أنه لا يزال حيا ، وأنه لم ينس الخوف .

وعندما انتصف النهار ، استيقظ ، وانتصب على قدميه بلهفة ، باحثاً حوله عن الفرس ، كان جائعاً ، ولم يفهم لماذا لم تأت لإطعامه ، إنها لم تخيب له أملأ من قبل .

أندر أخيراً أنه لن يجد الفرس ، فحلق رقبته التحليلية في اللحاء الخشن ليقف الألم الذي سببته قرادة تسللت إلى جسده وأختفت بين ثنياه (يعتقد الباتاوانا أن القراد يولد تلقائياً من الغبار ، وربما كانوا على حق) . نهض واقفاً ، واتجه نحو خط أسود رفيع من الشجيرات ، تراهى له على مرمى البصر .

لا يزال الجو حاراً في السهول ، تحول الآن من الجرى إلى السير . كان جائعاً وعطاشاً ، تلاشت ذكري رغبة الأمس ، وصارت كأن لم تكن .

للحاثين من الوعول الحمراء تتدفع ببعد عن الحشائش ، فانتقض في قفزات قصيرة شرسة وفجأة، هرول ابن أولي أسود الظهر ، فتوقف يراقبه عن بعد .

عند حافة الأفق ، غابت الشمس خلال السحب الشاحبة «خلفة وراءها دفقات من اللون البرتقالي والقرمزى ، وما زال الحصان الصغير متوجه نحو الشجيرات البعيدة ، يudo حيناً ويسير حيناً آخر ، عائداً في خط مستقيم مباشرة إلى الأجمة التي انحدر منها الليلة السابقة .

عندما تعرف على المكان من بعيد ، أطلق صهلة فرج ، وانطلق يعود على بعد خمسين ياردة ، توقف في حذر . كانت رائحة الأسد لا تزال باقية بين الأشجار ، مختلطة برائحة الإنسان وشيء آخر أكثر عنونة ، فمال برقبته وتشمم بقلق مبهم .

ظهر القمر ، لكنه كان ينفذ بصعوبة من خلال الطلاء ، حدق المهر مرتاباً في الظلام ، وفي النهاية تغلب الجوع على الحذر ، فأخذ يرفع قدمه بعنابة ، ويقترب . لم يستطع أن يتبيّن شيئاً .

فجأة ، طار نسر ، ضارباً بجناحيه الأنصاف العالية ، قفز المهر وكاد يجري ، لكنه توقف لبرهة فقد اعتاد أصوات الغابة المفاجئة الغريبة . كانت الرائحة المشوهة أقوى من كل شيء ، ما خلفته الأسود من الفرس ، أتت عليه النسور والضباع والذئاب . ومن بين هذه الكومة من العظام المختلطة بالدم ، والأشلاء التي اختلطت بالقداراة ، لم يتعرف المهر على شيء: أندثرت رائحة الموت، إلا أنه لم

يستطيع أن يعرف من الذي مات ، وظل يجهل سر اختفائه الفرس.

مضى الوقت ، وبطبيعة الأشياء ، نسى وجودها.

عند منتصف النهار ، عشر الرماة على الأشلاء ،قادتهم إليها النسور المحومة ، غضبوا وسبوا وأخذوا يقتلون بالحجارة والعصى بإبعاد النسور ، كانوا ، قبل ذلك ، قد تمكنوا من جمع بقية الخيول ، التي ظلت معا طوال الليل ، والتي أنقذها موت الفرس . لم يهتم الرجال كثيراً لفقد الفرس ، فهى قد وضعت مهرها مبكراً جداً بالفعل ، وهى على أية حال ملك لذلك الشاب الذى نام فى نوبة حراسته . بدا لهم هذا عادلاً تماماً ، وصار موضوعاً للتدبر أثناء رحلتهم إلى الشمال الغربى ، بل إنهم لم ينزعجوا حتى فقد المهر ، كان من الواضح أنه ضل ، إذا لم يكن قتل بالفعل فى مكان ما قريب منهم وukan الطريق لا يزال طويلاً أمامهم ، ومهر تعس لا يستحق أن يكون سبباً للتلذخين .

بينما المهر يت sham ما حوله ، خرج من بين الأشلاء ببطء ، ضبع كبير يعرج ، فقد أصيب أحد مخالبه فى معركة قديمة مع أحد قوارض الشيم الشوكية . تعود أن يفعل كل شيء بأرجله الثلاث ، إلا أنها ظلت عائقاً كثيراً فى المعارك . وعندما جاء يقفز بشغف نحو الأشلاء ، كى ينضم إلى رفاقه الأكثر قوة ورشاقة ، كانت دفعاتها ولكنها المزمرة تقده توانه ، فيبتعد إلى ركن ناء ، يرقب الوليمة بامتناع وصمت مرغم . نصبه لايزيدي ، غاليا ، عن بقايا العظام وما يخلفه رفاقه من فتات ، لذلك ، أصبح هزيلاً ناحلاً ، تساقط الشعر الكثيف من حول رأسه ، وأمتلأت رقبته ببقع من الجلد الأحمر العاري .

برغم جبته وحالته هذه ، كان الضبع لايزال حيواناً ضخماً ، يتمتع بعظام طويلة وقوية شرسة . ويانقضاء النهار ، انتابه اليأس وزاد إحباطه ، وكفى عن محاولات الخفية لانتزاع قضمة من اللحم ، وكان مستعداً لتنفيذ غضبه فى أيةٍ ضحية ترسلها المصافحة .

ضاع الحذر ، وضاعت معه مهارات الأسياد ، لو انتظر ، لو مكث فى مكانه ، لنجد الضبع بلا جدال ، فرأته العفنة كانت قد ضاعت وسط الخليط المذهل للروابط الأخرى ، لم يكن عليه أكثر من البقاء هناك ، مختبأً فى تجويف خلوعه المتعرجة ، وانتظار المهر حتى يقترب ، وعندئذ تكتفى اندفاعه وقفزة .

لكن الاقتراب المتزايد لفريسته المأولة زاد من نفاد صبره ، وفجأة ، قفز ممزوجاً وانطلق فى أثر المهر ، انفلت المهر بمجرد سماع الصوت ، لكن هجوم الضبع المفاجئ جعل المسافة بينهما نصف خطوة ، وأصبحت مصيدة الأسنان الصلبة على بعد عدة بوصات من شعر حافر المهر .

جرياً لثلاثين خطوة ، بذل الضبع خاللها جهداً يائساً للحاق بالمهر ، الذى كان يتراجع من جانب إلى الآخر . كما أن الضبع ، باقدامه الثالث ، لم يكن يملك القوة الكافية للقيام بقفزة قاتلة ، ويزمجرة أخرى ، غاضبة وياشة ، كف عن المطاردة ، ووقف يرقب المهر وهو يقفز مبتعداً . أطلق عوile ، وانصرف ، يدوس فى طريقه هيكلاً ظاهرياً لأحد النسور .

ما زال باستطاعة المهر تخيل الرائحة النتنة لأنفاس مطاردة ، ولازال فى أذنه وقع أقدام الضبع وهو

يعدو خلفه ، فر ، بلا توقف ، قاصداً السهول المكشوفة حيث الأمان ، كما تعلم ، لكنه لم يجد الراحة في أي مكان في تلك الليلة ، ولا حتى عندما رأى شجرة التبلدي التي تشبه السجق ، الخروف أولاً ، ثم الجوع ، دفعاه إلى تجاوز الشجرة والسير بعيداً إلى السهول ، حيث ضوء القمر البهيج.

قبل أن يشرق الصباح ، كان قد قطع عدة أميال وهو يسير باطراد نحو الشمال ، وفي كثير من الأحيان كان عنده ينقلب إلى قفر ملهوف عندما يرد على خطاطره أن الفرس موجودة حتماً خلف المترقب التالي . وبالتدريج ، بدأت المروج تضيق . وعندما حل الصباح ، كان قد بلغ حافة الغور الكبير . وهناك وقف طويلاً.

شعر بغربة المكان ، بانسحابه وبروده ، وبدأ يتنتابه الخوف . لكنه كان شديد العطش ، وأدرك أنه في مكان ما لابد وأن يجد الماء . وأخيراً ، هبط ضفة الضحل ، المنبسطة والمملحة . تفتق قشرة الضفة تحت حوافره ، لكن تحت القشرة كان هناك غالفاً من الطمي الجاف ، فاستجمعت شجاعته وانطلق يعدو بطول الضفة . كانت تتتصبب أمامه جزر صغيرة غريبة تنمو عليها الحشائش الخشنة ، وقف على إحداها قطع من الطبياء يرعى العشب . وعند مرور المهر رفع ظبي رأسه ، وفي الحال ، فعلت مثله بقية الطبياء دون أن تتحرك من مكانها ، وواصل المهر سيره أمام الجزء ، وراقبه قطيع الطبياء حتى تضائل بعيداً ، قبل أن يواصل الرعن.

قطيع آخر ، خليط من الأصفر والأحمر ، قفز متقدعاً ، ربما بداع الحذر ، أو لمجرد الابتهاج بالحركة ، اندفع قائد القطيع ، الكبش الكبير ذو القرن الطويلة ، في علو مفاجئ . وبين جهد ، جرى إلى الإمام بقفزات واسعة ليتجاوز المهر ، ضارباً بحوافره لأعلى في سخرية واستهزاء .

بالكاد أدار المهر رأسه .

سار على ضفاف الضحل لعدة ساعات قبل أن يصل إلى منخفض موحّل مطروق ، تبعثرت على جنباته عظام ثور ضال ، أتى ليموت . كان الهيكل العظمي شديد البياض ، وقرن الثور الثقيل متاثر فوق مجسمة البيضا.

تشمم المهر العظام وشرائع الطمي ، ويلهفة ، قفز في الوح الطافي وسط حفرة الماء . وعندما لامست قدماء الإماميتان جاقتها ، انهارت ، وسقط متمدداً في الوح . طفت المياه من حوله . لعقها . كانت مشبعة بالملح ولها طعم الصبار .

أدار المهر رأسه للخلف ، فثاراً رقبته ، وكأنه يقدمها قرباناً للشمس ، وسخرت منه الجمجمة الحائرة بأسنانها العارية .

ظل يصارع في صمت حتى نجع في تخليص أرجله ، وبسرورتين دائريتين طفا وانتصب واقفاً ، ينفض عن جسده الوح الذي علق بجلده ، وهو يلهث .

بعد برهة عاود المسير ، لتعثر عليه الكلاب المترحة.

كانت الكلاب قد حاولت قبل ذلك مطاردة أحد قطعان الظبي ، أملأه دفع إحدى الطياء الضعيفة إلى الغرار ، فتنفرد بها وتلتهمها ، لكن كلبا صغيرا أفزع القطيع قبل أن تتحذذ بقية الكلاب مواقعها ، وفشل التأورة.

احتاط الكلاب المترحة اللامنة بالمهر وهي تتقاذف في تشكيل مفتوح ، بطول قاعدة تتوه يمتد لخارج الغور وتغطيه الحشائش الخضراء ، وعندما لمحته طليعتها يمر عبر النتوء ، انقلبت هرولتها إلى قفز ، وانطلقت بقية الفريق في أثرها وهي تتبع ، لكن المهر دار بعيدا في نصف دائرة ، قم اندفع يائسا إلى الأمام ، إنه يفوق الكلاب في السرعة ولكن ليس في الاحتمال ، لذلك لجأت الكلاب إلى التمط الشائع في المطاردة ، كلب للهجوم وأخر للمناوشة ، وبقية الكلاب في الخلف.

أخذ تتوه العشب يتسع ، خارجا إلى متاهة من الكثبان الصماء ، تقسم حافة الغور إلى سلسلة من المسطحات المكشوفة ، رمح خلالها المهر بحثا عن منفذ إلى السهل الأوسع ، ليجد نفسه في وجه المصيدة .. ممر ضيق بين الكثبان ، ينتهي بحافة عالية ، كان عليه أن يصعد هذا العائق الرملي الناعم ، لكن نباح الكلاب المنزوج بنبرة الانتصار جعلت محاولته لبلوغ قمة العائق مستحيلة.

عبرت الكلاب التقاطع متوجهة إلى اليسار في محاولة لإنزاله ، وهي تتقاذف بأذان مشرعة وسط الأعشاب العالية ، ومرة أخرى ، دار المهر بحدة جاريا جهة اليمين بطول التقاطع مختلفا الكلاب وراءه ، لكن السير كان ثقيلا وسط الرمال الناعمة والخشائش الخشنـة . التي تنتهي بالعواقب والكثبان ، أصابه الإنهاك وأوشك على الانهيار ، ولحقت به الكلاب ، عاد ، مرة أخرى ، تباهـا العـمـيق ، الواشق ، المنتصر ، قمة من الرؤوس الباحـة المـثلـفة تشق طريقـها بين الحـشـائـش.

بعد خمسين خطوة أخرى ، انحرف المهر يمينا وهو يتبع وينزلق فوق الكثبان . وعلى مسافة مائتين خطوة ، توقفقطيع من حمر الوحش المخططة كان عائدـا من بركة الماء المالح ، أخذ القطـيع يـنـقل بـصـرـه بين الكائن المذـهـل الـذـي يـنـدـفعـ جـهـتهـ يـائـساـ ، يـأـرـجـلهـ الطـوـلـةـ المـخـلـطـةـ بـالـوـحـلـ ، وـبـيـنـ مـجـمـوعـةـ كـلـابـ الصـيدـ المـتـرـحةـ الـتـىـ تـنـتـلـقـ خـلـفـهـ . سـهـلـتـ الـحـمـيرـ وـهـزـتـ ذـيـلـهـ ، عـلـمـةـ عـلـىـ الـخـطـرـ.

غـرـيزـيـاـ ، وـيـدـافـعـ مـنـ الـحـذـرـ ، كـانـ عـلـىـ الـحـمـيرـ أـنـ تـجـرـىـ مـبـتـدـعـةـ لـجـرـدـ رـوـيـةـ الـكـلـابـ ، تـارـكـةـ الـمـهـرـ يـلـقـىـ مـصـيـرـهـ ، كـانـ الـنـمـرـ قـتـلـ مـنـذـ أـيـامـ مـضـتـ وـاحـداـ مـنـ جـوـشـهـ ، وـمـنـذـ ذـلـكـ الـحـينـ لـمـ تـكـفـ الـأـلـاتـ الـتـكـلـيـ عنـ الـبـحـثـ عـنـهـ . وـيـمـثـابـرـةـ وـدـأـبـ ، حـاـولـتـ اـجـتـذـابـ جـوـشـهـ أـخـيـراـ فـيـ صـورـةـ هـذـاـ الـحـصـانـ الـضـالـ ، الـذـيـ يـخـفـيـ الـوـحـلـ صـدـ وـعـزـوفـ ، وـيـبـيـدـوـ أـنـهـ قـدـ وـجـدـ ضـالـتـهـ أـخـيـراـ فـيـ صـورـةـ هـذـاـ الـحـصـانـ الـضـالـ ، الـذـيـ يـخـفـيـ الـوـحـلـ مـلـامـحـهـ ، فـانـسـلـختـ عـنـ الـقـطـيعـ الـحـذـرـ مـطـلـقـةـ صـيـحـةـ اـبـهـاجـ ، وـانـدـفـعـتـ حـوـلـ الـمـهـرـ .

كان قائد القطيع ، بجلده الدايم وربقته المقوسة ، يقف خلفها ، فلقا ، أطلق الفحل صرخة تحذير من

منفريه لكن الآتان تجاهلتها واستمرت في عدوها نحو المهن، صاغراً، تقدم الفحل وتبعد بقية القطيع خمسة وأربعين حماراً، بينها ستة جحوش(ليقيم خطأ مانعاً أمام المهاجمين.

تمايلات طليعة الكلاب، ثم أبطات السير، فعلى الرغم من أنه يسهل إثارة الخوف في قطيع من الحمير بحيث يهرب، مضحيها بأحد أفراده فإن الكلاب تعرف من التجربة أن قطاعها تحت المراقبة ومحاصراً مع جحوش صغيرة يحميها، يشكل تحدياً هائلاً، فضوري طائشة من تلك الحوافر الفاجرة قد تطلق باقرة بطنها أو مهشمة رأساً، لذلك، قفز أحد الجراء الصغيرة قفزة حذرة، توقف بعدها نصف رايس، يرقب المهر وهو يقفز باتجاه الحمير المخططة، وينظر الكلب إلى رفاته فيما يشبه الاعتدار، بينما هيبيت بقية الكلاب بأربادها صانعة حوله نصف دائرة وهي تلهث بالسنة تتحرك كالملوك، وأعينها الصفراء الباردة على الفريسة التي غابت.

تشممت الآتان جسد المهر بلهفة، كان هناك شيءٌ غريب، رائحة غير مألوفة تتبع من جسده، لم تتجه طبقة الوحل في إخفائها تماماً، استدارت غاضبة، وابتعدت، أما المهر، فقد التقط رائحة الأم المنبعثة من اللبن الذي ينذر من حلماتها، نظمها، تواقاً لإشباع جوعه، ناذد الصبر لتلكؤها، وأخيراً، استسلمت الآتان.

شرب حتى امتلاء، ووقف متثاقلاً يتدلّى رأسه بين ركبتيه، ثم عاد ورضع مرة أخرى، والقطيع ينتظّر على مضمض، تقدمت بعض الآتان لتشمّمه، لكن أمّه بالتبني استدارت إليها مبعدة إياه بقدميهما الخلفيتين، وأخيراً، أعطى الفحل القائد إشارته، وتحرك القطيع.

سار المهر مع القطيع، يمشي برفق إلى جوار جسد الآتان الذي يبعث في نفسه الطهارة، يلكرها بخطمه من حين لآخر، لا بسبب الجوع (فقد كانت بطنه ممتلئة ومشبوبة كالطلبة) وإنما ليؤكد لنفسه أنَّ اللبن لا يزال موجوداً، بعد أن ظل محرومـاً منه لثلاثين ساعة مضت، وقبل أن يصل القطيع إلى حافة الضحل، شعر بالغثيان بسبب اللبن الخيفي الذي لم يعتده، لكنه، ولردة أخرى، رضع بهم، باحساس بالاتجاه لايختلى، قاد الفحل الكبير قطاعه إلى حيث يضيق الدغل وتقل أخطار الكمان، قاصداً المرعى المعتمد.

كان المهر صغيراً، غير قادر على الرعي، وعندما أراد أن يررضع ثانية، لم تستسلم له الآتان التي جف لبنيها، وببعضه حازمة، أبعدته، وقف حزيناً يرقب الفحل الكبير وهو يرمي بالقرب من قطاعه، وعندما اقترب منه، رفع الحمار الكبير رأسه وحملق فيه بعينين شاحبتين حمراوين، قفزع مبتعداً، رأى المهر الحمير الصغيرة وهي تلعب وسط الحمير الكبيرة التي كانت منهكة في الرعي، مثيرة الجبلة والوضوء، توقفت الحمير لرآه، وأخذت ترقّبه في فضول، وخلال أسبوعين، هي كل عمره، أصبح في طول معظهما، لكن دون قوتها وعضلاتها، فقد استثرت أرجله ورقبته بمعظم حجمه.

أراد أن يشارك في اللعبة ، لكنه لم يحفظ المسافة ، تضاربت الجحوش وتراءكت بحماس الحمير الكبيرة ، وبعد فترة ، ويسبب ألم في ضلوعه ، قرر أن ينتحي جانباً ويرقب اللعب عن بعد ، وواصلت الحمير لعبها ، متتجاهلة إياه في الوقت الذي كان ينتقل فيه القطط ، خطوة خطوة ، فوق العشب ، هنا على الأقل ، كان واقعاً من أنه في مأمن.

قضى القطط ليلاً في بركة ضحلة أسفل «ماكارى كارى» ، كانت الحمير المخططة في شركة مع عدد كبير من القوقيز (ظبي جنوب أفريقي ، رشيق القفز مرحًا أو نعرا) ، المهاجر نحو الجنوب لأناساً مدفونة في ذاكرة موروثة ، وأثناء الليل ، فزع القوقيز عند مرور جماعة كبيرة من الأسود ، وعلى الرغم من أن الفحل الكبير قفز عند سماعه صرخة التحذير الأولى والحوافر التي تزار ، إلا أن الخوف لم يتسرّب إليه ، كانت الأسود راضية ، بعد أن قتلت تيتلا إفريقياً ضحكتا في مكان ما جنوب الضحل وأكلته ، وكان الفحل ، بشكل أو باخر ، يدرك ذلك ، لذلك وقف ، وهو يراقب الأسود ، رزينا ، فخروا ، كاشفاً عن مكانه أربعة عشرأسداً في صرف واحد ، بأحزنتهما الفضية الرمانية ، تعبر عمر الحيوانات بالطول .

هل كان مستاءً من القوقيز ، أم هو في عجلة من أمره ؟ الفحل الكبير لا يعرف الإجابة بالضبط ، كل ما يحس به هو أن الوقت قد حان للانتقال إلى منطقة جديدة ، فالملطرون قليل هذا العام ، وخشائش السهول صفراء ، جافة ، متكسرة ، وما زالت حفر الماء ، التي تخفي حولها الخنازير بعيدة .
حان وقت الرحيل ، وبعد أن اتخذ قراره لم يتعدد الحظة . وبدلًا من الدوران للخلف ببطء ، ياتجاه منطقة الرعي المعتادة ، قادرقططه إلى الجنوب الغربي ، عبر مروج الداتورة إلى الأرضي الصحراوية حيث تمتد بقایا سيقان الحشايش على مدى البصر ، وطوال المسيرة كان القطط ينضم إلى قطعان أخرى شم ينفصل عنها ، وينضم مرة أخرى ، وهكذا .

آلاف الحيوانات تضمها مسيرة هذا الشتاء ، تهتدي بالجري المتعرج للنهر القديم الذي يمتد لأميال عديدة شرقاً وجنوباً ، يندفع أسفل طوفان المسيرات وبين التلال العالية الثالثة . وهنا ، يصل عرض المجرى إلى ثلاثة ميلًا وطوله إلى سبعين ، حيث يفقد ، فجأة ، قوة الدفع والهدف ، ينقسم ويدور حول نفسه ، مكوناً مجاراً ومستنقعات ضماء ، حتى يختفي نهاياؤها في رمال الصحراء .

كان الخيار البري ينمو بغزارة ، تنتشر سيقانه على الأرض فيما يشبه السلسلة . أما نخلات الملاكانى ، فقد بدأ عليها آثار بداية القحط . ألف ، بل ربما مائة ألف من الحيوانات (فالعين تعجز عن عدّها) المنحدرة إلى طريق الهجرة القديم ، تتلقاها الصحراء ، تصفر حولها الربيع الغريبة ، بطيبة فارغة ، تتبع بالأيام المجرقة ، والسماء فوق الرؤوس مثل أسطح الأفزان .

برغم هنا بدأت الحيوانات لعبة الهجرة ، خارجة إلى الفراغ ، مستسلمة بلا تفكير للقوانين التي تنظم نورة حياتها ، عجلة الحياة والموت الكبيرة التي تضمن بقاها النهائي .

وعندما حان الوقت ، توجه الفحل أيضا بقطيعه نحو الصحراء ، وذهب معه الحصان .
كان المهر محظوظا من عدة أوجه ، فالسيير كان بطيناً وقطعته العديد من الاستراحات الطويلة كلما
توفر الظل . كما أن الآتان سمح لها بالرضاة ، وهو ما يقاوه حيا ، فهو لا يملك القردة الجسمانية للحمير
المخططة ، والتي تمكنتها من السير طويلا بلا ماء . كان الأمر أكثر مشقة بالنسبة للجحوش الكبيرة ، التي
فطمت منذ حين ، وماتت ثلاثة منها خلال الأسبوع عند مرور القطيع بمنطقة من النهر أصابها الجفاف .

أما الحيوانات الكبيرة فقد سقط منها اثنان ، ماتا ، أو قتلتهما الكواسر التي كانت تتبع مسيرة
الهجرة ، ومات كذلك العديد من الطرائد الأخرى ، من أبقار «الكود» الوحشية والتياط ، وحتى من
القوز الأحمر القوى الذي يقطن المناطق القاحلة .

لكن الفحل الكبير استطاع ، بمزيج من الحظ والدهاء والحكمة ، أن يصل بقطيعه دون خسائر كبيرة
 فهو لم يترك حميره تتسلك عمياء بغير هدى أملأ في الحصول على الماء ، ولأنه علم أن لاماء هناك ،
فقد دفع بها نحو الغرب بخطى غير سريعة ولا متارخية ، أما تلك التي سقطت ، فإنه لم يأسف عليها أو
يحزن لمصيرها .

ومع نهاية الشتاء ، وصلت مقدمة المسيرات . انتهت الانحدار البطيء لأرض المستنقع بقنوات المياه
الهزيرة وخلوط البرك الراكدة بين البوس والأشجار المشابكة . وهناك ، أصبحت الحيوانات في مواجهة
مع الفراغ والنمور التي تمارس الفحش كل مساء ، وسط ظلمة الأشجار المقضة .

شعر الحصان بابتهاج عظيم في الماء . إذ عندما اقترب القطيع من «القناة» ، حاولت الآتان منعه برأس
ممدود غاضب ففشل ، ولأن الفحل الكبير غير بارع في فنون المهارة والرشاقة – الأمر الذي مكنته من
البقاء لخمسة عشر صيفا قبل أن يبكي بهذا الحصان العنيد – فقد كان ناقد الصبر أمام أي تأخير وبعد
أن راقب المهر ، للحظة ارتباك القائد الكبير ، بفضول ورأس ممدودة ، انسل بعيدا عن الآتان متوجها
نحو الماء .

ما أن بلغ المجرى حتى انزلق في الوحل ، مباغعا بين رجليه ، بصورة جعلت بطنه المترتجج يغوص ،
محدثا صوتا يدفع أي حيوان إلى الإختباء ، وباحساس بالنصر ، غير مبال من خوفه ، تمرغ في الماء
الموحل ، بينما الآتان على الشفة مهتاجة ، قلقة ، ووقف الفحل يرقب ما يجري بوقار ، مقوسا رقبته ، فقط
عندما أشبع المهر رغبته ، أخرجته صهيلات الأم المحببة ، غير نادم على ماتفاق .

خلال رحلة الصحراء الطويلة كان معظم الوحل الذي التصق بشعره قد تساقط . والآن ، أذاب
الاستحمام ماتبقى منه ، خلال شهرين ، بدأ لونه الحقيقي يظهر، رماديَا داكنا ، موروثا عن أبيه العربي ،
مع خطوط لامعة تحت الشعر لاظهر إلا في ضوء معين ، أصبح مظهره وراثته مالوفين الآن بين القطيع
، ولم تعد الحمير تنفر من الفرق الواضح :

استأنفت الحمير المخططة طريقتها القديمة في المعيشة ، متكيفة دون جهد مع طرق واحتياجات هذه

الأرض الخضراء السعيدة.

كان القطبيع يتحرك في دائرة كبيرة بين أماكن الماء ومناطق الرعي ، راضيا مسرورا غير عابٍ بمشاق الرحلة إلى أماكن الماء التي كان عليه أن يقطعها مرة في منتصف النهار وأخرى في المساء ، قبل أن يتحرك ليلا إلى السهول المشبوبة . وكانت الحمير تحتمي من حرارة الظهيرة بالرقد تحت الفروع المتتشابكة ، فتتوب علاماتها النحاسية وتختفي في الأحمر النهبي للظلال.

من حين لآخر ، كان الصيادون المحليون يمرون بها ، في طريقهم إلى الأنهار الكبيرة ، وغالبا ما كانوا يتوجهون نحو المخططة لأن أعدادا كبيرة منها تتوافر بالجنوب ، وهم ، على أية حال ، إنما يسعون وراء ظبي « العلن » الأفريقي الضخم ومهاه 「 الجمزوبوكا والخيول والأفيال ، لمبادلة جلودها وأنيابها مع التجار البيض.

وعلى الرغم من لونه المميز ومعرفته الذهبية التي جعلت رقبته تبدو أكثر نحافة من رقبة الحمير ، لم يهتم الصيادون بالحسان الصغير ، وحتى لو لاحظوا آثار أقدامه للمساء بين أقدام القطبيع المخططة ، فلربما حسبوها آثار قطبيع مشترك مع الوعول.

من حين لآخر ، كانت مقدمة القطبيع تقترب من حواف المياه حيث أعوداد البوص أطول من رأس الفحل من ظبي صغير ينطلق مصفرأ كي يحدُّ رفاته.

كان على الحمير ، في معظم الأحيان ، أن تفسح الطريق أمام الأفيال الآتية من غاباتها ، تعدو باتدام ثقيلة خرقاء وجلد متعدد ، لتشرب وترش الماء مثل أطفال متوجهين يرتدون ملابس الحداد . كانت الأفيال تشك لساعة أو أكثر ، بينما القطبيع يقف بعيدا في نصف دائرة ينتظر دوره ، بحذر ، ثم ، وببطء تتحرك الأفيال مبتعدة ، نصف دائمة ، تتوقف من حين لآخر لتقصم فروع الأشجار الصغيرة بوفى النهاية تختفي بين الظلال مثل أشباح رمادية . بعد رحيل الأفيال ، كان على الطرائد أن تتساعف من حذرها وهي تتناوب النزول إلى الماء والطلوع منه ، مثل فرق من الراقصين الأدمعاء . أما الحسان الصغير فقد وقف بصبر نافذ ينتظر اللحظة التي يفلت فيها من الآثار ليضع حدًا لهذا التقليد من الحذر المضطـك.

وذات صباح ، عند منتصف الصيف يوكان المهر قد بلغ شهره السادس ، التقى القطبيع بالأفيال مرة أخرى عند منطقة المياه . كان القطبيع كثير العدد وكان على الحمير الانتظار لساعات طويلة حتى تأخذ الحيوانات الضخمة كفايتها وترحل وانتظر المهر على مضمض وبعد انصرافها انطلق كعادته ، يهبط الضفة قاصدا الماء.

في الحال ، أدرك أن شيئا ضخما وخطيرا يشاركه الماء ، رأى دوامة ثم ، وبسرعة ، تكسر سطح الماء خلفه بصورة مفاجئة ، رفس يائسا في كل اتجاه ، لكن أينما ذهب رفساته يكون الشيء قد اختفى بالفعل ، ليندفع مرة أخرى محدثا سحبة شديدة تحمل الحسان لحطوتان بعيدا عن الضفة ، حاول ، لامثأ ، أن يعمم عكس انسحاب الماء.

في مواجهته ، انشق الماء عن رأس موجل لوعل صغير ، فاضطرب بشدة ، فتح الوعل فمه وقذف مابه من ماء وثغا بohen . كان الدم يسيل من جرح في عنقه ، صانعا نوamas ورديبة بطيبة فوق سطح الماء ، وفيما بينه وبين الضفة ، كان التمساح يطفو ويغوص ويبلوى مثل ثعبان .

منذ أقل من دقيقة ، وفي فجوة بين حائط البوس العالى ، أمسك التمساح ، الذى كمن منذ الصباح ، صابرا صامتا كالموت ، بالوعل ، كان الوعل يسير على الضفة بخفة وحوالى وجلة ، وظل لمدة طويلة يحملق فى البوس ، وفي النهاية ، انحنى ليشرب حيث فوجئ بالتمساح بهاجمه ، سريعا ، مندفعا ، لايعرف شيئا . وقبل أن تتصدر عنه ثامة ، أمسك بالوعل من رقبته وغاص به فى الماء .

سحب التمساح الوعل إلى كهف فى المياه العميقه أسفل تجويف الضفة ، حيث قفز المهر إلى الماء ، وهو يطرطش فى كل الاتجاهات مثل فرس النهر أو فيل جاء طالبا الثأر ، وهذا ما جعل التمساح يترك فريسته ، الوعل المتسلل ، لحزنه الدامى . لكن الطمع سرعان ما تقلب على الحذر ، فطاها استعدادا للغوص ثانية ، لأن حياته تسارى حاجته .

ظل التمساح متخبطا للحظة يتجرج وسط التموجات التى أحدثها ، تنتقل عينيه فى تردد بين وجبة مضمونة وفريسة محتملة ، لكن الوعل حدد مصيره عندما ثنا مرة أخرى بصوت واهن حزين ضائع ، ليجدب إليه أعين التمساح الباردة المحملقة . زفر التمساح الهواء بقوه ، كما لو كان ينبع عجزه عن ابتلاع أكثر من قضمته فى وقت واحد ، ثم أطبق بفكه مرة أخرى على الوعل المنك وذهبها معا تحت الماء محدثين دوامة عظيمة .

تحرك المهر باتجاه الشط وهو يسبق ، ينتقض فوق الماء ، كما لو كانت نارا . رحبت الآنان الثائرة بالهير بسهلهات فرح ويعنقها اللين مسحت على ظهره الرطب وأجتابه فى لهفة وحنان ، ولوهله ، وقف الفحل الكبير يراقب ما يجرى ، ثم دار محتدا يضرب الأرض بحوافره .

فى اليوم نفسه ، هاجم القطيع بسرب من الذباب البنى كانت الحمير ترقى فى ظل الشوك الخطافى المتشابك ، هربا من وهج الشمس ، وظللت الذيول الطويلة المخططة تصضر وتصضر فى الشوك المدبب لكن الذباب اللحوم لم يدعها تخرج إلى شمس الظهيرة إلا على مضمض وحثى فى الخلاء ، ويرغم الوهج المحرق ، تتبعها لفترة قبل أن يدور عائدا ، بحثا عن الظل مرة أخرى وعن فرائس جديدة .

لدغ المهر أكثر من مرة ، وخلال الأسبعين التاليين ، هام القطيع بعيدا باتجاه الشمال ، مونغلا نحو موطن ذباب التنسى تنسى ؛ وفي محاولاتها لاتقاء الحرارة فى ظل دغل ، كانت الحمير تلتقي من حين لآخر بالذباب ، وأخيرا تعودت على ذلك ، وأصبحت تناام والذباب ، بطيئته المعهود ، بعض مؤخراتها .

لم يكن المهر ليتسامح مع تلك الحشرات المزعجة ، فكان يجدد جلد حاركه العضلى الذين ليطردتها ، أو يهز رأسه ضجرا كلما تحلق حول عينيه ، وعندما ينقد غضبه ، كان ينفلت وحيدا في قفز مجنون ، بحثا عن الشمس الشافية ، وبعد أن مكثت الحمير لأسبعين ، دار القطيع خارجا من منطقة الذباب ، بتحرك

يترو عائدا إلى السهول الواسعة النظيفة ، حيث المراعي الغنية .

وفي صبيحة أحد أيام الأسبوع الثالث ، كان المهر قلقاً ومضطرباً ، وعندما توجه القطط نحو الماء شب على قدميه الخلفيتين وسقط يتدرج إلى أسفل ، توقفت الأتان : ثم جرت عائنة تحت المهر على النبض ، محيرة أيام على السير الذي توقف بعد خطوات معدودة.

في تلك الآثناء و توقف القطيع أيضا . البعض من أفراده يحملن خلفه والبعض الآخر يأكل بذراع ،
وعندما انضم المتأخرون ، بدأ القطيع يتحرك بخطى بطيئة ، كان المهر لايزال راقدا بالخلف ، فدفعته
الآثان ب neckline إلى الزمام .

عندما بلغ القطيع الماء شرب المهر قليلا منه ووقف يحمل طويلاً في القناة الموجلة وفي اثنين من الطيور تطير بسرعة وتحمل في مناقيرها بعض الحشرات .. عاد يتسلق الصفة متثاقلاً، وتعثر لأكثر من مرة، ثم ألقى بنفسيه تحت أقرب ظل صافحة وقد هدء التعب. كانت عيناًه غائمتين، وفقد شعره بريقة العتاد.

بعد برهة جاءت الآثار ووقفت فوق رأسه وتصادف مرور الفحل بمعرفته الدائرية الغليظة ، وهو يخب
بثقة واعتزاز بالنفس . نفع في جسد المهر الواهن . ثم دار حوله بحثا عن خطر وهمى في الماء ، وعاد
ونفع مرة أخرى ، موحها إلى الآثار عصبة يملأ قمه واستدار متبعا .

لكن الفحل لم يسر بالقطبيع كالمعتاد . ومكثت الحمير ، أثناء النهار ، بالدغل ، قريباً من عين الماء ، تتحرك في هلوء بين شجيرات الشوك ، وترعن مثل الأغنام وفي الليل ، عندما أجبر على الخروج بالقطبيع إلى المروج المكسوفة خوفاً من الأسود ، عاد الفحل بمفرده ، قاطعاً المر ببطوله ، يسير بعين مفتوحة وأذان مشرعة ، إلى حيث وقفت الأتان بلا حراك إلى جوار المهر الذي ذهب في غيبوبة . وقف يحرسهما طوال الليل حتى ابىق المجر الأحمر.

طوال تلك الشهور التي أُضعف فيها وباء «ناجانا» عضلات الظهر، وفقدت الحمير إلى جواه صابرة تستحمل مرتين يومياً في نفس المكان (كان الفحل من الدهاء بحيث لا ينزل بهم يومين متتاليين في نفس الميدان، مدركاً بالغريزة والخبرة أن التكرار هو بداية الاعتياد .. وهو ما ينتهى بالموت وسط تلك الفقار) ترتع، على، مسافة ميل من نبع الماء، تستحقن في، تقديمها باليتم مساحات الحشائش، القصبة اللذينة.

ويفضل بقائه بجوار عين ماء صهراوية مع آثار متوجهة ، وحتى بدون وسيلة لوقف المرض ، يمكن المهر من الشفاء ، بل والنمو السريع ، لم يتحقق له الشفاء ، والقرحة فحسب ، بل ازداد جمالا ، بمعرفة فضية وشعر معدن ، منتصف ، عضلات مقسمة مشدودة ، خطوة ، شقيقة قيبة.

مررت شهور طويلة قبل أن يتفض عنده أثار المرض ، وعندما فارقته الحمى كان هزيلاً مثل خروف ولد لتوه يتلذى بجلده الكابي فخسقاً حول عظامه ، لكن بالتدريرج ، امتلاً جسمه ، وعندما استرد عافيته أصبح نداً للحمير المخططة وهي تهيم ببيط عائنة إلى الجنوب حيث المراعي النضرة التي سيكتمل

بفضلها شفاؤه .

عاد يجري ويقفر وسرعان ما أصبح قادرًا على مجازاة الجحوش في طرقها إلى الأمام ، والحقيقة أنه ، في خلال عام ، وبرغم عدم تمام شفائه صار أكثر عرضًا وتقلد من أي من الجحوش التي تكثّر بثلاثة أشهر ، وأكثر من نصفها في القوة والدهاء ، صار قائدها المطلوع ، وأكثر وحشية ودرامية من أي منها ، وأكثر ميلًا لمضايقة الفحول الصغيرة والتحرش بها ، وكان مضطراً ، من حين لآخر ، إلى اللجوء إلى الآثار ، طلباً للحماية من فعل يهدى خلفه وهو يسهل غاضبًا ، القائد الكبير كان الوحيد الذي يتمتع بحسنة خاصة ضد هذه المطاراتات الثابتة ، فحتى الحصان كان يتعامل مع هذا الكائن المرعب ، ذي العينين الحمراوين ، بحذر واحترام ، ولسوف يدمه صدامه بالفشل ، يوماً ما ، زعامة الحصان ويثبت شجاعته الانتحارية .

هو، موسم الأمطار الثاني ، خلال عبورها الصحرا ، يأتي ، ولرة ثانية ، يجيء المطر شحيحاً ، بلا سيل ، ليجرّ القطيع على التحرك بعيداً باتجاه الشمال .
أصبح عدد أفراد القطيع الآن ستة وخمسين حماراً ، بعد استبعاد الجحشين اللذين سقطا في الربيع مسافاً إلهمما الموتى المنسيين في الصحرا ، كان العدد مع ذلك كبيراً ، وبذل عدد غير قليل من الفحول محاولات خفية للانفصال مع عدد من الآثار الراغبة في ذلك ، لكن الفحل القائد ، الذي حافظ على مركزه التمييز بقوّة يحسّد عليها ، تمكن في معظم المرات من إحباط تلك المحاولات .

غالباً ما كان انتباهه الشديد سبباً في التأخير (في مرات كثيرة كان القطيع يضطر للبقاء عند الماء ساعتين أو ثلاثة) والذى كانت العصير تتحمّله دون مبالغة . أما الحصان ، المستوى من السلالة والطبع ، فقد كان يغيّره هذا الانضباط الجبان ، وإن ظلت اللحظة الجامدة مع التمساح في الماء حية في ذاكرته ، وإن يخاطر ثانية بعين مغمضة ، إلا أنه لم يجد مبرراً لهذا الاحساس الكهنوتي بالمسؤولية عند الفحل فكان بمجرد أن يقرر أن لا يخطر هنالك ، ينفلت متوجهًا نحو الماء دون توان .

لم يكن الأمر سهلاً دائمًا ، إذ سرعان ما كان الفحل يتخد وضعه ، فيتقدم الصفوف لإحباط أي محاولة فجة للخروج على النظام ، موقعاً عليه عقباً قاسياً ، وكان لبقاء الحصان ليومين ، يعرج على قدميه الخلفيتين ، أن يعلم فضيله الدهاء والمكر ، وأصبح يكرر نمط الحركة المتفق عليه رسميًا بالخلاص ، مثل خطوات معقدة في رقصة تقليدية .

قاد الفحل قطيعه باتجاه الماء ، وعيشه على ضفة النهر المتعددة والسهل الكثير التعرجات ، والحالى إلا من اثنين من الجمنزيوك ، تشريان بتأنٍ ، تقدم بحذر ، والقطيع خلفه ، تتبع المسافات بين أفراده بسبب المشاكستس الدائرة بين الآثار وبعضها .

دار الحصان بمفردته مبتعداً نحو الدغل ، جرى ملائتى خطوة ، ثم انحرف مع اتجاه الريح ، ليبطئ الخطى فوق الرمل الثقيل ، أمامه ، وجد ممراً آخر (تنتشر هذه المرات بكثرة قرباً من الماء) وبدأ تردد ،

انطلق يعبره مسرعاً ، كان الدغل من حوله ، هادئا تماماً ، ولا يزال الجو حاراً وسط الأشجار العالية . وعلى بعد بوسط الأشواك النضرة ، كانت حمامات تهدل بصوت خفيض .

بلغ الخلاء الواقع عند انحناءه .. النهر مرة أخرى وهو يسير في الاتجاه الذي ترك فيه القطبيع ببحث عن الحمير . وعندما لم يجدها ، شعر بقلق ، ثم رأها وهي تنسلب بمؤخراتها فوق شجيرات الشوك ، تحملق بيصرها في حافة الماء .

متحيراً من اهتمامها المشلول ، استدار الحصان كذلك ليمعن النظر .

وبينما الحصان واقف وسط الدغل ، ظهر عند الماء ثور كبير يسير بمفرده بجرت الجمزبوكة خائفة وبعناد مقاجي ، عادت ثانية ببطء ، باقتعتها الموهنة وقرونها الهائلة التي تشبه السيف ، التي تضفي عليها مظهراً فظلاً يثير الفضول وبين الحين والحين ، تلcken إحداها الأخرى كما لو كانت تحذرها من الانسحاب .

كان الثور شريداً ، طرده قطيقه ليهيم وحيداً ، وكان حاد المزاج برمي الجمزبوكة ، وهي تقترب ، بازدراء برعهان فيها قليلاً ، ثم هز رأسه هزة خفيفة كما لو كان يطرد ذبابة .

وعلى أثر هذا التحذير تراجعت الجمزبوكة قليلاً لأنفس ، لكنها لم تتوقف تماماً ، إذ تقدمت ثانية بحد وقوونها مشرعة إلى الإمام مثل السيف ، تتمايل بخفة من جانب إلى الآخر لحمامة أجسامها . زأر الثور نافخاً الهواء «جف .. ر.. ر.. ر» ، وأندفع نحوها بقوة ، دارت الجواميس على أرجلاها الأربع مثل قحط ، وفي قفزة شامخة ابتدعت ، تتحرك عضالتها بعنومة تحت شعرها الملمس وأندفع الثور بغض خطوات أخرى قبل أن يدرك أنه يطارد الريح ، فنزل متثاقلاً ، يدفع كتفيه ويهز رأسه بقباء ، ليتجه في آخر الأمر إلى الماء .

وفي الحال ، أدرك الجمزبوكة أن المطاردة انتهت ، فرجمت ، ظلت تلعب لدقائق ، تتشابك قرونها ثم تنفصل ، في استعراض مبهر للمهارة والتوازن ، ثم يبتراخ ، عادت لمشاسكة الثور ، قفز ضجراً ، مهدداً ، ومرة أخرى يفر معدبه مبتعدين وهو يضربون الأرض بحوارفهم ، وبعد حين ، تعب الثور من اللعب ، وانصرف يدمدم غاضباً بحثاً عن مكان آخر يشرب منه .

راقب الحصان المناورة وهي تتكرر أمامه أربع أو خمس مرات حتى أصابه الملل ، رفع رأسه وأطلق تجية للحمير الواقفة بين أدغال الشوك ، استدارت بعضها برؤوسها ، بينما كانت غالبيتها منهكة في العرض القائم عند الماء ، فلم يتلق منها رداً على تحيته .

برشاشة كسوة ، انصرف الحصان يقفز الحوائط العالية للأخدود الذي أحده المطر ، يسير بتؤدة نحو الخلاء ، سار يقاد المشية الملوثة المغروبة للجمزبوكة ، بينما الثور يسير أسفله عائداً من مهمته خالي الوفاض .

وقف الثور الكبير واستدار برأسه ، يحملق غاضبا في المتلقل الجديد ، ويارتباك ضرب بحواره في الأرض ، ودار بجسده الاسطوانى الفضخم ليواجه الحصان الذى توقد أيضا لينقى الهواء من رائحة الماشية العططة.

فى هذه اللحظة ، دارت رؤوس جميع الحمير إلى تلك الناحية وعلى مسافة مائة خطوة وقفـت الجمزنيوكـة مبـاعدة بين قوائـها الخـلفـية ، تحـملـق دون حراكـ.

شارـ الحـصـانـ نحوـ المـاءـ ، يـتحـسـنـ طـرـيقـهـ فوقـ الـرـاحـلـ الزـالـقـ.

لم تـكنـ المسـافـةـ بيـنـهـماـ تـزـيدـ عـلـىـ الخـمـسـ عـشـرـ خطـوـةـ عـنـدـمـاـ قـفـزـ الثـورـ ، بـعـدةـ ، مـحـدـداـ هـدـفـهـ بـعـينـ

واحدـةـ مـثـلـ صـيـادـ يـصـوـبـ سـلاـحـهـ ، دـافـعاـ بـقـرـتـهـ المـثـبـتـ فوقـ رـأـسـهـ الـذـيـ يـشـبـهـ خـوذـةـ المـحـارـ.

لـكـ الحـصـانـ الـذـيـ يـحـمـلـ ، بـالـرـوـاثـةـ ، سـرـعـةـ وـخـفـةـ أـسـلـافـهـ الصـحـراـويـنـ ، مـطـاـياـ جـنـودـ الـأـمـرـاءـ الـتـيـ

حـنـكتـهاـ الـحـرـوبـ ، تـقـادـيـ ضـيـراـوةـ الـقـفـزةـ الـأـلـىـ الـمـخـيفـ ، وـغـاصـ علىـ كـفـلـهـ إـلـىـ الـخـلـفـ ، وـبـيـرـوـدـ ، رـاقـبـ

انـحرـافـ الـقـرـنـ ، وـفـيـ آـخـرـ لـحـظـةـ ، مـالـ جـانـبـاـ ، بـأـرـجـلـ مـتـرـاقـصـةـ ، بـدـاـ جـسـدـاهـاـ مـتـلـاصـقـانـ لـلـحـظـةـ ،

صـامـيـاتـ بـلـ حـرـاكـ ، يـلـفـهـماـ الـقـبـارـ وـرـمـلـ الـمـتصـاعـدـ بـعـدـ ذـلـكـ ، اـبـتـعـدـ حـثـ الثـورـ وـهـوـ يـخـورـ ، رـافـعـ رـأـسـهـ ،

كـاـشـفـاـ عـنـ صـدـرـهـ وـرـقـبـتـهـ الـضـخـمـةـ بـمـنـ خـلـفـهـ استـدـارـ الحـصـانـ لـيـرـقـبـهـ ، وـبـيـدـوـ أـنـ الـقـفـزةـ ، بـرـغمـ فـشـلـهـاـ قـدـ

حـفـقـتـ مـنـ غـبـبـ الثـورـ ، إـذـ تـحـولـ عـوـنـ إـلـىـ خـبـ ثـقـيلـ ثـمـ سـيـرـ ، وـابـتـعـدـ عـنـ الـنـهـرـ بـوـنـ أـنـ يـتـلـفـ حـوـلـهـ .

وـبـهـدـوـ ، وـتـوجـهـ الحـصـانـ نحوـ المـاءـ ، وـبـعـدـ قـلـيلـ تـبـعـتـهـ الجـمزـنيـوكـةـ وـالـحـمـيرـ الـمـخـطـطـةـ .

تبـخلـ الصـحـراءـ بـمـاـ تـقـدـمـهـ مـنـ دـلـائـلـ عـلـىـ تـغـيـرـاتـ الـحـولـ وـالـمـطـرـ الـخـفـيفـ ، الـذـيـ تـبعـثـهـ الـعـاصـفـةـ ،

لـيـسـ إـلـاـ مجـرـدـ تـأـخـيرـ لـظـمـاـ الـمـحـتـومـ بـوـكـانـ الشـتـاءـ الـذـيـ اـسـتـهـلـ بـهـ الـحـصـانـ عـامـ الـرابـعـ هوـ سـادـسـ أـعـوـامـ

الـجـفـافـ ، وـبـفـضـلـ نـشـاطـ الـفـحلـ وـحـسـنـ أـدـائـهـ لـوـاجـيـاتـهـ ، اـسـتـطـاعـتـ الـحـمـيرـ أـنـ تـنـمـوـ وـتـعـافـيـ وـفـيـ الـبـداـيـةـ ،

وـبـفـضـلـ سـهـولةـ الـحـيـاةـ فـيـ أـحـواـضـ الـأـنـهـارـ هـذـهـ ، تـزـيـدـتـ أـعـدـادـ الـفـصـائـلـ الـأـخـرىـ ، لـكـ الـرـعـىـ بـدـأـ يـنـفـدـ

تـدـريـجيـاـ ، وـتـزـيـدـتـ أـعـدـادـ الـضـبـارـىـ وـهـوـ مـاـ حـفـظـ الـحـيـاةـ الـبـرـيـةـ تـواـزنـهـ .

قادـ الـفـحلـ الـعـجـونـ قـطـيعـهـ إـلـىـ سـهـلـ وـاسـعـ ، يـمـدـ أـسـفـلـ تـلـ صـخـرـىـ صـغـيرـ ، تـكـوـنـتـ تـحـتـ أحـدـ جـوـانـبـهـ .

الـأـحـجـارـ الـمـنـكـسـرـةـ ، كـانـتـ هـنـاكـ قـطـعـانـ ضـخـمـةـ مـنـ فـصـائـلـ أـخـرىـ تـرـعـىـ رـاضـيـةـ تـحـتـ شـمـسـ الـظـهـيرـةـ .

وـاعـتـقـدـ الـحـمـارـ الـعـجـوزـ أـنـ كـلـ شـئـ عـلـىـ مـاـ يـرـامـ ، بـالـرـغـمـ مـنـ وجودـ هـيـاـكـلـ عـظـيمـةـ وـسـطـ الـحـشـائـشـ الـعـالـيـةـ ،

لـمـ يـلـاحـظـهـ رـيـماـ ، أـوـ رـيـماـ تـجـاهـلـهـاـ وـعـنـدـمـاـ غـابـتـ الشـمـسـ ، تـحرـكـ الـقـطـعـانـ تـدـريـجيـاـ نحوـ الـغـربـ ،

مـبـتـعـدـةـ عـنـ التـلـ الـوـحـيدـ .

فـيـ الـحـالـ وـمـعـ أـخـرـ ضـوءـ الشـمـسـ ، هـبـطـ الـقـمـةـ الـمـنـبـسـطـةـ لـلـتـلـ صـفـ مـنـ الـأـشـبـاحـ لـثـمـانـيـةـ أـسـودـ ،

أـجـبـرـهـاـ الـحـرـ عـلـىـ الرـقـودـ فـيـ مـكـانـهـاـ طـوـالـ النـهـارـ ، تـرـقـبـ الـفـرـائـسـ عـنـ بـعـدـ ، وـرـاحـتـ الـأـسـودـ ، بـهـدـوـ وـبـلـاـ

تـهـورـ ، تـهـبـطـ الـحـنـياـ الـمـنـحـدـرـةـ بـيـنـ الـصـخـورـ ، وـكـانـ بـيـنـ الـأـسـودـ اـثـنـانـ مـنـ الـأـشـبـالـ ، يـشـارـكـانـ فـيـ الـصـيدـ

لأول مرة وقد بدا لها الأمـر كله بسيطاً ومثيراً للغاية، لم يعرـف الجـوع من قـبل، فقد كانت الأسود الكـبيرة قـادرة على القـدحـنـى عـلى بعد عـدة أمـيال مـن التـلـيـنـاـمـاـ أـرـادـتـ . وـخـلـالـوقـتـ مـبـكـرـ مـنـ المـسـاءـ ، سـرـتـ فـىـ الـجـوـ نـسـمـةـ خـفـيـةـ، لـكـهـاـ اـخـتـفـتـ قـبـلـ مـنـتـصـفـ الـلـيـلـ بـوـعـمـ هـذـاـ رـكـودـ الـمـطـلـقـ ، شـعـرـ الـفـحـلـ بـقـلـقـ بالـغـ، فـهـوـ بـدـونـ الـقـدرـةـ عـلـىـ الشـمـ ، مـثـلـ مـحـارـبـ فـقـدـ دـرـعـهـ ، أـمـاـ الرـؤـؤـةـ وـالـسـمـعـ ، فـهـىـ دـفـاعـاتـ أـقـلـ أـهـمـيـةـ ، خـصـوصـاـ وـأـنـ اللـيـلـ كـانـ مـظـلـماـ إـلـاـ مـنـ ضـوءـ شـحـيـعـ مـنـبعـثـ مـنـ الـقـمـرـ الـفـضـيـ .

عادة ما تكون الحمير ، سواء في حركتها أو توقفها ، كثيرة الفوضاء والتملل ، دائمة الشجار فيما بينها . أما في هذه الليلة فقد وقفت صامتة ، وكأنها تشعر باهتمام قائلها وعندما توقف فجأةً بآذان متنفسة ورأس كالبندول يبحث عن خطير محتمل ، انتاب القطيع صمت مباغت ، متأنها للانطلاق عند أول إشارة . لكن شيئاً لم يأت من وسط الظلمة وبعد غياب الريح ، قدر الفحل التقدم بخط مائل ، عكس الاتجاه الذي كانت تأتي منه الريح وبهذا قاد قطيده نحو الشمال الغربي ، بدلاً من الحركة الأوسع خلال السهل ، ليسير ، دون أن يدرك في نفس الطريق الذي تستخدمه الأسود وهي تقتفي أثر فراشتها .

كان الطريق يمتد بطول حافة شجيرات الشوك المدببة ، التي تتخذ هيئة رأس حربة طويلة تبرز خارجة باتجاه السهل وبالقرب من قمة الحرية ، وقف بيـنـاـ، النـوـ» ذو القرنيـنـ المـعـقـوـفـينـ ، الـذـىـ اختـارـ هـذـاـ الرـكـنـ من البرية مكاناً لاعتكافـهـ اللـيـلـ الدـاـمـ، يـاتـىـ إـلـيـهـ كـلـ مـسـاءـ مـعـ حـلـولـ الـفـسـقـ ، وـيـظـلـ هـنـاكـ حـتـىـ الصـبـاحـ . عندما كان الفحل جحشاً صغيراً ، عاش مع قطيده عيشة مشتركة ، لفترـةـ ، مع فـرـيقـ منـ «ـالـنـوـ» وـكـانـ دائمـاـ مـاـ يـشـعـرـ بـالـطـمـائـنـيـةـ لـرـأـيـ روـسـهـاـ الـمـوـطـرـةـ بـالـبـرـوزـاتـ ، وـالـآنـ ، يـبـدـوـ النـوـ العـجـوزـ الصـامـتـ ، بـلـونـهـ الأـسـوـدـ وـحـلـقـتـهـ الـمـقـصـودـةـ فـىـ الـأـغـرـابـ ، رـمـزاـ لـالـلـأـفـافـ وـالـيـقـظـةـ ، لـدـرـجـةـ أـنـ الفـحـلـ فـقـدـ بـعـضاـ مـنـ حـدـرـ وـبـدـأـ يـرـعـيـ : يـرـعـيـ رـأـسـهـ مـنـ حينـ لـآخرـ لـيـنـيـرـ إـلـىـ النـوـ هـذـاـ ، بـالـرـغـمـ مـنـ آنـهـ لاـ يـشـمـ وـلـاـ يـسـمـعـ . تـحرـكـ الأـسـوـدـ بـهـدوـءـ شـدـيدـ ، لـاـ يـمـكـنـ مـعـهـ سـمـاعـ خـطـوهـاـ حـتـىـ فـىـ السـكـونـ وـكـذـلـكـ كـفـتـ الـأـشـيـالـ عـنـ صـخـبـهاـ ، لـكـنـ خـلـيـطاـ مـنـ الـأـشـيـاءـ الـمـالـوـفـةـ وـالـأـحـاسـيـسـ وـالـإـدـرـاكـ الـغـرـبـيـ حـذـرـ الـفـحـلـ بـصـورـةـ لـأـخـطـىـ . يـعـطـيـ أـىـ إـشـارـةـ ، وـبـعـدـ أـنـ أـمـعـنـ النـظـرـ ، مـنـ خـلـالـ الشـجـيـرـاتـ ، فـىـ خـطـ الـغـيـارـ الـبـاهـتـ الـبـادـيـ فوقـ الـمـشـىـ . تـوـقـعـ ظـهـورـهـاـ . لـاحـظـ وـلـاحـظـتـ مـعـهـ الـحـمـيرـ ، مـيـلـاـ لـلـهـدـنـةـ فـقـدـ أـنـرـكـتـ الأـسـوـدـ مـنـ طـرـيـقـ سـيـرـ الـفـحـلـ آنـهـ عـلـىـ عـلـمـ بـوـجـودـهـاـ وـهـوـ «ـمـنـ جـانـبـهـ» ، يـعـرـفـ أـنـهـاـ لـنـ تـحاـوـلـ الـهـجـوـمـ إـذـاـ مـاـ يـدـرـ مـنـهـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ مـعـرـفـتـهـ بـوـجـودـهـاـ .

بـطـبـيـعـتـهـاـ ، كـانـ الـهـدـنـةـ مـؤـقـتـةـ وـمـنـ طـرـفـ وـاحـدـ . إـنـ أـجـلاـ أـوـ عـاجـلاـ ، سـيـاتـيـ ، إـلـاـ آنـهـ ، وـلـحـينـ حدـوثـ ذـلـكـ ، عـلـيـهـ أـنـ يـظـلـ وـاقـفاـ ، يـرـقـبـ الـأـسـوـدـ الـذـهـبـيـ وـهـىـ تـخـبـ مـنـصـرـفـةـ فـىـ طـرـيـقـهـاـ إـلـىـ مـيـدـانـ الصـيدـ . اـنـتـظـرـ ظـهـورـهـاـ فـوـقـ الـمـشـىـ كـالـعـادـةـ ، وـعـنـدـمـاـ لـمـ تـظـهـرـ فـىـ الـحـالـ اـزـدـادـ قـلـقـهـ ، وـطـفـرـ ، يـدـفعـ الـحـمـيرـ كـيـ تـنـظـرـ إـلـىـ أـعـلـىـ فـىـ حـدـرـ ، وـسـرـعـانـ مـاـ اـسـتـهـادـ هـدوـءـ وـقـفـ يـحـمـلـ بـاـقـدـامـ مـشـدـوـدـةـ ، وـيـشـيـ منـ الـمـعـانـىـ ، تـحـركـ الـفـحـلـ مـبـتـعـداـ قـلـيلـاـ ، يـحـمـلـ فـىـ «ـالـنـوـ» الـعـجـوزـ حـيـنـاـ ، وـفـىـ شـجـيـرـاتـ الشـوكـ وـمـنـهـ إـلـىـ

المشى الشاحب ، حيناً آخر . لم ير شيئاً بين الدغل أو خلفه.

بعد حين انساق القطط وراء الفحل الذي استائف الرعي ، يتوقف من حين لآخر ليحملق في الأشجار المشبوبة . كان حذرا ، وإن لم يكن مهتماً بحال وفي الخلف قريباً منه ، وقف الحصان بلونه الرمادي الفضي ، وفجأة ، رفرف طائر الزقزاق من بين الحشائش ، مطلقاً صرخة ذعر مخذلة ، وفي الحال ظهر في أثره أسد يزمر.

شب الفحل محاولاً الإفلات عبر فجوة إلى يساره ، وعلى الفور ظهر أسد ثان ، ينطلق فوق رقعة من الرمال ، دافعاً الحمير بعيداً باتجاه الدغل ، اتصف القطط وراء الفحل وجري خلفه ، مجتازاً «النو» الذي وقف يتقدّر ويزمر بارتباك ، ثم يندفع بقرنه مهاجماً أعداء وهبيين ، ومرة أخرى ينقطع طريق الهرب . فمن بين الأعشاب ، ظهر شبل صغير يعترض طريقهم باكتافه العالية ، وهو يكشر عن أنيابه ، دار الفحل ، واندفع القطط خلفه بعصبية.

اندفعّة سريعة بين الأسود ، كفيلة بإيقاظ الحمير ، فالضواري على مسافة مائة خطوة منها ، والفاصل بين كل أسد والأخر أكبر من هذا ، وهو ما يستحيل معه سد الفجوة بالسرعة الكافية ، لكن الفحل ، فقد أعمصاته والسيطرة على نفسه «اللحظة ، زعق بحدة ، وتوقف ليشب كي يتقادى المهاجمين نوى اللون الأسود المصفر بقعراتهم الواطئة والنف القطبي حوله في سعار ، قاطعاً عليه أىأمل لقيادته إلى بر الأمان.

وتقدمت الأسود؛ منهكة ، مستينة.

أصبح السبيل الوحيد للخروج الآن هو عبر شجيرات الشوك ، وبالفعل ، توجهت الحمير إلى هذا الطريق في فرار تسوده القوسي ، وجرى الحصان مع الآخرين بلا إرادة ، وفي الدغل المتاثر الأشجار ، كانت هناك رائحة لاذعة لأسد ، ذكرته فجأة بليلة بعيدة جداً ، وأصابته بالفزع ، صرخ ، ثم ارتفع بجسده لأعلى وسقط مرتكباً وسط الأشواك ، وعلى بعد خطوات قليلة ، انحرف أمامه فجأة حمار صغير ، وفي مواجهته ، استطاع الحصان أن يرى الشبح الأصفر برابضاً ، لسعت الرائحة المخيفة خياشيمه فجأة . وصوبت العيون الفضية نظراتها اللامعة إليه مباشرة ، جفل ، وابتعد يعنف.

كثثر الأسد عن أنيابه ، وتحول إلى فعل صغير آخر جاء يتعرّث خلفه ، واصطدم الأسد ، في قفّرته السريعة ، بالحصان الذي كان يستدير في تلك اللحظة ، فأصابه بمخلبه ، مخلفاً خطأ دامياً يعرض الكلف ، نظّر الحصان إلى الأمام كمن مسه قضيب من الحديد شديد الوهج ، ومن خلفه أطلق الحمار صرخة مقاجئة وهو يقفز بعيداً ، وخلف الحصان ، ظهر ، مرة أخرى ، مرج مفتوح ، فقفز آخر حاجز من الأجرام وانضم إلى الحمير وهي تجري متّعة عبر السهل الحريري ، تحت سماء الليل المنبسطة ، تتبّع مرحًا ، احتفالاً بنجاتها.

وفي الخلف ، عند فتحة الدغل ، كان الشبان يتصارعون حول جثتين لفحل أتان .. الفحل قتل في

الكين ، أما الآتان فقد أوقع بها أحد الأسود الثلاثة التي جاءت ورائها وهي تحاول الفوز خارج الدغل وهما هما الأسد ذو المعرفة الكبيرة ينبع في عمل فتحة في بطنها ، وهو يزوم ، محاولا الوصول إلى الكبد . وفي معركة الدغل ، توقف فجأة ابن أوى بظهره الأحمر ، مصوياً جبهته كالمطلب ، رافعاً أنفه الدقيق في الهواء يرتعش متيهاجاً .

بعد ليلتين من واقعة القتل ، اتجه الفحل بقطيعه نحو الغرب ، إلى حيث حافة البحيرة الكبيرة التي جفت منذ سنوات وتقطلها الأنحصار . وفي الأفق البعيد ، عند انبساط البحيرة ، كان هناك ستة أشباح تدور باتجاه السماء المتلاقة ، مثل دخان حي يغزل سلاسل معقدة وأشكالاً أخرى ، تفصل حيناً وتأتلف حيناً آخر ، يتغير شكلها ولونها بانتظام ، كانت أسراب ضخمة من طيور دقيقة ، خرجت أثناء النهار عابرة البحيرة بحثاً عن الغذاء ، وهما هي الأن تعود إلى الدغل لتبيت (بالرغم من أن هذا النوع من الطيور خفي في مثل الريشة ، إلا أنها تتلاصق في الأعشاش بعدها كبيرة لدرجة أن الفروع تتكسر أحياناً تحت ثقلها) .

في تلك الليلة ، وسط المنخفض المكشوف ، ومن دون قطعان الفصائل الأخرى ، انفردت الأسود بالبحير المخططة وقتلت آثاناً ثانية . كما فعل أحد الجنود خلال القراء غير المنظم الذي تلا ذلك ، وفي اليوم التالي قتل آثاناً من الضباب جحشاً آخر ، خلال الأسابيع الأربع التالية ، وبينما القائد العجوز يواصل مسيرة نحو الغرب ، كانت الحمير هدفاً لقتص منظم لا يرحم .

في الليلة التالية ، ومع مطلع القرن الكثيب ، كان القطيع قد فقد ستة عشر حماراً ، منها آثاناً من الجنود ماتا خلال القتال والاحتلال والضرب المعتمد بين أفراد القطيع ، والذي أصبح فجأة خطراً مميتاً ، فخلال السنوات العشر التي تولى فيها الفحل الكبير قيادة القطيع ، بعد هزيمته للقائد السابق في إحدى المعارك ، لم يظهر من بين أتباعه من يملك الشجاعة ولا القوة الكافية لتحديه ، أما الآن فيبدو أنه أصبح لا يتمتع بالحسنة ، ولم يعد الشجار مجرد لعب . لقد انتصر وتحقق له القيادة في زمانه وفق قواعد وأصول ، وحسب نفس تلك القواعد لابد أن يخلو مكانه في زمان آخر ، وأن تحل به الهزيمة .

كانت المشاجرات تتندلع فجأة وبلا سبب أثناء رقدة الظهيرة أو المسيرات الليلية ، وغالباً ما كان يحدث هذا في أماكن الماء ، والغرماء (آثاناً في الغالب) على الرغم من أنهما يتضامنان في أوقات كثيرة ضد آخر ، إلا أنهما ، بعد انسحابه ، يتحولان لمواجهة أحدهما الآخر ، يندفع الواحد منهم بـ بلا حذر ، يرفس ويضرب ، أو يشب لعنة كتف مكشوف ، مطلقاً صيحات غاضبة .

وفي نهاية المطاف ، بـ ز حمار صغير عدو ، كأقوى المتنافسين ، أكثر طولاً وأثقل وزناً من بقية الحمير ، كان في حجم الفحل تقريباً ، والقاسم المشترك في معارك الفحليين اللذين قتلا ، كان يدخل المعرك معهما إما منفذاً أو كقائد لحليف متهمها في مواجهة الآخر ، كان صغيراً وقوياً وشديد الثقة

بنفسه ، بعض الحمير الأخرى ويطردها بعيدا ، ومرة بعد أخرى سلمت بمكانته، وبزهو واعتزاز ، بدأ يغازل الآتان.

راقب الفحل العجوز المناورات الخبيثة بتحفظ ، وعلى الرغم من ثقة الحمار الصغير الشديدة بنفسه إلا أنه لم يكن راغبا على مابيده في تلك المواجهة الخطيرة . سنتحت له أكثر من فرصة لمنازلة الفحل الكبير ، لكنه في كل مرة كان يتفاداه بحركة مخادعة ، ويبعد عابسا برقبة ممدودة ، متقدانيا نظرات غريمه الباردة ، وفي النهاية ، قرر القائد العجوز أن يبارس بالتحدي .

كانت الحمير عند حفرة ماء مساء يوم شديد الحرارة ، واحد من تلك الأيام العاصفة التي تعرفها تباشير الصيف حيث تبدو السماء وكأنها تحيط الأرض برباط ضاغط .

النهار يملم بقاياه وينسحب ، والشمس تقوض تحت السحب المتاثرة التي تتسلل مبتعدة عن الشمال الغربي . (كان موسم الأمطار على الأبواب) ، ومنذ ما قبل الفجر بقليل ، صار الجو ، وللمرة الأولى ، باردا ، وانتابت الحيوانات حيوية غير عادية ، وهي تعبر عن تحررها من أسر الشمس التحاسية .

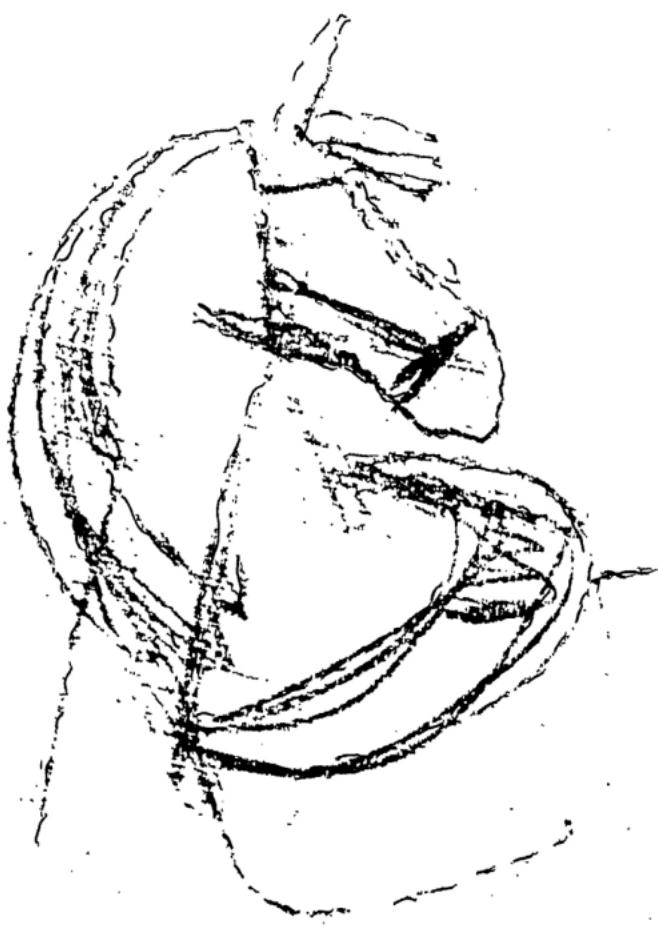
وبعد أن فرغت الحمير من شربها ، انطلقت تلعب وتشaks بعضها البعض فوق الرقعة المبلطة ، يتتردد صدى صيحاتها المجلجلة في أرجاء السهول الساكنة . وفي هذه المرة لم يحاول القائد العجوز حثها على المسير . لم يجد اهتماما بتنظيمها من أجل الإيواء الليلي . نزل إلى الماء لمرة واحدة ، وبعد أن شرب قليلا تهادى إلى أحد الإجذاب ، وظل واقفا هناك بلا حراك .

في هذه الاثناء ، من الفحل الصغير عائدا ، ببراعة ، من رحلة الشرب الثالثة وبعد أن انتهى من اللهو مع الآتان .

حانت اللحظة التي كان ينتظرها . لحظة بعمره كله . اختبار آخر لمكانته ، بعدها إما أن يظل عظيميا قويا كعهداته ، أو يخلع السبيل لمنافس جديد . وبكل ما أوتي من قوة ، انطلق القائد العجوز . امتصت الرمال الناعمة ، التي داستها أقدام كثيرة ، صوت حوافره لدرجة أن الفحل الصغير فوجئ بالعدو مباشرة حاول أن يدور على قدميه الخلفيتين ليتلقى الهجوم ، لكنه ترافق ، وجه الحمار العجوز إليه ضربة مباشرة في الصدر جعلته يتدرج فوق التراب . وكمثل قط ، قفز القائد خلفه يدب حوافره وأسناته في الجسد المخطط السمين الغاضب ، كما لو ، كان يسحق في الجسد انتصار الشباب الذي لامفر منه .

صرخ الفحل الصغير من الخوف والغضب ، وخلس نفسه من تحت الحوافر الحادة ، لم يتمكن من هذا إلا بالتدحرج إلى الوحل الأصفر الزلق ، حيث يعجز مهاجمه عن الاحتفاظ بتوازنه والکسر في وقت واحد . وعند ذلك ، انسحب الحمار العجوز مبتعدا ، بأرجل مشدودة لم يطالها الوحل ، ووقف مثل بغل حرون ، ينظر وقد تدللت رأسه .

بعد فترة ، استجمع الفحل الصغير شجاعته وحاول العودة إلى الأرض الجافة ، حتى يتمكن من



مواجهة غريمه على قدم المساواة ، وفي الحال ، قفز القائد العجوز ، مبدلا خطوطه في اللحظة الأخيرة ، ليمسك بالفحل من كتفه ، ومرة أخرى جذبه من قدمه ، مستغلًا سرعته ووزنه التثليل ، ودفعه إلى الماء ، فتدحرج محدثًا طرطشة شديدة ، ثم اهتز مبتعدا بهدوء يجرجر أقدامه . وكان القطبي يراقب ما يجري مسنتعا وكان الأمر لا يعنيه لثلاث مرات ، حاول الفحل أن يصل إلى الأرض الجافة الصلبة وفي كل مرة يدفعه الحمار العجوز بنفس التقان الشالي من الشفقة . وفي النهاية كف عن المحاولة وخاض مسافة في الوح، بجلد مبلد بالوح ينزف منه الدم في أكثر من موضع بوكابة واضحة تعلو وجهه.

لم يكن الفحل راغبًا في استمرار المعركة ، كان دائمًا بفعل البصريات العديدة التي تلقاها فوق رأسه ، مزعوبا من التماسك الذي أبداه الحمار العجوز أثناء القتال وبعد أن لع جراحه لفترة ، عاد إلى القطبي ، عابسا متباطئا ، مبديا استعداده لإقامة سلام . لكن القائد العجوز يعلم باقتناع مطلق ، من الخبرة والخبرة ، أن هناك وقتا واحدا لهذا ، وأن هذا الوقت هو الآن .

انتظر وقد أدار رأسه بعيدا ، بينما الفحل يقترب متربدا . وبعد أن اختار اللحظة بدقة ، هجم مرة أخرى ، ومرة أخرى كان يتمتع بميزة السرعة ، إذ أن تجراه السايبق فوق الضفة ، والذي بدا بلا هدف ، أفسى به إلى الأرض العالية .

في هذه المرة ، كان الفحل قادرًا على القفز وتلقي الضربة ، فتلقي الجسدان بقوة سمع معها الصوت المكتوم لارتفاع اللحم والعنق . أصاب الاصطدام كلهم بالدور والألم . لكن القائد العجوز أخفى هذا ، واستعاد توازنه بصعوبة قبيل أن يندفع مرة أخرى ، بصمت ووحشية .

بالإضافة إلى خوفه الطبيعي ، زاد هذا الإلحاح المريع واللامبالي من هلع الفحل . كان لديه يقين الشباب بالبقاء والثقة في العضلات والأعصاب التي لا يمكن أن تكون ارتعاشتها خادمة . كانت معرفته وليدة الموت والتحلل ، وإذا فهو لن يعرف اليائس حتى رأسه للعاصفة ورقد أرضًا ، يتزرع على ظهره ، رافعاً أرجله في الهواء عالمة على التسلیم .

اندفع الحمار العجوز ، مكشرا عن أسنانه كاشفا عن بطنه البيضاء المائلة للصفرة ، يطلب الأعضاء التناسلية للفرح . لكن الفحل ، مدراكا نواياه ، جفل فجأة ليتفاوه ، ولم تفز الأسنان سوى بنسيره من الجلد من فوق ضلوعه .

قبل أن يمكن الفحل من الوقوف على أقدامه ، استطاع القائد الكبير أن ينشب أسنانه في جسده أكثر من مرة ، ابتعد إلى مسافة لا يمكن معها اللحاق به ، يتألم متخيلاً مما يحدث جري ، ثم توقف يرقب القطبي عن بعد ، وهذه المرة لم يحاول العودة .

ويرأس محني في وقار ، اعتلى الحمار العجوز الطريق مبتعدا عن الماء ، أما القطبي ، فقد تهادى قليلا في شكل دائري ثم تبعه مطينا .

سار الفحل الصغير كذلك ، تاركاً مسافة بينه وبين ذيول القطيع ، أما القائد العجوز فقد تجاهل وجوده ، وأثناء الليل ، وتحت النجوم المظلمة ، تبع الفحل بقية الحمير ، لكنه لم يحاول الانضمام إليها .
وعندما حل الفجر كان قد رحل .

ربما لأن المطر نادراً جداً ما يأتي ، فقد أرسل بعلمات تبشر بوصوله ، فها هو النمل يتسلق المرتفعات العالية بحثاً عن أرض جافة كي يبني قلاعه الطينية والطير الهائمة جاءت هي الأخرى مبكراً لتختار أعلى الفروع فرق الشجيرات التي تحد المجرى ، الجافة التي تستصبح أنهاراً عما قريب والسماء لا أثر للغيوم فيها . رائعة بصورة يتعدر فهمها ، أصبحت أكثر نعومة وشحوناً بحرارة الشمس أكثر لطفاً . ثم جاءت السحب ، عالية ومضيئة في البداية ، مجرد شيب خفيف يمر عبر الزرقة ، وبالتدريج ، ويوماً بعد يوم ، تتحول إلى رعن للأمل والحياة . تسير مع الريح الجنوبية الغربية في طوابير ، بمآخرات زرقاء مائلة للسمرة وجباها وبرية ، تصعد إلى أعلى فاعلي صوب السماء اللامتناهية ، تتسلق الأفق بتناقل ، وبتتابع صعودها إلى ما لا نهاية .
وأخيراً ، جاء المطر .

بعد هطوله ، ولفتره ، تبدو الصحراء خضراء تسر العين ، ومبشرة بمستقبل آمن . الحشائش تنمو بسيقان طويلة طرية ، ممثلة بالحب ، يهزها الريح فتتماوج مثل بحيرة واسعة ، ووسط السهل الصفراء تنمو الأزهار التي تخلب اللب .

سوف تذبل الخضرة بعد حين ، وتذوي البراعم ، لكنها كافية الآن ، ولفتره قادمة .

بجمي المطر ، داخل الحمار العجوز القلق .

لقد هام بقطيعه شمالاً وجنوباً ، مع المسيرات ، على مدى ثلاث صيفيات وثلاث شتويات ، وهذا هو الصيف الرابع انقضى نصفه ، أصبحت الحمير تعرف كل ركن من أراضي النهر تقريباً . والمهور الإناث عشر ، التي تخب بأرجل قوية ثابتة ، ولدت في مثنه الواقع ،وها هو القحط قد ذهب ، وجاء المرعى غنياً وفرياً كما في البداية .

ومع ذلك ، ما زال الحمار العجوز يشعر بالتعاسة ، فالمعركة التي دارت مع الفحل منذ شهور ، كان لها آثارها ، والضلوع التي أصبت أثناء هذا الصدام الكريه لم تبرأ بعد ، وخلفت أوراماً غليظة تحت جدهه . ولربما كانت الآثار غير المرئية أشد إيلاماً فقد أصبح على علم يتقنه في السن وضعفه .
الآن ، ودون أن يعرف لذلك سبباً ، يتوقف بشدة إلى القفار المتعددة والغور الكبير الذي خرج منه بالقطيع منذ قصور مختنق القوة الخامسة التي لا تقاوم ، والتي دفعته ليخرج من الغور ، تقوده الأن العودة إليه ، الشهر ، هام على وجهه ، ينتابه قلق متزايد .

وبصورة غير ملحوظة ، أصبحت الدورة اليومية البطيئة بين الماء والغذاء تتجه نحو الشرق ، متخذة شكل حازانياً .

ويوم أن بلغ القطيع الحدود الخارجية ، امتدت الحركة الحلوذنية لاتصفي اتساعها يومرة أخرى ، مال القطيع إلى أرض الظمة ، حيث الفراغ بائلوانه المحرقة والشمس فوق الرؤوس مثل جرس عظيم النوى ، مخلفاً زراعة الأرضي الخضراء والماء.

لكن عبوره هذه المرة كان أسهل بصورة لا تقارن ، كان المرج غنياً ، والماء يفيض من آبار رملية ، حفرها دب النمل وقوارض «الشهيم» الشوكية ، ثم هجرتها.

في وقت ما ، عندما تصبح المجرة نحو الشرق شاملة ، لا بد وأن تتفقى الضوارى من الأسود والكلاب المفترسة والنمور وستانير «الوشق» ، أثر القطيع ، أما الآن ، فالحمير ما زالت تعيش آمنة في الغرب.

وفي بوادي الشتا ، انفتح الدغل أخيراً على الغور ، يمتد على مدى البصر ، فضياً لاما ، تغمره الشمس بأشعتها ، بحيرة ، بل بحر ، يزدحم بالأنهار الفياضة من أقصاه إلى أقصاه ، مسطح يمتد لخمسة آلاف ميل مربع من الماء ، تتناثر على طول شاطئه جزر قليلة من البوص ، تمعج بأعداد ضخمة من طيور الماء ، تعمل بحماس لا ينقطع.

عندما أقترب القطيع بحدٍر ، كان الماء داخل المسيرات ، دانماً ما تترضه القنوات أو يتدفق متتجاوزاً الأنهر أو تحجزه البرك ، لم يكن مفتوحاً أبداً أو متسعًا مثل هذه البحيرة ، فاجأه ما يشبه هبة الريح ، وطار من الضاحل سرب ضخم من طائر «البشيروش» صانعاً سحابة وردية ، جعلت الحمير تطلق صهالت التحذير لرأها وتنطلق في نصف قفر.

جرى الحصان معها ، لكنه ، بمفرده ، توقف بعد خمسين خطوة واستدار ، باذان مشرعة ومضلات متوردة لينظر إلى العصافير الوردية وهي ترتفع ببطء ، كان بالأمس مهراً ، أما الآن فهو يقترب من الرابعة من عمره ، حصان رمادي داكن اللون ، أصلقته الحياة القاسية ووصلت عدوه له معرفة ذهبية مناسبة ، شاعت بعد رحلة العبور خلال المروج والأدغال . وقف يراقب طيور «البشيروش» لمدة وهي تخرج من الدغل . ثم ، وبخطوات طويلة نشطة ، ذهب خلف الحمير.

على مشارف الدغل ، أبطأت الحمير من سيرها ، فامكن للحصان اللحاق بها دون جهد . جرى حتى أصبح في المقدمة بجوار القائد . استداراً معاً نحو حافة الغور ، يسيران جنباً إلى جنب والقطيع يسير خلفهما بخطوات متزنة وفاصل متباunda.

ثلث الحمير تسير حتى اتصف النهار ، عندما اكتشفت استحالة الدوران حول الماء المتد في يوم واحد أو حتى في بضعة أيام ، فانحدرت باتجاه أحد الخلجان الصغيرة . كان الماء عكراً ، لكنه كان قابلاً للشرب ، سوف يصبح مالحا وممراً ، بعد فترة ، عندما تكتف المياه العذبة عن تعويض ما تبخره الشمس ، لكن هذا لا يزال بعيداً الآن ، وهناك ما يكفي من الماء.

عند الوصول إلى الماء ، توقف الحمار العجوز تماماً . لكن الحصان ، بفضل وشجاعة شابة لا سلطان له عليها ، واصل هبوط الضفة . ووجهت بعض الحمير لقادتها نظرة عابرة ، ثم انسلت نحو الضفة الموجلة خلف الحصان ، ووقفت تشرب إلى جانبها.

ولم يتحرك الفحل الكبير.

خلال الجزء الأخير من الرحلة ، شكل مع الحصان شركة غير مريحة ، فالحصان يفوقه طولاً بقدم وزناً بعده مئات من الأرطال . صحيح أنه لا يملك قوة الاحتمال أو المعرفة الغريزية للملوك الوحشى المحظوظ ، لكنه كان أقوى وأسرع في العدو وأكثر ذكاءً ومكراً ، ولهذا ، صار كل منهما يعتمد على الآخر . الحمار يستفيد من حذر الحصان الشديد كدرع ضد الضغط الذى بدأ يتسلل ببطء إلى نظره وسمعه والحصان يحتاج حكمة القفار التي يتمتع بها الحمار.

والآن ، يتوقف الحصان عن الشرب ليتنظر حوله متربقاً نزوله وعند ذلك فقط نزل القائد العجوز بخطوات بطيئة متکبرة ، وتبعه بقية القطبيع.

ولثلاثة أيام متتالية ، هام القطبيع بين الحنايا الواسعة لضياف الغور ، وأصبحت حركة الحمير من النبات بحيث لا يمكن تغييرها ، كما لو أنها بلغت نهاية الرحلة ولم يعد لها هدف . لكن في اليوم الرابع ، وبصورة غير مفهومة ، غيرت من نظامها وقضت الليلة ترعى باطمئنان وسط سهل صغير ، قريباً من الغور.

وباعتماده على الحصان ، فقد الفحل العجوز جزءاً من مهاراته التي أسعفته طويلاً ، وبات مهملاً ، كثير النسيان.

كان طريق الحيوانات من الغور إلى مرامي الحشائش يمر خلال حزام من الشعب الطويلة الكثيفة . وفي البداية وعم كل خطوة من خطواته ، استطاع الفحل بعنابة ، الغور ، المنذر بالخطر ، لكن الاعتياض . جعله يقلل من حذره ويصبح أكثر ميلاً للاعتماد على حكمة الحصان.

وفي إحدى الأمسيات ، انتابتة حالة حذر مفاجئة تسببت في تأخر ذهاب القطبيع إلى الماء ، فعندهما وصل إلى كتلة الغاب وكانت الشمس خلفه تقريباً ، مرت سحابة معتمة ، توقف العجوز فجأة ، مشرعاً آذنه ، يحملق بارتياح . لم يكن هناك أثر لنسمة ترشده ، ولم يرشيشاً وهو ما يعني خطراً محتملاً . من حين لآخر ، يرتعش جلده ليطرى بعصبية فوق ظهره .

حضرته غازنـه كلها من التقدّم أبعد من هذا .

لكن الحصان لم يبرأ لهذا الحذر . وثق في عينيه وأذنيه وأنفه . تشتم الطريق بعنابة مبالغ فيها ، كما لو كان يؤكد للحمار أنه يتخد الاحتياط التام ، ثم صهل بطف مشجعاً إياه على التقدّم . وأوصل الحمار سيره في الطريق الضيق ، وتبعه بقية القطبيع . ذهباً إلى المقدمة ، الحصان أولًا يليه الحمار ، أصبح الطريق الآن خالياً من الأشجار ، والشمس المشترقة تحيل الحشائش أمام الحمير ذهباً ، بينما السماء في الخلف زرقاء وهنا أنت من الخلف صرخة خوف وعداً مفجعة ومن فوق فرع عالٌ ، برز النهر بجلد مموه ، لا يرى بين أوراق الغابة الخضراء المجددة ، المائلة إلى الصفرة . ظل هناك ساكناً حتى من القطبيع كله أسفل المكان الذي اختبأ فيه وفي آخر الصيف ، كانت هناك جحشة صغيرة ، دفعتها

إلى المؤخرة الجحوش الأكثر قوة وخشنونة بوعندهما وصلت أسفل مكمنه العالى مباشرة ، ففزع النمر ليسقط فوق ظهرها مثل صخرة.

لكن النمر أخطأ توقيت القفزة فهبط فوقها بالعرض بدلاً من أن يسقط عند الحارك ، حيث يصبح الوريد الوداجي قريب المثال ، صرخت الجحشة وقاومت حتى كادت تتخلص منه ، لكنه تشبت بها ، فرأى جسمه بينما انقضت المهرة بصورة عمياء لتصطدم بجذع شجرة ، ظلت تترنح وهى تجرى وسط الأجام ، وعندما بلغت الخلا ، كان الاصطدام قد فعل فعله ، فسقطت فجأة ، ليندفع النمر نحوها . طار فى الهواء بجسده المرن . وعندما جاء الحصان والحمار العجوز يجريان ، كان قد حط فوق قدميهما ، عند أسفل الرقبة تماماً.

بعد تفكير قصير ، فتح النمر فمه وعض على أعلى رأس الفريسة فتكسرت بين أسنانه مثل ثمرة من ثمار البندق ، ارتشت الجحشة ، ثم هدت فى مكانها.

بعد لحظة ، ففزع الحمار العجوز باتجاه النمر بجرأة وتهور . شب النمر على مخلبيه الخلفيين ، ليلقاء وقد قوس أكتافه متعدداً . لكن الحمار أتقن توقيت الاقتراب . ففى الوقت الذى أتم فيه النمر قفزته وهو يكشر عن أنيابه ، كان الحمار قد انحرف متجاوزاً إياه ، فهبط بجسمه على الأرض . اندفع النمر مرة أخرى صوب الحمار ، فأخذ خطوات ، وانصرف وهو يشعر بالهانة ، واضعاً فوق وجهه قناعاً خالياً من التعبير ، يهز ذيله بعصبية واضحة ، وبعد أن سار عدة خطوات ، توقف ونظر خلفه ليلقى نظرة على ضحيته .

الحصان ، مدراًكاً ل اللعبة ، قفز هو الآخر ، لكنه أساء تقدير سرعة النمر ، وعندما استدار كان النمر يجري بذاته ، يتأنب للقفزة الفاصلة ، بجنح الحصان متجاوزاً النمر وسار ببطء.

هم الحمار العجوز من الجانب الآخر.

في هذه المرة استنشاط النمر غاضباً . انطلق قاصداً الحمار وهو يطلق نفرات حادة مع كل قفزة وعندما أصبح قاب قوسين من حواجز الحمار ، انتقل الحصان إلى الجانب القريب تاركاً مسافة كى يحصار النمر بينهما ثم توكلوا لو كان هناك اتفاق مسبق بينهما ، هجماً على الأجناب بجري النمر ثم توقف متخيلاً ، ينقل بصره بينهما.

كرر الحصان والحمار هذه الم nærارات لثلاث مرات ، وعندما افترقا في المرة الأخيرة ، كانوا قد سحباه لمسافة تبعد ما يقرب من الميل عن المكان الذي ترك فيه ضحيته ، وقف ينتظر أن يهجمما مرة أخرى ، وعندما أبقيا على المسافة بينهما وبينه ، استدار ينظر إلى السهل عبر الظلام المتجمع فوق الدفل . هدر قليلاً ، وطوح ذيله بغضب ، ثم سار مبتعداً ناحية الحشائش .

بطينًا ، متلماً ، عاد الفحل العجوز إلى القطيع ، الذي انتشر يرعى بلا قائد ، مشى إلى حيث تتمدد الجحشة وتشتم الجسد الهاجم .

وبعد فترة ، عاد .

في ربيع ذلك العام ، دخلت إحدى الأنان موسم التقحيم للمرة الأولى . دافع الفحل العجوز عن امتيازاته بحمة ، وعلى مدى أسبوع ، حتى الأنان من العروض الملاحة للفحول الصغيرة .
 وفي صبيحة أحد الأيام ، والقطط يُستثير في ظل الغابة ، حاول الحصان أن يلقي الأنان وفي الحال .
 ويشراسة ، هجم الحمار عليه ، وأمام عنف هذا الانقضاض المباغت ، لم يجد الحصان مفرًا من التراجع ، ودون تفكير في الضرب أو الألم ، ألقى الحمار بجسده عليه بكل قوته مثل خروف ينطح ، تراجع
 الحصان ، وتبعه الحمار بأستئنه محاولا الوصول إلى رقبته ، يتلوى جسده من جانب لأخر مثل ثعبان مكسور الظهر ، تقع عيناه بالشرير ويرسم على ملامحه غضب مجنوون .
 أخيراً ، أفلت الحصان منه ، أبعده بكثيفه وانطلق بعيداً ، لم يقتفي الحمار أثره . وقف بينه وبين الأنان ، نصف مقرفص ، مباغداً ما بين ساقيه ، لم يكن حتى ينظر إليه .
 عاد الحصان متربداً ، يمشي برشاقة مفرطة ويهز أجزاءه الخلفية . هاجمه الحمار ثانية بصورة أعنف من السابق بوفى هذه المرة كان الحصان مستعداً ، تحرك بومال برشاقة مستخدماً كتفيه لإضعاف الهجمة . وعندما حاول الحمار أن يلحق به ثانية ، زلت قدميه الخلفيتين ووقع ،
 في الحال ، ومثل كريباًج ، كان الحصان فوقه ، خطف عضة سريعة وانتصب مبتعداً في قفزة ناعمة ،
 وسار نحو الأنان بخطوات غير منتظمة ، يبطئ من حين لأخر كي ينظر خلفه .
 بوجه شاحب ، نهض الحمار وذهب خلفه .

لقاء الحصان ورؤسه بسرعة وقوة لكن بدون انفعال ، ثم جرى بعيداً .
 ومرة أخرى ، وبصورة أبطأ من سابقتها ، نهض الحمار وجرى خلفه .
 انقض الحصان عليه ، كان يلعب أثناء الضرب ، يثبت مرحًا أما الأنان التي وقفت هادئة ، مستعرضاً
 قوته وشجاعته ، لم يعد في حاجة لأن يقهر ويدمر .
 دفع بالحمار إلى الأرض وجرى مبتعداً .
 نهض الحمار وذهب خلفه .

بدأ اليأس يتسلل إلى نفس الحصان ، ويشعر بقدر من الخوف ، صهل في وجه الحمار بقوة ورؤسه
 بخضب فأوقع به وجرى بعيداً .
 وذهب الحمار في أثره .
 في هذه المرة ، كان الحصان أكثر بطأ ، فأنمسك به الحمار من منتصف الساق وضرره في بطنه فوق الكبد تماماً ، كانت الضربة قوية مثل رصاصية ، تلوى الحصان وابتعد لامثاً ، يجر أجزاءه الخلفية وهو يتالم بشدة .
 وجاء الحمار وراءه .

الآن ، يتضاعف في نفس الحصان أكثر حقد عميق وحشى ، شب بكمال طوله ، برقبة مقوسة ومعرفة شعثاء متموجة ، وبصفة عاشرة جوفاء ، انفرس في جسد الحمار العجوز ، ارتعش ، وغض ، ورفس وهشم ، وغمق بغضب ثارى ، وتحت المخالفة المدمرة ، مات الكبارياء .

لم يستسلم الحمار ، ولن يستسلم ما دامت فيه عضلة قائمة وعرق ينبع بالحياة ، كان محظما وأمام هذه الحقيقة فلا معنى لأى شيء آخر .

وهكذا لم يستسلم إلا بضربي حظ كسرت العمود الفقرى عند قاعدة الجمجمة ، لفظ بعدها آخر أنفاسه مات .

لقد قاسي كثيرا في حياته .

على مدى ثلاثة شهور بعد المعركة التي دارت من أجل حسم القيادة (هذا ما فهمه الحصان كسبب للمعركة) هام القطبي بعيدا عن الغور ، ربما كانت المصافة وحدها وراء هذه المعركة الدائبة بحثا عن الغذاء والأمن والسلام ، وربما خشي الحصان البقاء في الغور لأن مكان الموت عليه تقديره . أو ربما كان يفتقد رفيقا قدما ذهب ببحث عنه ، يتوقع رؤيته في أى لحظة وهو يعبر فتحة في الأشجار وخلف الأرض الذهبية المتراوحة والجسم البرياني المخطط المألف ، بمعرفته المتناسبة وخطمه البليد .

أيا كانت الأسباب ، فقد هام بعيدا عن الغور ، يتبعه القطبي في طاعة اعتاد عليها ، على أن القطبي بدأ عدده يتناقص ، فقد انتهت بعض الفحول الفرصة وانسلخت عنه ، مصطفحة معها عددا من الآنان . لم يخامر أى منها ، مهما بلغ جرأته ، بتحدى تفوق المجنان الذى لا رب فيه ، لكن لاته يفتقد العاطفة الأنبوية التي يتحلى بها القائد القديم ، فلم يبال بهذا التناقص ، وعلى أية حال فقد كان تناقص عددها يتنق مع رغبته ، لأنه كان متجللا وقلقا ، ينفذ صبره أحيانا من تلك الحمير الكسولة .

بقى معه انتبا عشرة من الآنان وتلذة من الفحول ، ومعها ، هام بعيدا بحرية .

كان المطر قليلا في ذلك الصيف ، لكن هذا لم يمنع تلاحق العواصف الرعدية العنيفة القادمة من الشمال والسحب المظلمة ، وقرقعة البرق والرعد . وأحيانا كانت العواصف تتكسر فوق الرؤوس ، مرسلة قطرات كبيرة تحدر مع الريح لتسقط عبر الدغل بصوت يشبه الحفيق . وكان الحصان والحمير تتجمع في تعasse ، موالية ظهورها للريح ، تترقب انتهاءها بكلبة مضضة .

على أنه لم يكن هناك ، في غالبية الأحوال ، سوى الرعد والبرق يرسل ، عبر السماء ، بقطع من الثلج الخشن ، تضرب ، بين الحين والحين ، الحيوانات والأشجار والجذور العفنة التي نمت حولها الحشائش الطويلة المكثفة .

في عقل الحصان ، دفنت ، عميقا ذكرى النار ورائحة الدخان ، وأصبحت ترتبط عنده ارتباطا مبهما بالأمان واللين والغير الطло .

لكنه شعر بالقلق غندما التقى هذه الرائحة مع النسيم الرائق بعد عاصفة شديدة ، هبت صباح أحد الأيام جات الريح من الشمال الشرقي ، ولم ير خلالها سوى ضباب باهت يحيط بالأفق الجنوبي الشرقي.

عند الظهيرة، انحرفت الريح باتجاه الجنوب الشرقي واشتدت ، ثم سرعان ما بدأت تظهر سحب بنية داكنة فوق الدغل ازدادت الرائحة الحريفة بصورة لا يمكن تجاهلها ، واستدار الحصان ليقود القطيع نحو الشمال. يرعى أينما نذهب .

وطوال الظهيرة ، ظلت السحب الغربية تزداد ارتفاعاً وكثافة. في ذلك المساء ، شربت الحمير من حفراً ماء موحلة، لم يسمح الحصان لها بـأى تأخير ، وب مجرد أن انتهت من الشرب ، واصل سيره بخطوات ثابتة نحو الشمال.

كانت السهول تضم قطعاً من أنواع أخرى ، تتحرك سريعاً دون انحراف قاصدة الشمال ، وهبط المحدب العريض اثنان من التمور ، ذكر وأنثى. فزع قليلاً من القفز وفر إلى الضحل المغفرة جري النهران بعيداً دون أن يلتقط أي منها للقوز.

عندما غابت الشمس ، غطت السماء غيمة ضبابية ، والآن تقطي السحب البنية في الجنوب الشرقي نصف الأفق والريح ترعد فوق الرؤوس وكانت الليلة الماضية غريبة. صفراء متلماً يحدث أحياناً قبل هبوب العاصفة ، وفور غروب الشمس تهوج الأفق الشرقي كما لو أن فجرًا جديداً ينبعش . وسار الحصان ، يمشي بخطوات مطردة ، والحمير خلفه.

سررت النار بسرعة مهولة ، كانت مشتعلة منذ حوالي أربع وعشرين ساعة ، وظلت تنتشر لثلاث الأبيال على هيئة قوس عملاق ، من الشمال إلى الجنوب ، حملتها الريح العفية في البداية ، ثم استمدت من قوتها الذاتية الشرسـة زخماً جديداً وفـي لحظـات ، امتصـت حرارـتها الكـاسـحة الـهـواءـ في لـحظـات ، تـارـكة فـرـاغـات يـنـفـجـرـ اللـهـبـ وـسـطـهاـ بـنـيـئـ مرـعـبـ.

كان البعض منها محظوظاً فحيوانات مثل الأفيال ، استطاعت بفضل سيقانها الطويلة الرصينة أن تسباق النيران ، وقطعان الحيوانات الكبيرة ساعدها إحساسها العالي بالخطر على الفرار . وهكذا تمكن معظم أفراد قطعان الجاموس والعلند والحمير المخططة وتياتل «الهرتبيس» والنـوـ والـقـوـزـ والـسـمـورـ والـجـمـزـيـوـكـةـ من النـجـاةـ وكـذـلـكـ الـبـوـشـ بـوـكـهـ الـخـجـولـ ، وـوـحـيدـ الـقـرـنـ الغـاضـبـ أـحـيـاـنـاـ كـمـاـ اـخـتـفـىـ دـهـاءـ الصـوـارـىـ مـنـدـ وـقـتـ طـوـيلـ . أـمـاـ الـقـوـارـضـ فقدـ نـجـحـتـ فـيـ الـهـرـوبـ دـاخـلـ حـفـرـهاـ العمـيقـةـ حيثـ لاـ يـمـكـنـ النـارـ أوـ تـالـهـاـ أـنـ يـخـنقـهـاـ الدـخـانـ كـانـ مـعـظـمـ الموـتـىـ مـنـ الصـفـارـ . فالـقـرـودـ والـجـلاـجـوسـ كـانـتـ أـجـبـ منـ أنـ تـتـحـركـ بـعـيـداـ عـنـ أـشـجـارـهاـ . اـكـتـفـتـ بـالـصـرـاخـ الـهـائـجـ كـلـمـاـ أـنـدـفـعـ النـيـرـانـ نـاحـيـتـهاـ . وـالـحـالـ كـذـلـكـ بـالـنـسـبةـ لـظـبـيـ «ـالـدـيـكـ»ـ وـالـظـبـيـ الصـخـرىـ ، وـبـطـيـئـيـ الـحـرـكـةـ مـنـ السـلـاحـفـ وـالـتـنـفـدـ وـ«ـالـبـنـغـولـ»ـ أـكـلـ النـملـ وـالـغـابـينـ بـكـلـ أـنـوـاعـهـاـ .

حتى الحيوانات الكبيرة كانت تخدعها أحياناً سرعة الريح أو إتجاه النار، فكانت ريح دوامة أو إنحراف غير متوقع أو سقوط مفاجئ لشجرة، كانت سالمة منذ لحظة، يتحول إلى جحيم من لهب مسحور ودخان ونصال معدب للمسورين في قبة الموت.

الغريب أن عدداً من الزارات سقطت بهذه الطريقة، برغم طولها الذي يسمح لها بتحديد اتجاه انفاس النار، وسرعتها اللازمة للهرب.

عندما بلغ التحذير أول حمار، كان الحصان وقطيعه على مسافة ثلاثين ميلاً من الغور، جرت الحمير في محاولة لتجاوز النار لكن السرعة كانت تفقداً القدرة على الانتقال إلى الأجناب، فتضطر إلى التحول إلى الخب السريع، وعندما بلغت حافة الغور كان حزام النار يعرض ميل يفصل بينها وبين الماء الآمن.

انحرف الحصان جهة اليمين، يجري بطول الحافة المشتعلة للغور والحمير تتبعه خلفه، وفي داخل الدغل كانت ألسنة اللهب تتلاعث في الهواء لارتفاعات تصل إلى ما بين العشرين والثلاثين قدماً، وكان اللهب يصنع أشكالاً حمراء وصفراء، تترافق وسط الدخان المتلاعث ومن حين لآخر، يأتي الصوت المروع الهادر لشجرة صمع تتفجر وسط الحرارة المتوجهة، مرسلة جمرات ملتهبة على فترات متقطعة، تحرق الأخضر واليابس. وفوق ظهر إحدى الأشجار، سقط فرع شجرة مشتعل، فزعت بعيداً، وأطلقت صرخة هلع وخوف أرسلت الآخرين في شتات مفاجئ شرس.

فوق هوة ضيقة بين الشجيرات المتباشرة، عند الحافة البعيدة، سقطت النار، وإلى هذا الدهليز الذي يتلاعث منه الدخان، اتجه الحصان بلا تردد، تتبعه الحمير وهي تصهل في خوف، والدخان يلسع عينها.

الآن، تحيط بهم ألسنة اللهب من الجانبين، تشع وهجاً حاراً، والهواء لا يكاد يصل إلى رئاستها المجهدة.

في عدوه، دون أن يدرى، جرى الحصان لعشرين خطوة بين الأشجار الخطافية المتتصبة التي أحالتها النار إلى مشاعل عملاقة. أسفلها، تثارت شظايا العظام المتفرمة، بعضها مثقوب وخال من النخاع، وبعضها الآخر طويل مثل ججمحة الحصان، ترك ليتحلل وهو يدخل الآن طور الاحتراق الأخير. لم يعرف، وإن يعرف، أو يتعرف على المكان، البقعة الوحيدة المعزولة في البرية التي شهدت الموت في ليلة مخيفة أخرى منذ أكثر من أربع سنوات مضت.

وأصل العدن، والأشجار تحرق خلفه.

وفي هذه الليلة المشبعة باللهب، فرت مخلوقات أخرى.

ضاقت النهاية البعيدة لدهليز الأمان حتى أصبح عرضها عشر خطوات فقط. وهنا وهناك انتشرت رقع من العشب المحترق، ما زال الدخان ينبعث منها. ومن واحدة منها، بزحف حية «المامبا» بطول ثمانية أقدام كاملة قطعت طريق الحصان بجفل مبتعداً، لكنها لم تلتقي إليه، وعبرت الطريق مثل مياه

داكنة مرتعشة عمياً تتجه نحو اللهب.

على آخر نفس ، وباقصى سرعة ، اندفع الحصان تبعه بقية الحمير إلى ما وراء الدغل ، ثم انحرف إلى الضفة المظلمة المنحدرة ، حيث برد المياه العميقه التي لا ترحم .

مثلاً أتت التيران على المروج المتعددة بطول مائة ميل وعرض ثلاثين ، محبت من ذاكرته ما تبقى من أثر للحمار العجوز ، لفن قلقه في تلك الليلة ، ولدة طولية بعدها ظل يرمي مع قطبيه العشب القريب من الغور ، بنفس راضية ، وحتى عندما تبخرت المياه بفعل الشمس وصارت مرة ، اختار البقاء داخل الدائرة المحكمة التي تحيطها ست من عيون الماء على بعد عدة أميال .

كانت الحمير تتقاسم الرعي مع قطعان آخر يوم استمرار الرعي ، نحلت الخضراء وأسمرت ، فتحركت قطعان الحيوانات الكبيرة نحو الشمال .

ويعذر حيلها جاء الصيادون .

وفي تلك اللحظة ، كانت هناك أسراب نعام ترعى حول الغور مع بقية القطعان ، وكان أحد هذه الأسراب يرمي بانتظام في نفس الرقة التي تشغله الحمير ، متبعاً نفس نظامها البسيط من شروق الشمس إلى غروبها . وأعتاد الحصان رؤية الطيور الضخمة ، بأرجلها الطويلة وهي تأتي متمهلة عبر الأدغال . وإذا تأخر مجيئها في الصباح الباكر ، كان يقف ليترقب ظهورها ، وأحياناً كانت الحمير والنعام ترعى جنباً إلى جنب وعندما يخفف من يقظته المعتادة ، إذ كان ذلك النعام العجوز بريشه الأنثى ، حارساً يارعاً مثلاً كان فعل الحمار الوحشي في الأيام الخواجي .

يوماً بعد يوم ، تنقل القطط والسراب فوق أراضي العشب الغنية ، وكانت الطيور العريقة الحكيمه ترقب محاولات الحصان الفاشلة لتلقيح أناث ، وغضبه الغير لأى محاولة اقتراب من جانب الغور .

بعيونها المعدنية ، شهدت الصراع القدى من أجل الخلد ، شهدته كما لو كانت تحتكر وحدها المعرفة الفذة في روؤسها المدببة المتيسطة ، تلك المعرفة التي لم تعد أى منها تتمتع ولو بذرة منها .

في صباح أحد الأيام ، تأخر النعام عن موعده دون تفسير واضح وعندما ظهر أخيراً ، يسير في قلق مثيراً خلف الغبار ، كان يقصمه إحدى النعامات البيضاء الرمادية ، وعندما رأى الحمير ، شرع في الرعي ، لكن الفواصل بين النعام كانت قصيرة هذه المرة ، وخلفه وقف الديك دون حراك ، مثبتاً عيناه على الشجيرات المنتشرة على حافة الغور .

لم يحسن هذا الإحساس بالقلق وكان يرفع رأسه من حين لآخر ليحملق في الشجيرات .
لم يتحرك شيء هناك .

وفي ساعة متاخرة من الصباح ، ظهر في مرمى البصر الشيب الطويل المألف للنعامه . ارتفع فجأة من حفرة في مرتفع يكسوه العشب . وعندما لمح الديك اقترباها ، استدار برأسه الصغير . كانت رقبتها

متصلبة، خالية من التعرجات المتمايلة المعتادة ، وأرجلها قصيرة خرقاء.

ومع ذلك، كان التفكير الساذج بجلد نعامة يغطى جسم الرجل النحاسى الصغير ، الذى ربض وهو يمسك بقوسه فى يد وفى الأخرى سهم يبرز من حنجرة الطائر الميت ، كافيا لخداع العيون البريئة وحتى إذا لم يخدعها ، فقد كان منظرة غريبًا ومحاكتاته متأففة للطبيعة ، وهو ما أوقعها فى أسر الفضول . اقترب الصياد الشاب حتى أصبح على مسافة مائة خطوة من الحيوانات التى وقفت ترقبه . كان عاريا حتى خاصلته ، يتسبب عرقا من شدة الحر والتوتر ثم ومن خلال ثقوب الجلد التى ما زالت تنزف دما فوق عينيه ، رأى حمارا وحشيا أبيض وقد أصابه الضجر ، وقف يضرب الأرض بحوافره ، مقوسا ، متحفزا لإطلاق صوته الأجوف ليحدّر بقية الحيوانات .

توقف الرجل وقوس أكتافه حتى انحسر جلد النعامة عن ظهره بوفرد جناحي الطاوش ذي الريش المنتصب انتهي فبدأ كما لو أن النعامة تعبت وتوشك على الجلوس .
قرفص صياد «المساروا» وسط السهل الواسع . ظل صبورا تحت مظلة الجلد يرقب فريسته «والآن ، بعد أن نسى الحصان النعامة الوهمية بخفف رأسه إلى الخلف نحو العشب .
ما زال صيادا «المساروا» كاملا دون حراك ، يفكر في حل الموقف . فجميع تجاربه السابقة مع الحمير المخططة تقييد بأنها عصبية وإن كانت بليدة الحس . إذ من السهل جدا إفزاعها ، لكنها تتنسى بنفس السهولة ، إلا أن حكمة الصياد أخبرته أن هذا الحيوان الأبيض الغريب شيء مختلف وحركة زائفة بجواره يمكن أن تدفعه إلى الفرار .

كان عليه اذن أن ينترب كما علم في مثاب الطلعات الأخرى .

في تلك اللحظة ، أخطأ ديك النعام التصرف . كان يرافق اقترباً غير المثمر بارتياح ، لكن عندما اجذوبه الصياد جاءت حركته متقدة لنعامة تحط فوق عشها ، وسرعان ما استيقظت غرائز الديك الحارس . اقترب منه بضع خطوات حذرة ليكسر بذلك حالة الاستئثار القضوي التي كانت تربطه بالمحسان الأبيض مثل شعرة دقيقة.

أطلق الحصان صحة تحد ، وقفز خطوتين بطريقة استعراضية.

ارتفع الرجل مرة أخرى يهز عباءته ، فانتفض الريش وتقدم بثقة نحو الحمير ، التي لم تجد التفاتا .
الحظ وحده هو الذي أنقذ الحصان في اللحظة الأخيرة ، فعندما جذب الصياد قوسه ، مصويا نحو
الرقبة الخضراء للسماء ، برز أحد الحمير أمام خط التصويب ، ليقدم هدفاً أكيداً ، ومن تحت جلد النعامة
انطلق السهم الخشبي ، الصغير المطعم بالعظم ، وفزع الأئان ، وصرخت من هول اللدغة المفاجئة ،

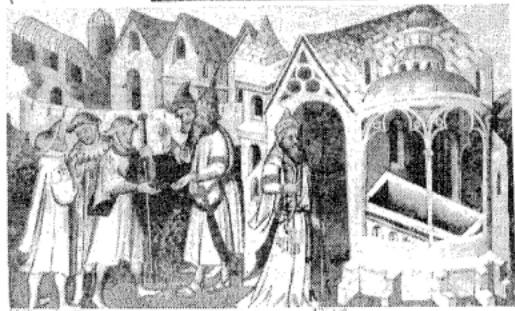
شب الحصان مذعوراً عندما التقط رائحة الإنسان المختلطة بالدم . اندفع مع قطبيه في عدو مجنون ، جرى النعام أيضاً ، وألقى الصياد يعباته الخادعة وذهب يقتفي أثر الضحية ليسترد سهمه ويرى بنفسه راضية أن الرأس المزود بالسم قد أصاب الهدف بدقة ، ثم أشار لرفيقيه اللذين كانوا ينتظران بصبر مماثل فوق الشجيرات القصيرة على حافة السهل .

اتجها إلى مسرعين ، وتحادث ثلاثتهم للحظة ، ساروا ، بحذر وظهور محنية ، يقتفيون أثر الحمار الجريح ، جروا جنباً إلى جنب ، يتخطاً بين الشجيرات من حين لآخر بالإشارة عندما يلحظ أحدهم نقطة دم على الأرض أو علامات غائرة لحوافر الحمير التي انطلقت تففر ثانية على أثر تحذير مفاجئ من شيء ما . لم تكن أكثر من شجيرة شوك هزها النسيم قليلاً ، تلك التي جعلت الحصان يقفز بعيداً ، مطلاً صوبه ، وهو ينزع عرقاً من الخوف .

ظل الحصان يجري لفترة ، ثم انحرف نحو غطاء أكثر كثافة ، وواصل سيره برغم علامات الإجهاد التي بدأت تظهر على الحمير ، فقط عندما اختبأ بأمان بين الشجيرات ، شعر الحصان بالراحة . عجل العلو السريع من سريران السم في جسد الأثان . كان الجرح الصغير ، حيث لايزال السم منغرساً ، ينبع بالألم ، واستدارت أكثر من مرة لتديكه ، أصبحت أرجلها متصلة ، تشعر بثقل شديد فوق أجزائها الخلفية . أخيراً ، رقدت ، وجاء الحصان ، مدراً كمأساتها ، ليقف عند رأسها . على هذه الصورة ، وجدهما صيادو «الماساروا» .

ظل الصيادون يحتفظون بالثر طوال ذلك الصباح المضني . لم يفقدوه حتى عندما كانت تعبر الأرض الوعرة وبقيت الأثر بحيث لا تراه سوى عيونهم الخبيثة ، واصلوا جريهم القصير الخطى ، ولم يبطئوا إلا عندما تاكدوا من اقترابهم من الضحية . قطعوا الخطوات القليلة الأخيرة على ركبهم وأياديهم ، وعندما تخطى قائدتهم السياج الأخير من الأشجار صدرت عنه إيماعاً قصيرة ، تعبيراً عن رضائه وهو يرى الأثان راقدة على جنبها برأس متخلب ، ورفع رمحه الطويل ورجع بنزاعه إلى الخلف ليقذفه . لكن الحصان الرمادي الكبير ، الذي كان يقف حارساً تحت ظل شجرة ، اشتم رائحة الوجود الغريب ، فاندفع نحو المتخلفين بغضب أعمى .

تفرق الرجال وهم يطلقون صيحات الخوف ، أحدهم لم يكن سريعاً بما يكفي ، فلتقي رفسة من الرجل الطولية أصابت فخذله قبل أن يتمكن من الإفلات . ودار الحصان ثانياً ، يبحث عن عدو يسحقه ، وإلى جانب ، حاد رمح لبضعة سنتيمترات ليقيه حياً ، ابتعد الصيادون عن المكان ، واستدار الحصان عاداً إلى الأثان ، يحاول إقتحامها بالنهوض والجري ، عندما يبدأ الحصان هجومه ، رفعت رأسها لمرة . لكنها أبقيتها ثانية باجهاد . وهاهي ترقد الآن بلا حراك ، عاجزة عن الاستجابة لإلحاحه .
وحلوله، وسط الشجيرات ، همسات وهفيق ملح ، كما لو أن الريح تتامر مع مطارديه . ومرة أخرى انطلق الحصان يهاجم ، لكن لم يكن هناك غير الريح . عاد إلى الأثان ، لكنها كانت قد لفظت آخر أنفاسها .



برلين في ١١ سبتمبر ٢٠٠٣

إدوار الخراط

في صباح يوم من أيام الحر القائظ في يونيتو أشجار الزيزفون - رحمة الله على المنفلوطي)! .

الماضي كان ربى التليفون في شقق المهاينة عاليًا بأرق في ذهني، وأنا على التليفون : مهرجان عالمي للأدب .. في برلين .. قد ألتني فيه بشعراً وكتاب عالبيين . وألم مرة أخرى بمعالم برلين الشرقية والغربية بعد توحيدهما وأرى الصديق أحمد من الدين الذي عرفته وأحببته عندما كان عبد الحكيم قاسم مقیماً في برلين (الغربيه) .

قلت لمحشى إبني موافق من حيث المبدأ ، على أن يرسل إلى تقصيات المهرجان وعندئذ أوافقه بقرارى.

وبعد أكثر من شهر كنت في الساحل الشمالي ، أقضى أسبوعي إجازتي السنوية في قرية صغيرة خجول وهادئة على العكس من ماريينا الصاخبة المبهجة فاحشة الزواق ، وإن لم تكن غير بعيدة عنها ، حين جاعنى صوت شرایبیر على

في صباح يوم من أيام الحر القائظ في يونيتو الماضي كان ربى التليفون في شقق المهاينة عاليًا عاديأ قال المتحدث بإنجليزية فيها لكتة واضحة إنه يريد التحدث إلى إدوار الخراط ، عرقني بنفسه : أولريخ شرایبیر مدير مهرجان برلين الثاني للأدب العالمي ، قال إنه مهرجان يتجمع فيه نحو ١٧٠ كاتباً وأديباً وشاعراً من جميع أنحاء العالم يensem كل منهم بالقاء قصيدة أو قصة أو فصل من رواية له بلغته الأصلية ثم تترجم إلى الألمانية ويلقىها ممثل أو مؤد أمام جمهور من الألمان.

لم أكن قد زرت برلين منذ تسع سنوات . وعندما مررت عابراً بها كانت برلين الشرقية بعد سقوط السور وتوحيد برلين ، راعنى ما لحته من مظاهر الإهمال والتردى وما يشبه الصمت أو النبذ في ميدان الكسندر بلاتز وشارع أنتريدين ليندين (تحت

الهافت المحمول يستأنن في أن أشارك -إذا وافقت في ندوة تعقد يوم ١١ سبتمبر ، بافتتاح المهرجان ، ويساهم فيها أعلام من المفكرين العالميين ، عن آثار ١١ سبتمبر على الأدب ، عن قضية التسامح ، وعن مكافحة الإرهاب وإرهاب الدولة.

ومرة أخرى قلت : موافق من حيث المبدأ . أرسل لي تفاصيل الموضوعات على وجه الدقة ، وأسماء المشاركين.

عندما وصلتني هذه التفصيات ، بالبريد ، في أواخر أغسطس أرسلت إلى شرلابير قصتي «دقائق الأجراس لا تتصمت» واقترحت عليه أن يترجمها الصديق المترجم هارتموت فيندرريش الذي كان قد ترجم إلى الألمانية «ترابها زعفران» و«حجارة بوبيلو» ضمن نحو عشرين كتاباً أو أكثر من الأدب العربي ، ولم أؤكد اشتراكى في المهرجان إلا بعد أن جاعنى من شرلابير إن القصة قد ترجمت بالفعل وإن مؤدياً مشهوداً له بالخبرة ، طول البا ع سوف يلقها بالألمانية ، وأن السيد : بيا أورسولا اندرريش سوف تثير اللقاء ، وهي صديقة قوية منذ أن كانت تعمل في دار ثقافات العالم في برلين ، وعرفت أن من الكتاب العرب المشاركين في المهرجان الصديق الروائى المناضل الكبير صلاح سستيتوه من لبنان ، والروائية المرموقة أنسيا جبار من الجزائر ، والكاتب المعروف طاهر بن جلون وبعادل قرشولى الشاعر السودى المقيم فى ألمانيا».

انعقد المهرجان في «برلين انسامبل» مقر مسرح بريخت العظيم، مبني أنيق، بين حدائق منونة بالحضر، والنهر الصغير يتتفق غير بعيد ، صالة المسارح الجميلة خاصة بالجماهير التي جاءت تشهد افتتاح المهرجان صباح ١١ سبتمبر ، كتب الأباء المدعون مترجمة إلى الألمانية منسقة بالثبات في ردهمة المسرح - وذلك اللحظة الأولى من التحيات والتشوف إلى الافتتاح يعمّر الراية والصالحة .. نحن

المدعون الذين لا نعرف أولاً نتقن الألمانية نلتقط أجهزة الترجمة الفورية ونشق طريقنا إلى مقاعدهنا ، اسمع من يهتف باسمي ويحييني بحرارة: حمد الله على السلامة .. أنت لا تعرفني .. سمير جريس مراسل الإذاعة الألمانية من كولونيا.

اللهجة المصرية - بلكتنة صعيدية غير محسوسة تقريباً - عندي الواقع في قلب هذا اللفظ البهيج.

وسوف أعرف أن سمير قد قرأ لي الكثير ، وأنه فرغ منذ قليل من «صخور السماء» وسوف تتوقف بيته وبيني في الأيام القائلة القادمة وشائعج صداقتة وإعزاز.

نقاط السرح التقليدية الثالثة
صمت الترقب يهبط

شرع نحن أجهزة الترجمة ، كلمات الافتتاح الرسمية الموجزة جداً، ليس فيها إشارة بتوجيهات أحد من المستولين ، ليس فيها شكر مفروض فرضأً لرئيس أو محافظ أو عمدة ، المهرجان تنهض بأعبائه كلها مجومة من المتقطعين ، مستقلة ، محبة للأدب (هل ثم ضرورة للتحسر المتوقع على أحوالنا؟) يلهمها ذلك الرجل الذى أخلص نفسه للمهرجان كما يخلص المرء لرسالة تملأ عليه نفسه ، ألقى كلمة قصيرة وبدعا زملاءه ومعاونيه ليظهروا على المسرح ، يحييهم الجمهور بحماسة ، يلقى مندوب اليونسكو كلمة في دقائق معدودة ، يلتلوه مثل ما يمكن ترجمة بـ «اتحاد المؤسسات الثقافية». ثم يأتي دور زيفاد لعل صحتها أو زياد قره حسن كاتب من المؤسسة والمهرجان وهو أساساً مسرحي لعل صحتها زياد

قره حسن ، ليلقى كلمة الافتتاح الرئيسية حرر مجلة أدبية في سيراليون ، ودرس الدراما وتاريخ المسرح في جامعتها ، وكتب القصة القصيرة ، والدراما الإذاعية ، والمسرحية ونشر روايتين عالج

معينة من الناس . نحن جميعاً نشارك في الموت الذي ينتصر كلامنا ، إلا أن الثقافات المختلفة تعدها لاستقباله بطرق مختلفة ، وتقدم لنا صوراً متعددة للموت وما يأتي بعده . يقول هوراس إن ترتيب النجوم في هذا الليل الذي نشارك فيه جميعاً يختلف باختلاف بقاع عالمنا .

لهذا تشارك الحضارات جميعاً في جوهر كونى إنسانى عام ، ولهذا أيضاً يتسم المكان الذى تتراءكم فيه الحضارات بالاتساع النسبي . إذن يستحيل - منطقياً - الصدام بين الحضارات ، فإذا حدث ذلك الصدام المزعوم فإنه يعني أن تتصادم أجزاء الحضارة الواحدة ضد بعضها البعض . إذا بدا لنا أن الحضارات المختلفة قد تصادمت وتصارعت في عصور تاريخية سابقة ، مثلاً في عصر العملات الصليبية ، فإن هذا الانطباع يتولد لدينا فقط بسبب التبسيطات الأسمية التي تقوم بها . لم تكن العملات الصليبية صراغاً بين الإسلام والمسيحية كحضارتين ، بل صراغاً بين برنامج سياسي استند إلى هاتين الحضارتين . لن تكون جادين إذا أجرينا نقاشاً حول ما إذا كان البرنامج السياسي استند إلى إثنين من الحضارات . إنني أعتقد أن مفهوم الدين هو مفهوم اجتماعي ، وأن الدين ليس إلا دليلاً على العقيدة .

لقد أصررنا على ذلك ، فالمقصود هو الصراع مع الرؤى ذات «التوجه السياسي» لتلك الحضارات ، التي وإن تم جمعها إلى كل متكامل ، فلا يعني ذلك أنها تمثل حضارة ، بل منظومة أيديولوجية

فيها أحاديثاً تاريخية تتصور فيها تيمات من الف ليلة وليلة ، في سرد يتسم ببراعة سيميولوجية وعقلانية تتحقق بالصوفية الإسلامية ، كما وصف سيرابيفو التي مزقتها الحرب ، هو مسلم باليانة والكتابة عنه ، باستمرار ، نوع من الالتزام .

المداخلة الافتتاحية للمهرجان التي ترجمها سمير جرجس عن الأنانية ، عنوانها الأدب كنفأع من التاريخ وفيها يدحض قره حسن دسوى هنتيجتون (المهافهة أصلًا) عن صراع الحضارات : يفسر هنتيجتون قناعته بحقيقة الصراع بين الحضارات المختلفة بالطبيعة البشرية : «الكراهية لغير إنساني ، البشر بحاجة إلى أعداء لتعريف الذات وإيجاد الدافع» . هكذا بالحرف الواحد هل سيشك السيد هنتيجتون في صحة نظريته إذا أقسمت لهـ أنا الذىأشعر أيضاً بكراهية تجاه أشخاص معينين وأشياء معينة (فالكراهية شعور إنساني)ـ إذا برهنت له بعشرات الأمثلة أن الأصدقاء لدى أهم مئات المرات من الأعداء ، فيما يتعلق بتعريف الذات وإيجاد الدافع؟ هل سيشك في صحة نظريته إذا أوردت له عشرات الأمثلة من حياة عشرات الناس التي تبرهن على أن الحب والصدقة يمثلان دافعاً أقوى ، وأنهما عند تكوين الهوية أكثر فعالية للإنسان من العداوة والكراهية؟ لا نرى من الأشياء ولا نتعرف إلا على تلك التي تحملها داخلنا .

لكن ، لنعد إلى موضوعنا : كيف لرجل يشتغل في مجال الحضارات أن يضع كتاباً يبسّط فيه الحضارة والثقافة على هذا التحو الكاريكاتيري؟ إن كل ثقافة تؤلف - مثل اللغة - بين العام والخاص ، وبين المطلق والمخصوص ، وبين الجماعي والفردي . الجانب الأول يجعلها منفتحة أمام كل البشر ويمد وشائج القربى بين الثقافة موطننا ذهنياً بجماعة

(فلتذكر مرة أخرى نكتة إيفيك السخيفة، ومنطقة الملعون «إما .. أو»). هل تدافع عن الحضارة الغربية إذا رفضنا رمزياً تراث القداماء؟ إذا انكروا قروناً عديدة من فن النحت ، كان الجسد يصور فيها على النحو الذي خلق عليه في الفردوس؟ برفض العدالة وكل ما يرتبط بها؟.

ثم يمضي إلى استخلاصه :

قال جوته ذات مرة إن السعيد هو من ينظر في نهاية أيامه إلى حياته ويستطيع أن يجد في تلك الحياة ، في ذلك الوجود الأرضي ، كلًا متكاملًا ، شكلًا وربما تاريخًا . أى أن السعيد من نجح في أن يصلح بين «الاسمية» والواقعية ، وبين البنية والتاريخ . السعيد من يخلق بينها توازناً ، ومن يعيش وكأنه يبدع أدبًا جيداً . هل لنا أن نأمل في الوصول إلى السعادة التي يتحمّث عنها جوته؟ إذ نقف عاجزين أمام إرهاب «الاسمية» لا أعرف الأمر كله يتوقف على مقدرتنا على إنقاذ حضارتنا وثقافاتنا من أنياب «حماتها» الأصوليين ، ويتوقف أيضًا على ما إذا كان لدينا أدب جيد كافٍ . إذا كان هناك في عالمنا شيء يمكن أن ينقذنا من تغلغل «الحسابية» إلى عالم الأشكال .

الحقيقة فهو الأدب ، الأدب الجيد . الأدب الذي يعرف ومنذ أمد بعيد أن: «الوردة تزهر لأنها تزهر بذون لماذا» (أنجليوس سيلسيوس).

«الاسمية» عند قره حسن ، بطبيعة الحال ، تعنى الاقتصر على الألفاظ والمفاهيم المجردة التي لا تكشف عن جوهر الأمور ولا عن حقيقتها . والاسمية - مثل الحسابية البراجماتية التي لا تعنى إلا بالملائحة المباشرة - كلاهما سلاح «الأصوليين» وسلاح المؤسسات العسكرية المالية السياسية الحاكمة والمهيمنة في عالم اليوم .

بدأت الندوات الثلاث الأساسية في يوم

فحسب . هذه المنظومات الإيديولوجية التي تتنزع من سياقها الحقيقي انتزاعاً ، والتي تخلص إلى بعد واحد هو البعد السياسي ، نسميه حضارة مسيسة ، لهذه الحضارات الموجهة والمختزلة على شكل أيديولوجي كاريكاتوري أن تتصارع ، لكن هذه لم تعد تستحق أن تسمى حضارات ، لأن البعد الكوني لهذه الحضارة أو تلك قد سلب ، ذلك البعد الذي يتجه إلى كل إنسان .

يمضي قرة حسن إلى اپساح تصوره عن المشهد العالمي:

في إحدى الصور أرى أفغانيات خلال حكم طالبان (وأيضاً في عدة مجتمعات يمارس فيها الأصوليون الإسلاميون ثغورهم) ، نساء متبرجات من قمة الرأس إلى أخمص القدم ، قد تم اختزالهن إلى شكل وظل ، ثم حشروا حشرًا في علم الحساب ليتحولوا إلى محض مفاهيم مجسدة ملؤسية ، تماماً كاشكال إشارات المرور الضوئية ، يحدث هذا كلّه باسم الحضارة التي أبدعت «الف ليلة وليلة» ذلك الكتاب الأكثر «ألفونية» في الأدب العالمي ، يحدث هنا باسم شهرزاد ، تلك المرأة التي تمثل المرمز للمتجسد لكل نساء حضارتها . هذه الصورة الواحدة تكفي لإثارة السؤال: أى حضارة إسلامية ، وأى إسلام يريد هؤلاء الذين أعلنوا أنفسهم حماة له؟ ربما يتبين بالفعل شيئاً ما أو آراء شخصية ما ، وربما كان للعالم الذي يريدون تشكيله علاقة ما بالاسلام - على كل حال ليس لهذا العالم أى وجه شبيه مع الإسلام الذي أعرقه وأحبه وأعتقده في صورة أخرى أرى وزارة العدل في الولايات المتحدة ، حيث ألقوا بوشاح يغطي تمثال ربة العدالة بوسنطيسيا ، التي تمثلها امرأة نصفها الأعلى عار . لم يك يمضى وقت على النداء الذي وجّهته الإدارة الأمريكية لخوض حرب للذود عن الحضارة الغربية تحت شعار: «إما أن تكونوا معنا أو ضدها»

الندوة الثانية التي عقدت في اليوم نفسه ، بعد استراحة الغداء القصيرة بموضوعها ما الليبرالية والتسامح اليوم؟ وشارك فيها إلياس خوري بمناقشة تجمع بين مقاومة العدوان والتعصب والمصلف الأمريكي والإسرائيلي خاصه وعمرف كيف يبرز دور الكفاح الفلسطيني والعرب؟ والمشروع والحتمي في وجه الاجتياح والاغتصاب الامبرالي الصهيوني وتكلم طاهر بن جلون عن معنى التسامح (وهو موضوع كتابه إلى ابنته) وشارك في اضافة الموضوع على الساحة الآسيوية كاتب هندي مرموق هو آنان نامورتي ، رئيس الأكاديمية الأبية ساهيتيما في دلهي ، ولكنه أساساً روائي ذاعت شهرته لا في الهند فقط بل على الصعيد العالمي (متى نعرف كيف تترجم لهؤلاء الكتاب العظام)؟

وعلى الساعة الرابعة جاء دور الندوة الثالثة « ما هي الفرص المتاحة أمام الثقافات والسياسات لمقاومة الإرهاب وإرهاب الدولة ». دعيت لافتتاح المناقشة ، فيدات - كما هو طبعي وعادى فيما نرى هنا ونحس عنده ولكن قد يبنو غير قانوني أو غير متوقع هناك، عندهم بالتفرق بين « الإرهاب » و« المقاومة المشروعة » الضرورية والمعترف بها في وجه الاحتلال والعدوان ، ثم بالتفرق بين الإرهاب الفردي وإرهاب الدولة ، حاولت - وأظنتني نجحت في دحض تعريفات الإرهاب الشائعة في الغرب ، بل استخدمت تعريف قاموس أوكسفورد للإرهاب لكنه أبرز وأوكل الحافز الأساسي له - سواء عند أفراد أو جماعات أو دول خاصة إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية - وهو المعاوز الذي يصدر عن إيديولوجيات التعصب والظلمانية سواء كانت أصولية تتشعب بالدين - أي الدين - أو كانت فاشية الطابع سياسياً ، أي معادية في كل الحالات لقيم

الافتتاح ١١ سبتمبر ٢٠٠٢ ، موضوع الندوة الأولى : تقسيرات وتماثلات عن ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بمشاركة فيها عبد الوهاب المؤدب ، وطارق على ، الياس وابنبرج ، وبرنارد - هنري ليقي . الاتفاق على رفض الهيمنة « الإمبراطورية » الأمريكية سائد في مداخلات المشاركون جميعاً مع تبييعات شخصية لكل منهم ولكن الأمريكي اليوت وابنجلير هو الذي شنَّ اعتنف وأقوى هجوم على حكومة بوش ، وعليه شخصياً باعتباره قد « اغتصب » رئاسة الولايات المتحدة بالتزوير وال欺辱 . الانتخابية المعقّدة باعتباره الممثل التراجيدي - أو التراجيكميدي للمؤسسة الامبرالية العسكرية المالية الأمريكية التي لا تعرف إلا مصلحتها المباشرة بكل ما يعني ذلك لا من قصر نظر فحسب ، بل بما يجره على العالم كله وعلى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها من ويلات .

واينبرج - بالمناسبة - هو أهم مترجم لوكافيون وبورخيس من الإسبانية إلى الانجليزية وهو أول أمريكي يحصل على « نوط نسر الأذبل » من المكسيك .

أما طارق على فقد أمعن الحضور بحيويته وطلاقته ونقا رؤيته وما أظنتني بحاجة للإشارة إلى اتجاهات اليسارية ومقاومته للديكتاتورية العسكرية في الباكستان مما ألاجه إلى الحياة في التفريجاني وهو يشارك في نشر المجلة اليسارية الجديدة (نيوليفت ريفيو) ذاته الصيغ ولكن من غير المعروف عندها أنه يكتب الشعر والرواية والمسرحية ، فضلاً عن كتاباته السياسية .

كان الاتفاق سائداً ، كذلك « مع تنوع الرؤى وتنوع وجهات النظر ، على دحض ترهات « صراع الحضارات » و« نهاية التاريخ » باعتبارها أطروحات لا قيمة فكرية لها إلا أنها أداة أيديولوجية في أيدي المؤسسة الامبرالية الأمريكية وخلفائها .

أساسية هي حرية الفكر والتعبير والعمل السياسي
قيم الديمقراطي والكافر والعدالة ، أي معادلة لمبدأ
العالية (لا العولمة) والمساواة في الحقوق والواجبات.

هل كنت بحاجة إلى أن أقول:

إن أعمال المقاومة الوطنية المشروعة والمبررة في
وجه الاحتلال الأجنبي والعدوان والقهر وقد
اعترفت بها مؤسسات القانون الدولي والأمم المتحدة
إلى آخره - لا يمكن ولا يصح أن نطلق عليها
«أعمالاً إرهابية» كما تفعل حكومات تسعى إلى
الهيمنة والسيطرة وعلى رأسها حكومة الولايات
المتحدة وحلفائها، وخاصة إسرائيل..

نعم، كان من الضروري أن أؤكد هذه البديهية ،
في مثل ذلك المحفل ، وقد قوبل ذلك بالإقرار ولم
يرتفع صوت واحد ضده ، على العكس كان ثم
تعاطف واضح مع كفاح الشعب الفلسطيني وحقوقه
الأولية المشروعة.

أكدت مرة أخرى ما ليس بحاجة للتاكيد وإن
كانت ثم حاجة - في مثل تلك المحافل - لضرورة قوله
مرة بعد مرّة، أعني أن مبدأ الشرعية الدولية
واحترام القرارات الدولية مبدأ لا يمكن المساس به ،
وأن أيام إجراءات استثنائية تتذبذب أيام دولية - وعلى
الأخص الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل - بحجة
الأمن القومي أو الدفاع عن النفس إرهاب دولية
مرفوض ومدان على جميع المستويات.

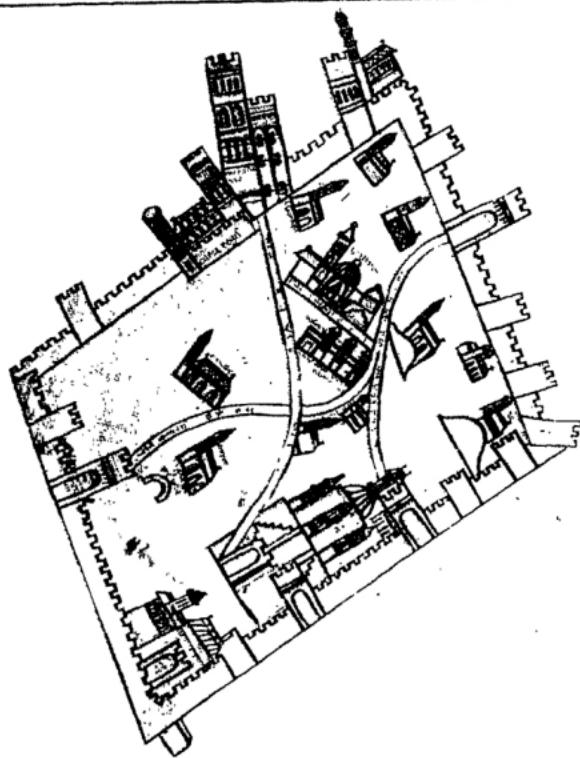
في غضون كلمتي أشدت بالبيان الذي وقعه
أكثر من ألفي مثقف ومفكر أمريكي تحت عنوان
«ليس بأسمننا» إذ أدنوا تقسيم العالم إلى «إما
معنا وأما ضدنا» وإلى محورين : محور الشر
ومحور الخير قلت إن ذلك تفوح منه رائحة التعصب
البربرى في القرون الوسطى وإن ذلك إنما يستخدم
فقط لتعزيز الهيمنة السياسية والاقتصادية
والعسكرية - وربما «الثقافية» أيضاً - للولايات
المتحدة الأمريكية.

مقاومة أشكال الإرهاب وخاصة إرهاب الدولة
يتاتي بالاعتراف المتبادل للذئاق الثقافية المتعددة
لمبادئ العالية والتكافؤ - الندية والعدالة. وما من
خير يتاتي عن أن ثقافة ما تقيم علاقتها وتفاعلها
مع الثقافات الأخرى على أساس «التفوق»
و«الاستعلاء» بل ما من مفر من الانفاق على قيم
ومعايير عادلة تحترم فيها الندية والتكافؤ . فما من
ثقافة تتسمى أو تتتفوق - بذاتها - على أخرى وعليها
أن نقاوم ، على نحو موضوعي وبنزيه وعقلاني ،
تنزعة التمركز حول الذات وإدعاءات التفوق
الجوهرى سواء كان ذلك من جانب الثقافة الأوروبية
أو الغربية أو من جانب آية ثقافات أخرى ما من
ثقافة هي وحدها مترادفة أو مقصورة
على «الحضارة» في المطلق «الحضارة الإنسانية كل
متنوع ومتنازع في الوقت نفسه تدرج فيه مقومات
ثقافات متعددة لكل منها حقه وإسهامه فيها ، كما
تدرج فيها ما ورثته عن حضارات تاريخية
أسهمت بدورها في تكوين الحضارة الإنسانية
السابقة الآن.

ذلك أساساً كانت أطروحتي للمسألة ،
أطروحة ، بالطبع، تقبل المناقشة وال الحوار والتعقيق
والتفصيل.

وهو بالضبط ما أتبىء لـــ إن لم يكن على
النحصة وفي الوقت المحدد الذي يضيق في كل
المؤتمرات والمحافل عن استيعاب النقاش
المستفيض ، فقد كان ذلك في أروقة مسرح
البرلينز انسامبل وفي طرقات أرض المهرجان
والخيème التي أقيمت في حديقته لاستقبال
واستضافة المشاركين وعلى موائد الطعام حيث
يحلو النقاش والشراب وأنس الصحبة .

يوم الجمعة ١٣ سبتمبر كان محدداً لإلقاء
قصتي بالألمانية - سعيد أن أقرأ منها نحو خمس أو
عشر دقائق بالعربية - على جمهور من الألمان .



هيرمان بيل وهو مخرج مرموق في مسرح بريلخت «بريلز انسامبل»، فإذا كان هذا الجمع قد أحسن الاستماع إلى قصة مصرية، وأحسن مناقشة بعض ما أثارته القصة من تقيينات في فن القص، لا يمكن للقارئ العربي أن يقرأها هنا، وله بالطبع أن يحسن قرائتها (وهو ما أتنبه أو أن يغفلها، وأن يشير أسلةة تعن له عنها وهو ما اطلع إليه) أو أن يعزف عن ذلك كله.

إن كان ثم مجال لذلك، وعلى خلاف ما يجري عليه العرف أو ما يتافق مع العقلانية، فلأنه أتفاءل بيام الجمعة إذا جات يوم ١٣ في الشهرا، في قاعة قريبة من مسرح بريلخت العيد - هي على الأدق إحدى القاعات الملحقة به - اجتمع عدد يزيد بكثير مما يتجمع في «نووات» القاهرة الثقافية، وبذات بيانتي أورسولا اندرس بكلمة عن تصورها لعملى الرواى - كان إلى جانبى مترجم مستعرب كف، يهمس فى أذنى بما يقال بالألمانية ثم تلت ذلك طقوس اللقاء : دقائق من القصة بالعربية الفصحى ثم إلقاء تمثيلي من الأستاذ



الفولكلور والنص المقدس

سيد إسماعيل ضيف الله

اعتقاد راسخ لديه وهو "أن الطقوس بديلة للأسطورة والعكس صحيح ، فإذا ماعثر على أسطورة استطاع أن يحدس عن طريقها بالطقوس البديلة لها ٢"

أما هدف جيمس فريزير فقد كان محددا ، إذ أراد أن ينفي الأنثربولوجيا والفلكلور عن بنى إسرائيل أنهم شعب الله المختار ، أو أنهم استثناء من التاريخ البشري ، بل هو شعب تطور كبقية البشر من مرحلة بدائية يسودها الجهل والهمجية .

وفي ضوء وسيلة أو منهجه فريزير وهدفه تحديد موضوع دراسته ، وهو تفسير المعتقدات البالية التي تنتهي إلى عصور بدائية والتي يحتفظ بها العهد القديم كأنها حفريات .

ومن هنا تبرز أهمية ملاحظة آلن ديننس **Alan Dundas** كاليغورييا ، الذي يمثل حاليا إحدى المرجعيات

عندما كتب جيمس فريزير كتابه ذاته الصايت " الفلكلور في العهد القديم " في عام ١٩١٨ ، كان يشعر بضرورة أن يعلن أنه لا يأتي بيبدعة عندما يطبق المنهج المقارن على الأدب العبرى القديم ، إذ سبقه إلى ذلك السبيل فى القرن ١٧ رجال دين أمثال القس الفرنسي صموئيل بوشار وكذلك "جون سبنسر" رئيس كلية "جسد المسيح corpus christi بجامعة كمبردج ، فضلا عن أستاذة المجل" ولهم روبرتسون سميث "بل إنه - وهو جيمس فريزير - كان ينصح نفسه قبل الآخرين بالإخلاص فى البحث والت Hibbert والتحفظ عند إعلان نتائج الإباحيات ، حتى أنه تمنى على قرائه أن يصححوا العبارات التقريرية التى لا تؤيدها الأدلة بالفتر

(١) الكافى

كان "المنهج المقارن" وسيلة جيمس فريزير فى تعقيبه لبعض معتقدات الإسرائيلىين القدماء وأنمط سلوكهم الفكرية والعملية فى مرحلتهم البدائية ، منطلقًا من

تعقيب رجل الدين والفلكلوري الروماني موسيس Gaster على كتاب فريزير Moses Gaster .
جاشتر الفلكلور في العهد القديم في جريدة الفلكلور الإنجليزي في ١٩١٩ ، وكان مؤيداً لفريزير ، إذ كانت تشنطل متابعته على المدح التالي: " إنه لشيء منعش ، أن تجد محاولة لاستاذ في علم الفلكلور لأن يمد يده ويجلب الفلكلور إلى الإنجيل دون أن يجعل من الإنجيل فلكلوراً ".

أما آلن ديننس فله رأى مختلف تماماً لأنه يشتعل على العهد الجديد ، ليس استكمالاً لنقص في أيجاد فريزير وإنما اختلافاً معه في توافقه وأدفاؤه واتفاقاً معه فحسب في المنهج المقارن . وأن ديننس لا يسعى لتحديد حفريات فلكلورية تشير إلى الإنجيل ، كما فعل فريزير مع العهد القديم ، لأن ببساطة لا يطروح على نفسه سؤال: هل الإنجيل فلكلور؟ وإنما يطلق من نقطة تالية لذلك السؤال ، إذ المقرر لديه أن الإنجيل فلكلور ، وبالتالي يكون شاغله الشاغل سؤال: كيف؟

ومن ثم ، يطرح آلن ديننس فرضية بحثه في شكل قياس منطبق على النحو التالي:

- الفلكلور متشعب ومتغير
- الإنجيل مخترق بهذا الخضور المتشعب والمتغير للفلكلور.

- الإنجيل فلكلور

هل قتلت: فلكلور!

يبني أنه ما زال أمراً حتمياً على كل جيل من المشتغلين بالفلكلور أن يقدموا دفاعهم عن الفلكلور ، بل عليهم أن يجدوا دفاعهم لأنه يبني أن النغاعات السابقة من الفلكلور سواء في العالم العربي أو الغربي وليس العالم عربياً وإنما فقط لم تتحقق النجاح الكامل ، إذ ما زال الفلكلور حبيس قفص الاتهام ، أما التهمة الموجهة إليه فهي تهمة قديمة متتجددة مابرا للقاراء والثقافات ، يتحدى تحت لوائها غالباً رجال

الاثنروبلوجية والفلكلورية على مستوى العالم ، حيث لاحظ أنه كان أمراً طبيعياً أن يقول فريزير بوجود نظائر فلكلورية لاتعد ولا تحصى في العهد القديم للفلكلور الهمجيين والقويين ، لكن الأمر غير الطبيعي من وجهة نظر آلن ديننس هو الماح فريزير لإمكانية استثناء العهد الجديد من هذا القول .

وإذا حاولنا أن نخمن دوافع فريزير لهذا الاستثناء فربما لا تخرج عن احتمالين يكمل ويدعم أحدهما الآخر:

- ١- أن هدف فريزير كان خلع قناع التمييز الذي ارتقا به إسرائيل عبر التاريخ البشري ومن ثم فحاجته تشبعها تماماً مادة الجزء اليهودي (العهد القديم)
- ٢- أن انطلاق فريزير من المدرسة التطورية جعله يفرض تقسيماً مرحلياً على مفاهيم متداخلة ومتشاركة مثل السحر - الدين - العلم . ونطراً لتعصبه غير الخفي للجنس الآرديبي فقد وضعاً في المرحلة الحضارية الثالثة وهي مرحلة العلم معتقداً أنه تجاوز مرحلتي السحر والدين .

و بذلك يكون فريزير قد خلع قناع التمييز على الجنس البشري عن بنى إسرائيل كاختيار لهم لليبيس الجنس الآرديبي الذي يراه فريزير " قد فاق بتطوره العلمي سائر الأجناس " . هذا فضلاً مما قد يتبارى إلى الذهن من احتمالات أخرى لها مشروعيتها كاحتمال أن يكن فريزير قد وظف المنهج المقارن لإزاحة الشوابئ

الأسطورية التي توارثها واعتقد فيها بنو إسرائيل ، عن صورة الله ، إذ نجده في أكثر من سياق وقد نجح في تنزيهه من صفات لاثيق . كالأنانية أو الزلة في الذكرة يفتخر بمنهجه المقارن مؤكداً أنه " دفاع قوي في حق الله " .

أما آخر احتمالات دوافع فريزير لاستثناء العهد الجديد من اشتغاله على نظائر فلكلورية مثل العهد القديم (الجزء اليهودي) ، فربما يكون حرصه على مراعاة الظرف الاجتماعي والتاريخي ، الذين سيطرخ عليهم زفكاره ونتائج أبحاثه . وهو ما يمكن أن نقرأه في

الدين والمثقفون وإن اختلفت صياغة كل فئة منها لنص الدين والاتهام ، فرجال الدين يرون الفلاكلور في مجدهم لهوا عن ذكر الله ، والمثقفون أو بالأحرى النخبويون يرونوه من مخلفات الماضي التي تعوق التهضمة أو التنمية .. إلخ وفي كل الحالات يقف الفلاكلور متهمًا بأنه قرين الخطأ والمغالطة ، فيصدر الحكم غایبًا بالتعالى عليه لأنـه مجرد فلاكلور . وفي أحوال أخرى ينظر إليه على أنه أحد النشطات التي تتقوى بها وزارات السياحة وقد يلعب أحياناً دوره المرشد الأمين» الذي تستنبطه وزارات الداخلية أو الخارجية في بعض البلدان . وفي كل الأحوال لم يخرج من قفص الاتهام إلا وقد حكم عليه بالإزدراء والتسيفية أو التسخير وكانت ينفذ حكماً أيدياً بالاعمال الشاقة .

أما الحال هكذا فإن خير وسيلة الدفاع عن الفلاكلور هي الكشف عن طبيعته الهجومية ، حيث يخترق كل ما يتوجهه البعض «فوق فلاكلوري» بل يلعب في جيناته الوراثية « فوق الفلاكلورية »، ويصبح التساؤل حينئذ مثُرّعاً، ماذا يكتونه الفلاكلور وماذا لا يكتونه؟

مبتدئاً ، هناك صنفين من الفلاكلور ، الصنف الأول تدرج تحته الأنواع ذات الجمل الحرجة ، أي التي تتغير كلماتها وتبقى الصيغة ثابتة مثل النكتة والأساطير . أما الصنف الثاني فيتدرج تحت الأنواع ذات الجمل القيدة أو الثابتة ، أي الشابة في اللفظ والمضمون مثل الأمثال والتشبيهات الفلاكلورية . لكن كلا الصنفين فلاكلور ، ودراسة الفلاكلور تختلف عن دراسة الأدب مثل ، فعادة ما يكون أمام الناقد الأدبي نص واحد فقط للقصيدة أو الرواية أو القصة القصيرة .

أما الفلاكلوري فالطبيعي أن يكون أمامه أدوات متعددة وتحقيقات مختلفة لاستطورة واحدة أو نكتة أو حتى مثل واحد بل إن الفلاكلوري يدرك تماماً أمررين ، الأول أن هذا التعدد والاختلاف الحاصل بين هذه الأدوات و تلك التحققات ليس أمراً شاذًا يتم بلا قياس بل هو الأمر الطبيعي . وثانياً فإن الفلاكلوري يدرك تماماً

الإدراك أن هذا الاختلاف وذاك التعدد إنما هما بمثابة «شهادة جودة «للفلاكلور» .

ولكن ما علاقته ذلك بالإنجيل؟ سؤال مشروع تمام ، لأن كل أنواع الفلاكلور سواء كان يتغير لفظها أو لا يتغير ، تعرف بدامة أنها تنتقل من جيل إلى جيل بالنقل الشفهي بينما الإنجيل وثيقة مكتوبة؟ وبالتالي تنتفي العلاقة وبالتالي تسقط أي تصورات عن إمكانية الاستفادة من التعرف على الطبيعة الاختلافية والتعددية للفلاكلور في فهم الإنجليل وحل بعض مشاكله العالقة .

لكن الحقيقة أن هذا السؤال ليس له إجابة واحدة وإنما إجابتان ، وكل واحدة منها تحدد فيما معينا من العلاقة بين الانجيل والفلاكلور فالإجابة الأولى أن الإنجليل في الأصل ثراث شفاهي ، ولا فرق بين العهد القديم والعهد الجديد في ذلك .

أما الإجابة الثانية فهي أن النقل الشفاهي شائع لكنه ليس العامل الجوهرى في تعريف الفلاكلور ، فهو أن فلاكلور مكتوب مثماً هناك فلاكلور شفاهي ، بل إن كلا من الفلاكلور المكتوب والفالكلور الشفاهي يخضعان لنفس المعيار ، لا وهو الاختلاف والتعدد . وإذا كانت أنواع الفلاكلور الشفاهي معروفة فإن أنواع الفلاكلور المكتوب كثيرة في حياتنا ، لكن لا تتصور أنها فلاكلور ونمر عليها مرور الكرام ومنها الأوتوجرافات المكتوبة أو الكتابة الساخرة أو الرسوم الساخرة سواء على الورق أو على الجدران سواء في الشوارع أو في غرف النوم ، وكذلك الامدادات التي يكتبهما التلاميذ في المدارس أو الطلاب في الجامعات على كتبهم الدراسية أو بفاتر الدروس والمحاضرات وأوضح ذلك ببعض الأمثلة:

١- للذكرى الهباب وأيام العذاب والزحف على التراب

حمدى عيده

متولى المصعیدي

محمد أبو المجد

<p>مستخدميها ومتغيرها سواء في الأسماء التي توقع عليها أو ترتيب السطير أو حتى في الأرقام والتواريخ المتعلقة بها فهي متغيرة مع كل استخدام وأداء لها.</p> <p>إذن نحن مطالبين بتوسيع تصوراتنا عن الفلكلور التي تحصره في الشفاهي خاصة إذا علمنا أن الفلكلور تجاوز الشفاهي بل وتجاوز المكتوب كذلك وفرض نفسه على الفاكس والبريد الإلكتروني والإترنوت والأمثلة على ذلك كثيرة ويكفي أن تلاحظ لغة رسائل الالكترونية أو الفاكسات أو الرسائل عبر المحمول أو حتى اللغة التي يتعامل بها محك الإترنوت عند البحث عن موضوع ما ولسوف تلاحظ الطبيعة الفلكلورية لكل ذلك، فالجملة، الواحدة متعددة بتنوع استخداماتها ومتغيرة في أن في جوانب معينة تتسمج لها بالذكى مع كل استخدام . هل هذا فلكلور الكترونى ؟ فعم !</p> <p>أمر آخر يتعلق بتصورنا عن علاقة «الفلكلور» بـ «التاريخ» إذ يخيل البعض أن الفلكلور نقيف التاريخ على طول الخط وأنه قرير الخيال في كل الأحوال وبالحقيقة أن الفلكلور بناء ، قواعده الفرسانية تاريخ ومعماره خيال ومن ضيق الأفق أن يحاصر بمنظومة الصحة والخطأ التاريخيين ومن البدهى أن ندرك أن القواعد الفرسانية ليست بناء في حد ذاتها كما أنه لا يتصور تصميم داخلى لبناء محقق في الهوا .</p> <p>صورة الإنجيل والتحيز للكتابة انكر كثير من الباحثين مجرد إمكانية الحديث عن وجود علاقة بين الانجيل والفلكلور استنادا إلى تصور اختلاف طبيعة كل منها فالفلكلور وفق تصورهم شفهي فقط وإنجيل وثيقة مكتوبة، لكن انتخاب بعد التعرف على أن الفلكلور ليس شفهيا فقط وإنما هناك فلكلور مكتوب كذلك صعوبة إنكار العلاقة بين الإنجيل والفلكلور استنادا لهذا التصور وإلا الكشف ما هم فيه من تناقض، بل إنه لم يكن ثمة إدراك لطبيعة العنصر الشفهي نفسه في الإنجيل بشكل تام، إذ ليس كافيا أن يشير البعض إلى أن الانجيل كان تراثا شفهيا ثم كتب</p>	<p>مجدى أبو العلاء ١٩٩٨ / ٣ / ١١</p> <p>٢- الدنيا بسمة ودموع بسمة عند اللقاء ودموع عند الفراق الدنيا نور ونار نور عند اللقاء ونار عند الفراق</p> <p>منى محمد سهام فاضل بسملة خالد ٢٠٠١ / ٤ / ١٠</p> <p>٣- إذا جلس على الشط وسمعت صوت البط شتاكري صاحبة هذا الخط رشا حمدى ٢٠٠١ / ٤ / ٢٥</p> <p>٤- يا شربات يا علبة حلويات إوعي تنسى الذكريات وتقولى إلى فات مات . إيمان على ٢٠٠١ / ٩ / ١</p> <p>٥- أتنى لكى ثلاثة أشياء ـ تكوني قاعدة فى الزفة ـ سوشالية ابنك فى اللغة ـ وحشاتك تجيela هفة . هبة محمود ٢٠٠١ / ٧ / ١٣</p> <p>٦- ٦+١ أجمع لكى السعادة ١- أطرح من عليكي الحزن ١٠+١ أضرب بيكمي المثل الأعلى ١ على ١ أقسم لكى أنى أحبك رضا صابر ٢٠٠١ / ٢ / ١٦</p> <p>اكتفى بهذه النماذج والتي حرصت على أن تكون من الفلكلور المصرى المكتوب والمتداول حتى اللحظة الراهنة ، ومن ناحية أخرى تلاحظ أن في كل النماذج السابقة طبيعة فلكلورية متمثلة في أنها متعددة بتنوع</p>
--	---

الإنجيل.

البرت لورد صاحب نظرية في التراث الشفوي ، واهتم كذلك بالعلاقة بين الانجيل «والآدب الشفوي» وقد كتب مقالاً اعتبر فيه سيرة المسيح تراث آدب شفهي . لكن آلن ديندس أخذ عليه أنه قرب الإنجليل إلى الحكاية الشعبية حين قال «لو أن الكتب التي تحكي سيرة

Gospels المسيح قصة ، وفق الشروط الشفهية

لجاز لانا أن نطلق عليها حكايات شعبية (Brewer 1979:39) «الحكايات الشعبية ، وفقاً لأن ديندس نقصة معارضة للتاريخ أو للحقيقة . ورغم اختلاف المصطلحات الفلكلورية بين آلن ديندس ولوارد يسعده بيدنس بجملة لورد: «هذا يكفي فإنه يليل بوضوح أن الإنجليل وثيق الصلة بترااث الآدب الشفوي» «والدليل عند لورد أن إزدواج النسخ وتعدد الأشكال ظاهرة خاصة بالتقليد الشفهي وقد عرفها الأنجليل . . .

على الرغم من أن كثيراً من الدارسين لديهم إشارات عن الأصل الشفاهي لكل من العهد القديم والعهد الجديد قبل أن تتم كتابتهم ، إلا أنهما سرقاً لأن ديندس لم يمضوا بإشاراتهم إلى تنتائجها المنطقية واستبعدوا احتمال أن يكون الإنجليل تراثاً شفهياً ، وذهبوا إلى اعتبار الإنجليل نصاً دينياً أو أدبياً على نحو صرف ، وذلك لهيمنة اعتقاد على الأغلبية العظمى من دارسي الإنجليل بأن «التراث الشفاهي غير مؤكّد ، وعادة ما يكون مثل سيارة معلومات متقللة يمكن إفسادها وأنه إذا ما اجتمع كل من التراث الشفاهي والكتابية فإنها القادر على طرد التراث الشفاهي إنه تحيز كتابي له عديد من المؤاهر منها مصطلح «الآدب الشفاهي» نفسه ، الذي يحمل بين حروفه قدراً عالياً من التناقض ، فالآدب قرين الكتابة، وسحبه من مجاله لاضفائه على ما هو شفاهي وإن كان يحسن نية ليس فيه تمجيد للشفاهي ، إنما التمجيد كل التمجيد للكتابية يجعلها وهي اللاحقة على

، مفترضاً أنه بمجرد أن كتب كف عن أن يكن فلكلوراً (Knight.1952) كف . وكان التراث وفقاً لـ (Knight.1952) عن أن يكون هو إزاً يستبعد من سياقه الطبيعي في الحياة ليدخل في التأليف المكتوب ويؤكّد آلن ديندس خطأ هذا القياس ، فالأسطورة لا تتوقف عن أن تكون أسطورة بمجرد كتابتها بلماذا يفقد الإنجليل طبيعته الفلكلورية الأصلية بمجرد كتابتها؟.

ليس موضع شك أن الناس «حكمت» لقرون قبل مجئ الأشكال المكتوبة للغة إلى الوجود وكانت المشافهة وبحدها وسيلة النوع البشري في الاتصال والتواصل في كافة مناحي الحياة والتي لا تستثنى منها الطقوس الدينية لكننا غير قادرين على تصوّر مدى تماسك هذه الوسيلة «المشاشفة» بمدى قدرتها على أداء هذا الدور الجليل بمفردها ، وذلك راجع إلى أننا في العصر الحديث «عصرنا» نعتمد إلى أبعد الحدود على الوسائل المساعدة «الكتابية» لدرجة جعلتنا نفشل في إدراك أن النوع الإنساني على الدوام له تاريخ جمعي يقتصر في الغالب على المعرفة المنشورة شفاماً.

إن نظرة الباحثين لعصور سابقة من على أرضية عصرهم تتبيّن لهم فقط الفرصة للمغالطة . سواء كانوا منحازين لعصرهم أو منحازين ضد عصرهم غالباً ما هم سواء ، لأن النتيجة النهائية لتقييمهم أنهم لم يروا إلا عصرهم وأنهم قاموا بتحميل عصر غيرهم نتيجة نظرتهم هذه ، سلباً وإيجاباً.

لقد مضى وقت طويل لكن ندرك أن هناك صلة بين الفلكلور والإنجيل استناد الحقيقة إن كلام من العهد القديم والإنجيل تم تناقلهما نقلة شفهياً قبل أن يتخذوا الشكل المكتوب . وب يبدو أن أمم كثيرة من الباحثين مساحة من الوقت لكي يحددو قوانين النقل الشفاهي وبالتالي يراهن آلن ديندس على أنها سوف تتساءل لنا ما الذي يحدث في الفلكلور بانتقاله من شخص إلى شخص ومن جيل إلى جيل ، ويراهن كذلك على أن معرفة قوانين النقل الشفاهي سوف تحدد العناصر الحقيقية في

سـ- دارسي الإنجيل من المخاطرة والمجازفة
ولـ بالطبيعة الفلكلورية للإنجيل.
فلكلوريا .. الاختلاف نعمة
إنـ معظم دارسي الإنجيل الذين لاحظوا
اختلافات سواء في الأعداد أو الأسماء أو ترتيب
مدادات بين النسخ وبعضها البعض قد أهملوا
بارهم تحت تأثير التحيز الكتابي في البحث عن
الأصوات أو المؤلفين سواء في المهد القديم أو في
مهد الجديد ، وهذا البحث في حد ذاته مشروع لكن
رسـ الإنجيل لندفعوا إليه معاذلة التقليد الشفهي
ثمـ المؤلف في الغالب مجهول الهوية وتحيز التقليد
بـ المفضل لديهم لعرفة هوية مؤلفه . وعلى هذا
ساسـ دارت عجلة المناوشات التي لم تتوقف حول:
كلـ متى؟ منـ كان مرقس؟ منـ كان لوقا؟ منـ كان
نـنا؟ وكلـ ذلك بهدف تخمين كلـ منهم تاريخياً ،
ـديدـ درجة نصوصية كلـ منهم.

هناك نماذج كثيرة للاختلافات بين النسخ الأربع
اجيل، يضرب أن بيدرس مثالاً للاختلاف في
إدراك بذلك الحدث الذي يروي فيه زيارة عدد من
ناس القبر الذي دفن فيه جسد المسيح، فوفقاً لإنجيل
متنا (١٢٠):
وفي اليوم الأول من الأسبوع، بكت مريم
جليلة إلى قبر يسوع.
إذن لدينا في هذه الرواية امرأة واحدة تقضم
زيارة، لكن فرقاً لإنجيل متى (١٢٨) وفي اليوم الأول
ال أسبوع بعد انتهاء السيد ذهبته مريم المجدلية
يم الأخرى تتقصدان القبر إذن لدينا في هذه الرواية
رأتان يقumenان بالزيارة ومع ذلك فوفقاً لإنجيل
متى (١٦-٢٤).

وَلَا انتَهِي السَّبْتُ، اشْتَرَتْ مَرِيمُ الْجَدِيلَةِ وَمَرِيمَ
يَعْقُوبَ وَسَالُومَةَ طَبِيعَا عَطْرِيَةَ لِيَتَيْنَ وَيَدْهَنَةَ.
وَفِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأَسْبُوعِ، اتَّئِنَ إِلَى الْقَبْرِ
كَذَا حَدَّا مِنْ طَلَوْعِ الشَّمْسِ.

الشفاهي معياراً للحكم على السابق عليه باستعارة مصطلحاتها، إنه تعامل على المصطلح الأقرب إلى الطبيعة «الشفاهية» لا وهو «الفلكلور»، والإسامة في المصطلح تحتم الرسامة في التقييم فلا ينظر إلى الفلكلور كما هو، وإنما كما ينبغي أن يكون وفق المعايير الأدبية وقصره لأن يتم تقسيمه على أنه أدب ومكتوب وقد استخدم آن دينيس مصطلح الأدب الشفاهي إلى جانب مصطلح الفلكلور ليس تعالى، وإنما لأن يوضح حقيقة

الإنجليزية مكتوبة بالفعل وهو وفقاً له فلوكلار. أما الظهور الثاني للتحيز الكتابي فهو ما أسماه سولومون جاندر **Solomon Gandz** writing in-**writing** استسعارات الكتابة novation حيث يتم تجاهل واقع التعايش بين الشفافية والكتابية والتعاون بينهما وكان الكتابة في «حالة» سعار تمنها من إعلان احتياجها للشفافية، مثلاً كانت الذاكرة بحاجة إليها لحفظ مذكرة وتصوبله لن يقرأون ويكتبون، وذلك على الرغم من أن الحاجة الآن ماسة لأن تشفى الكتابة من سعاراتها وتعلن احتياجها للشفافية ليتعلّم من لا يقرأون ولا يكتبون لأسباب كثيرة وقد أدرك بعض البشرين جدوى تعليم الإنجيل شفافاً، لكن هذا لم يدفعهم لتغيير اعتقادهم بأن الإنجيل كتاب

أو كالكتبة على حد تعبير إيفن سوزان نيدitch Susan Niditch ، وهذا هو المظهر الثالث للتحيز الكتابي فعلى مستوى الاشتقاء اللغوي نجد اشتقاء الإنجيل Bible من لغة الكتاب Book ونعتقد أنها ظاهرة لغوية عابرة للغات تتحقق تبيينا من الدرجة الأولى على كل ما غير كتابي حتى يتحقق له تمييز من الدرجة الثانية بأنه كتاب الله (The God Book) وبالتالي فهو كتاب مقدس Scripture Writing ، وللة كلامة المقدس إحدى الدلالات الجذرية لكلمة الكتابة writing . هذه المظاهر للتحيز الكتابي تمنع ولا شك وفقا لأن

وفي تلك الأيام ، خرج إلى الجبل ليصلّى ، وقضى الليل كله في الصلاة لله ولما طلع النهار ، استدمني تالميذه بواختار منهم اثنى عشر سماهم رسلاً، وهم سمعان وقد سماه أياضًا بطرس وأندراؤس أخوه ، يعقوب ، ويوحنا فيليب وبرثماوس متى ، وتوما يعقوب بن حلفي ، وسمعان المعروف بالغدور يهودا آخر يعقوب ، ويهودا الأسخريوطى الذي خانه في ما بعد».

من الملاحظ في قائمة الأسماء هذه غياب اسم معهن.

إذن لدينا أربع نساء أو أكثر يقمن بالزيارة ، هذا فضلًا عن الاختلافات فيما شاهده هذا العدد أو ذاك من النسوة من أعداد الرجال أو الملائكة حول القبر وهل كانوا في حال جلوس أم وقوف ومتى كان ذلك.. في الليل أم مع طلوع الشعمس؟.

ويضرب دينيس كذلك عديداً من الأمثلة الدالة على الاختلاف في الأسماء ، نذكر منها المثال المتعلق باسماء الإثنى عشر رسولاً ، إذ يقارن بين قوائم هذه الأسماء في الأنجليل ، ففي إنجيل متى ٢: ٤٠ نقرأ:

« وهذه أسماء الإثنى عشر رسولاً : أولًا سمعان الذي دعى بطرس ، وأندراؤس أخوه ، ويعقوب بن زبدي ، ويوحنا أخوه ، فيليب وبرثماوس ، توما ومتى جابي الضرائب يعقوب بن حلفي ، وتداؤس ، سمعان القانوى ويهودا الأسخريوطى الذي خانه».»

وهذه القائمة من الأسماء متشابهة مع قائمة مرقس لكنها غير متطابقة وبينهما اختلافات فنية ، إنجيل مرقس ٤: ٢ ، ١٦-١٩ نقرأ:

« فيعنى الإثنى عشر ، ليلازموه ويرسلهم ليبشروا ، والاشتاشون الذين عينهم هم : سمعان وقد سماه بطرس ويعقوب بن زبدي ، ويوحنا أخوه ، وقد سماه بواترجمس ، أى ابن الرعد ، وأندراؤس ، فيليب ، وبرثماوس ومتى وتوما ، ويعقوب بن حلفي وتداؤس ، وسمعان القانوى ، ويهودا الأسخريوطى الذي خانه».»

وكذلك ثالث اختلاف في قائمة هذه الأسماء في إنجيل لوقا(٦: ١٦-٢٤).

ـ ثم اقتادهم إلى خارج المدينة إلى بيت عنيا

و بذلك يكون لدينا ثلاثة نساء يقمن بالزيارة وأخيراً فوفقاً لإنجيل لوقا(٤٢-٩١).

ولكن في اليوم الأول من الأسبوع يأكلون جداً إلى القبر حاملات الحنوط الذي هياته . وإذا رجعن من القبر أخبرن الأحد عشر والآخرين كلهم بهذه الأمور جميعاً وكانت اللواتي أخبرن الرسل بذلك هن مريم المجدلية وبيتنا ومرريم أم يعقوب والأخريات اللواتي ذهبن

ـ إذن لدينا أربع نساء أو أكثر يقمن بالزيارة ، هذا فضلًا عن الاختلافات فيما شاهده هذا العدد أو ذاك من النساء من أعداد الرجال أو الملائكة حول القبر وهل كانوا في حال جلوس أم وقوف ومتى كان ذلك.. في الليل أم مع طلوع الشعمس؟.

ـ ويضرب دينيس كذلك عديداً من الأمثلة الدالة على الاختلاف في الأسماء ، نذكر منها المثال المتعلق باسماء الإثنى عشر رسولاً ، إذ يقارن بين قوائم هذه الأسماء في الأنجليل ، ففي إنجيل متى ٢: ٤٠ نقرأ:

ـ « وهذه أسماء الإثنى عشر رسولاً : أولًا سمعان الذي دعى بطرس ، وأندراؤس أخوه ، ويعقوب بن زبدي ، ويوحنا أخوه ، فيليب وبرثماوس ، توما ومتى جابي الضرائب يعقوب بن حلفي ، وتداؤس ، سمعان القانوى ويهودا الأسخريوطى الذي خانه».»

ـ وهذه القائمة من الأسماء متشابهة مع قائمة مرقس لكنها غير متطابقة وبينهما اختلافات فنية ، إنجيل مرقس ٤: ٢ ، ١٦-١٩ نقرأ:

ـ « فيعنى الإثنى عشر ، ليلازموه ويرسلهم ليبشروا ، والاشتاشون الذين عينهم هم : سمعان وقد سماه بطرس ويعقوب بن زبدي ، ويوحنا أخوه ، وقد سماه بواترجمس ، أى ابن الرعد ، وأندراؤس ، فيليب ، وبرثماوس ومتى وتوما ، ويعقوب بن حلفي وتداؤس ، وسمعان القانوى ، ويهودا الأسخريوطى الذي خانه».»

ـ وكذلك ثالث اختلاف في قائمة هذه الأسماء في إنجيل لوقا(٦: ١٦-٢٤).

ويباركهم رافعا يديه
وبينما كان يباركهم ، انفصل عنهم وأمسعد إلى
السماء ..

لكتنا نقرأ في أعمال الرسل(١٩، ٢٢):
قال هذا وارتفع إلى السماء بمشهد منهم ثم حجبته
سحابة عن أنظارهم ..
ش رجع الرسل إلى أورشليم من الجبل المعروف
بجبل الزيتون ،
وهو بالقرب من أورشليم على مسافة يجرون قطعها
يوم السبت .

الاختلاف حول اسم مكان صعود يسوع هل هو
«بيت عنينا» ، أم «جبل الزيتون» بين لوقا وأعمال الرسل
يمكن أن يعني ضمنا أن لوقا لم يكتب كل روایات
الصعود لما بينها من الاختلاف .

ويضرب ألن ديتيس العديد من الأمثلة الدالة على
النوع الثالث من الاختلاف وهو الاختلاف في ترتيب
الاحداث وتسلسلها لكتنا نكتفي بمثال واحد فقط وهو
ما وقع من اختلاف في التسلسل في احداث اغرايات
إيليس للمسيح، حيث يسعى إيليس لإغراء المسيحي ثلاث
مرات الأولى عندما طلب منه أن يتحول الأحجار إلى خبز ،
والثانية عندما طلب منه أن يقفز من فوق الهيكل العالي
ليظهر إذا ما كانت الملائكة سوف تتحقق له أم لا؟ والثالث
الثالث عندما طلب منه أن يسجد له ففيتحمه بعد ذلك
جميع ممالك العالم، تلك هي الاغراءات لكن ما نظام
ترتيبها وتسلسلها وما مدى أهميتها؟ .

إن المقارنة بين الروایات الواردة في كل من متى
ولوقا يمكنها أن تجيب عن ذلك ، حيث نقرأ في متى (٤):
١١

ثم صعد الروح يسع إلى البرية ليجرب من قبل
إيليس ، وبعدمها صمام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع
أخيرا فتقدى إليه المجرب وقال له : «إن كنت ابن الله فقل
لهذه الحجارة أن تتحول إلى خبز ! فماجا به قائلًا : فقد
كتب : ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكلمة تخرج

من فم الله! ثم أخذه إيليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه
على حافة سطح الهيكل لأنه قد كتب : «يوصي ملائكته
بك فيحملونك على أيديهم لا تصدم قدمك بحجر». فقال
له يسوع : وقد كتب أيضا : لا تجرب الرب إلهك ثم
أخذه إيليس أيضا إلى قمة جبل عال جدا وأرأاه جميع
مالك العالـم وعظمتها وقال له : أعطيك هذه كلها إن
حشرت وسجدت لي فقال له يسوع : «اذهب يا شيطان !
فقد كتب : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ! فتركته
إيليس وإذا بعض الملائكة جاءوا إليه وأخذوا يخدمونه!
لكتنا نقرأ تسلسلا آخر لهذه الأحداث في لوقا (٤: ١٣، ٤)

أما يسوع فعاد من الأردن ممتدا من الروح
القدس شفاقتاه الروح في البرية أربعين يوما ، وإن إيليس
يجربه ، ولم يأكل شيئا طوال تلك الأيام ، فلما تمت
جاء فتى له إيليس : إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر
أن يتتحول إلى خبز! فرد عليه يسوع قائلاً : قد كتب :
ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من
الله! ثم أصعدته إيليس إلى جبل عال ، وأرأاه ممالك
العالـم كلها في لحظة من الزمن وقال له : أعطيك
السلطـة على هذه المالـكـات كلـها وما فيها من عظمة فإنـها
قد سلمـتـ إلىـ وـأـتـاـ عـطـيـهاـ منـ أـشـاءـ فـانـ سـجـدـتـ
أـمـامـيـ تصـيـرـ كـلـهاـ لـكـ! فـرـدـ عـلـيـهـ يـسـوعـ قـائـلـاـ : قد كـتبـ
لـلـرـبـ إـلـهـكـ تـسـجـدـ وـإـيـاهـ وـحـدـهـ اـقـتـادـ إـلـيـسـ
إـلـيـ أـورـشـلـيمـ وـأـوـقـهـ عـلـىـ حـافـةـ سـطـحـ الهـيـكـلـ بـوـقـالـ لـهـ:
إـنـ كـنـتـ إـنـ الـلـهـ فـاطـرـ نـفـسـكـ مـنـ هـنـاـ إـلـىـ الـأـسـفـلـ
فـإـنـهـ قـدـ كـتـبـ : يـوـصـيـ مـلـائـكـتـهـ بـكـ لـكـ يـحـفـظـكـ فعلـىـ
يـدـيـهـ يـحـمـلـونـكـ تـلـلـاـنـ قـدـمـكـ بـحـجـرـ فـرـدـ عـلـيـهـ
يـسـوعـ قـائـلـاـ : قد قـيلـ : لا تـجـربـ الـرـبـ إـلـهـكـ! وـيـعـدـمـاـ
انـجـ إـلـيـسـ كـلـ تـجـربـةـ اـنـصـرـفـ عـنـ يـسـوعـ إـلـىـ حـينـ

تـكـشـفـ المـقارـنةـ بـيـنـ الـروـايـتـيـنـ عـنـ اـقـاـقـهـاـ فـيـ الـبـرـ
بـالـاـغـرـاءـ الـأـوـلـ وـهـوـ طـلـبـ إـلـيـسـ مـنـ مـسـيـحـ أـنـ يـحـولـ
الـحـجـارـةـ /ـ الـحـجـرـ إـلـىـ خـبـزـ ،ـ لـكـهـ اـنـقـاقـ يـنـطـرـيـ عـلـىـ
اـخـتـارـهـ فـيـ الـعـدـدـ ،ـ فـهـلـ هـوـ حـجـرـ بـصـيـغـةـ الـمـفـرـدـ كـمـاـ
ذـكـرـ لـوـقـاـ أـمـ حـجـارـةـ بـصـيـغـةـ الـجـمـعـ وـفـقاـ لـ مـتـىـ كـمـاـ

توضيح المقارنة الاختلاف الرئيسي بين الروايات وهو الاختلاف في ترتيب الاحداث ففي متى يسبق إغراء القفر من على الهيكل إغراء عرض السجدة مقابل السلطة والسيادة على معالم العالم في حين ينعكس الترتيب في لوقا حيث يسبق إغراء عرض السيادة إغراء القفر من على الهيكل.

إن قارضي الإنجيل فضلاً عن دارسيه من المؤكد أنهم يدينون الشيطان في حماولاته الإغرائية للمسيح لكن هل يدينون الاختلافات الكثيرة التي تصادفهم بين المرويات بعضها البعض أو في المروية الواحدة سواء كانت اختلافات في الأرقام أو أسماء الأشخاص أو أسماء الأماكن أو اختلافات في ترتيب الأحداث؟

لأشك أن الاختلاف مدان من وجهة النظر التاريخية مع أن ما تتبعني إدانته حقا هو «النظارة الكتابية» التي يرى من خلالها دارسو الإنجيل.

الاختلاف مشكلة من وجهة النظر التاريخية ، لكنه أمر طبيعي تماما لدى المشتغلين بالفلكلور ، بل إن المشتغل بالفلكلور يقصد إذا لم يصادف اختلافا في أربع نسخ لنفس المكانية الخرافية على حد تعبيره الدينس ، وقد يحيط إذا كان الاختلاف دون المستوى ، ولذلك فمن الحماقة -فلكلوريًا- أن تحاول التوفيق بين النسخ المتعددة فكل نسخة سليمة ، كما أنه ليس هناك نسخة وحيدة هي الصحيحة . إنها نسخ خيالية فحسب . إن التصدى للتتوّع لم يكن يعني أصحاب النظرية

التاريخية الكتابية من ورائه سوى الشقاء أما عند المشتغل بالفلكلور فالتنوع والاختلاف تامة . وهي ثمين لديه لأنها يشهد على فلكلورية الموضوع موضع السؤال .

كيف يتسرّب الاختلاف؟

يشير الدينس لوجود تطابق بين النصوص في كل من العهدين القديم والجديد ، لكنه ليس التطابق الحرفي بين النصوص، ذلك التطابق الكتابي الذي رسمته المطبعة في آذاننا ، إن ما يعنيه الدينس بالتطابق بين نصوص الإنجيل هو ذلك التطابق الشفاهي ، والذي

ينطوي حتما على الاختلاف نظراً لطبيعة النقل الشفاهي وأثارها الواضحة على النصوص . تلك الآثار التي لامستنا بعضا منها فيما سبق ومن المؤكد أنه لن تجد محاولات البحث عن الأصل في حالات التطابق الشفاهي ، فمن نقل عن من؟ سؤال لا يتبغى طرحه في إطار التراث الشفاهي . ويسرب الدينس عدداً من

الأمثلة الدالة على أن التطابق الشفاهي يجب اختلافاً ونختار منها ذلك المثال الذي يعرض لروايتها متى ولوقا الموعضة على الجبل / السهل؟

تقرا في متى (١٤-١٥):

«ولذا رأى جموع الناس صعد إلى الجبل . وما إن جلس تحت اقترب إليه تلاميذه ، فتكلم وأخذ يعلمهم

فقال : طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السموات .

طوبى للحرثاني فإنهم سيعززون طوبى للودماء فإنهم سيرثون الأرض .

طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم سيسبعون ، طوبى للمرحاء فإنهم سيرحمون ، طوبى لأنقىاء القلب فإنهم سيرون الله

طوبى لصانعي السلام فإنهم سيدعون «أبناء الله» طوبى للمغضوبين من أجل البر ، فإن لهم ملكوت السموات»

طوبى لكم متى أهانكم الناس واضطهدوكم وقالوا فيكم

من أجلـي كل سوء كاذبين ، افروا وتهلوا فإنكم مكافحـكم في السـموات عـظيمة .

فإنـهم هـكذا اـضطهـدوا الـأنتـيـاء مـن قـبـلـكـمـ . وتقرا في لوقا (٦: ٢٠-٢٣):

«ثم نـزلـ عـمـهمـ ، وـوـقـفـ فـيـ مـكـانـ سـهـلـ ... ثم رفعـ عـيـنهـ إـلـىـ تـلـامـيـذـهـ وـقـالـ : طـوبـىـ لـكـمـ أـيـهـاـ المـساـكـينـ

ويفسر الاختلاف في جمل لا تتضمن في البداية إمكانية أن تكون عرضة للاختلاف والتعدد لكنها غدت ثابتة في أذهاننا على صورة معينة من كثرة استخداماتنا اليومية لها انحسام بها أمور حياتية خالقية بينما فهذه الجمل الثابتة مستخدمة لتبني الخلافات بينما فكيف تتصور أن تكون هي ذاتها موضع خلاف؟ من هذه الجمل التشبيهات الثابتة والأمثال المتواترة فالتعبير الدايم الصيغة في كل الشفافات الإنسانية «ملح الأرض» نجد له ثلاثة نسخ متطابقة لكنه ليس التطباق الحرفي إذ نجد متى بعد أن يروي «الموعضة على الجبل» مباشرة يكتب: «أنت ملح الأرض». فإذا فسد الملح فبماذا يعيد إليه ملوحته؟ إنه لا يعود يصلح لشيء لأن يطرح خارجاً لتذويب الناس». ورغم أن مرقس لم يرو «الموعضة على الجبل» إلا أنه يستخدم نفس العبارة: «الملح جيد، ولكن إذا فقد الملح ملوحته، فبماذا تعينيه إليه ملوحته؟». فليكن لكم ملح في أنفسكم تكونوا مساملين بعضاكم البعض !! (مرقس ٥:٩)

بينما نجد لوقا الذي ذكر «الموعضة في السهل» لا يعقبها بهذه العبارة وإنما تأتي تلك العبارة في مكان آخر (لوقا ١٤: ٣٥-٣٤): «إنما الملح جيد، ولكن إذا فقد الملح طعمه، فبماذا تعاد إليه ملوحته؟ إنه لا يصلح لا للتربية ولا للسعادة ففيطرح خارجاً. يلاحظ دينيس أن أجزاء العبارات موزعة على النسخ الثلاث فرواية لوقا تشتراك مع رواية مرقس في «الملح جيد»، وب فيما تعيون إليه طعمه / ملوحته؟، لكن نسخة لوقا تشتراك مع نسخة متى في أجزاء أخرى من العبارة «إذا فسد الملح / لا يصلح للتربية ولا للسعادة» ففيطرح خارجاً، ويعلق دينيس على هذا

فإن لكم ملكتوت الله! طوبى لكم أيها الجائعون الآن. فإنكم سوف تشعرون طوبى لكم أيها الباكون الأن فإنكم سوف تضحكون طوبى لكم متى أبغضكم الناس

وعزلكم وأهانوا اسمكم وبنبؤه كأنه شرير من أجل ابن الإنسان. افرحوا في ذلك اليوم وتهلوا .. فها إن مكافئتكم في السماء عظيمة: لأنه هكذا هامل أي أوهم الأنبياء».

واضح أنها موعضة مختلطة وليس لها موعضة واحدة إذا ما وضعتها كليهما نفس موضع الاعتبار دون تغيير إحداثها بأنها الأسبق، فالموعضة الأولى هي «موعضة على الجبل»، وفقاً لما رواه متى في سعو «صعد إلى الجبل» بينما الموعضة الثانية هي «موعضة في السهل»، وفقاً لما رواه لوقا في سعو «نزل معهم»، ووقف في مكان سهل، أيضاً هناك اختلاف في المصادر التي تشتمل عليه كل موعضة منها حيث لم تظهر «طوبى للوداع» في نسخة لوقا وهي موجودة في موعضة متى بينما يظهر في موعضة لوقا، طوبى لكم أيها الباكون، والتي لا تظهر في موعضة متى، من المهم أن نشير إلى أنه كان هناك موعضة «أصلية» كانت تشتمل على كل ما في الموعظتين الحاليتين متى ولوقا من عناصر لكن الأهم من ذلك التذكر بأن كل العناصر لا تظهر مجتمعة في أي من روایتی متى «أو لوقا» للموعضة، ويلاحظ دينيس كذلك أن ثمة اختلافات في الصياغة تؤدي إلى اختلاف في المعنى، فعلى سبيل المثال في لوقا (٢٠:٦) نجد «طوبى لك أيها المساكين فإن لكم ملكتوت الله» وفي المقابل نجد في متى (٣:٥) «طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكتوت السماوات» من المؤكد أن الاختلاف في الصياغة بين(المساكين /المساكين بالروح والتواضع) يفتح المجال لاختلاف المعنى المراد في الموعضة، فليست كل المساكين على العموم يعانون من الجدب الروحي وليس بالضرورة أن يكون المساكين بالروح مساكين في العمر، فمن يكون لهم ملكتوت الله؟.

شائع للوصايا بانها الوصايا العشر لكن إذا عد أى شخص هذه الوصايا في نسخة سفر الخروج والاصحاح العشرين فسوف يجد إحدى عشرة وصية:

- ١- لا يكن لك الله أخري أمامي
- ٢- لا تصنع لك تمثلاً متحوتاً
- ٣- لا تسرج لهن ولا تعبدهن
- ٤- لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً
- ٥- انذر يوم السبت لتقديسه
- ٦- اكرم اباك وأمك
- ٧- لا تقتل
- ٨- لا تزن
- ٩- لا تسرق
- ١٠- لا تشهد على قريبك شهادة زور
- ١١- لا تستهت بيتك قريبك

هذه الوصايا الإحدى عشر لا تشتمل الصيغة الاستهلاكية لشكل الوصايا وهي عبارة «أنا الرب إلهك» والتي لو كنا تعدتها بحد ذاتها وصية لصارت الوصايااثنتي عشرة وليس عشر فقط، خاصة انه عندما سُئل يسوع «أية وصية هي أولى الوصايا جميعاً؟ كانت إجابتـهـ الـربـ إـلـهـنـاـ رـبـ وـاـحـدـ» (مرقس ١٢: ٢٩-٢٨).

هـنـاكـ أـيـضـاـ اختـلـافـ بـيـنـ النـسـخـ /ـ الرـواـيـاتـ حـوـلـ القـانـونـ الـمـوـسـوـيـ الشـهـيرـ تـنـسـبـ إـلـىـ مـوـسـىـ سـفـيـ (الـخـرـوجـ ٢١: ٢٥-٢٣ـ).

«إـنـاـ أـمـاتـ أـحـدـ إـنـسـانـاـ فـإـنـ يـقـتـلـ وـمـنـ أـمـاتـ بـهـيـمـ يـعـوـضـ عـنـهـ نـفـسـ بـنـفـسـ إـنـاـ حـدـثـ إـنـسـانـ فـيـ قـرـيبـهـ عـيـبـاـ فـكـاـ فعلـ كـذـالـكـ يـقـعـلـ بـهـ كـسـ بـكـسـ وـعـينـ بـعـينـ وـسـنـ بـسـنـ كـماـ أـحـدـثـ عـيـبـاـ فـيـ إـنـسـانـ كـذـالـكـ يـحـدـثـ فـيـهـ». أـمـاـ فـيـ سـفـرـ الشـيـثـيـةـ (٢١: ١٩ـ)

الشكل لتوزيع أجزاء العبارة الواحدة على عدد من النسخ المتطابقة في التراث الشفاهي بأن هذا أمر شائع حدوث في الفلكلور. أما التعبير ذاته المصيت «ملح الأرض» فهو تعبير لم يذكره سوى «متى»، أي لم يكن له نفس تصبيب بقيمة أجزاء العبارة من التداول والحضور في أكثر من نسخة.

وتزداد فكرة بندنس حول تسرب الاختلاف إلى الجمل الثابتة والشائعة ليكتشف لنا أنها ذات أشكال متعددة عندما نتذكر ذلك الأسلوب الشرطي الشائع في أغراض التعجب: «من له أذن فليسمع» هل يمكن أن يكن لهذا الأسلوب القصير الدقيق سوي شكله هذا؟ «ومن له أذنان فليسمع» (متى: ٩ـ). «من له أذنان فليسمع! (مرقس ٤: ٢٣ـ)». «من له أذنان للسمع فليسمع! (لو卡 ٨: ٨ـ و ١٤ـ). (٣٥ـ).

«من له أذنان فليسمعا ما يقوله الروح للكتانيس» (٢٢: ٣ـ ٢٠ـ ٢ـ ١٧ـ ٢١ـ ٢١ـ ٢٢: ٢ـ ٢ـ ١٣ـ ٢ـ ١٢ـ ٢ـ ١١ـ ٢ـ ١١ـ ٢ـ). يعرف الفلكلوريون جيداً أن الأغاني الشعبية غالباً ما تشتمل على مقاطع غنائية تشبه الطيور المهاجرة حيث تطير بحرية من أغنية لأغنية ، وأيضاً هناك موتيفات سردية تطير بحرية من حكاية شعبية لأخرى ولا يحدث ذلك من باب أنه مجرد استثناء بل هو القاعدة التي تحكم حركة الفلكلور في طيراته . وهناك أمثلة كثيرة في الإنجيل تتطابق عليها نفس القاعدة فالزمور يشتمل على ١٢ آية والأيات الخمس الأولى هي نفسها الآيات الخامسة الأخيرة في المزمور ٥٧ أي أن، بلغة الرياضيات.

المزمور ١٠٨ : ٥-١ = المزمور ٥٧: ٥-٦ .
بل إن الآيات الثنائي الأخيرة من المزمور ١٠٨ هي نفسها الآيات الثنائي الأخيرة في المزمور ٦٠ ، أي أن: المزمور ٦٠ = المزمور ١٠٨ : ٦-١٢ .
الوصايا العشر اثنتا عشرة
هل الوصايا هي حقيقة عشر؟ حقاً هناك تحديد

«فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين واللوحان هما صيغة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين (الخروج ١٥:٣٢-٣٦). لكن عندما هاد موسى ووجد أهله يعبدون العجل غضب وحطم ما معه من الألواح و كان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص ف humili غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل . ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطهنه حتى صار ناماً وذراه على وجه الماء ويسقي بنى إسرائيل» (الخروج ١٩:٣٢-١٩).

وهذا يعني أن الله عليه أن يكتب الوصايا للمرة الثانية على مجموعة أخرى من الألواح : «ثم قال رب لموسى انتح لك لوحين من حجر مثل الأولين فاكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأوليين الذين كسرتهما» (الخروج ٤٣:١٤) . ربما كثرة الأمثلة الدالة على أن كتب الوصايا بنفسه يدفع لغض النظر عن تلك العبارة الواردة في سفر الخروج نفسه والمُسْتَشهد بها أعلاه :

«فكتب موسى جميع أقوال رب» لكن المشكلة أن ثمة نصوصاً أخرى تقدم رواية مختلفة للحدث نفسه وترد كذلك في سفر الخروج : «وقال رب لموسى أكتب لنفسك هذه الكلمات . لأنني فحسب هذه الكلمات . قطعت عهداً معك ومع إسرائيل وكان هناك عند رب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر» (الخروج ٣٤:٢٧-٣٨).

في هذا النص نجد موسى ليس فقط كاتب الوصايا العشر وإنما مأمور من الله بأن يكتب الوصايا . وبخلاص ديندنس للتاكيد على أن سواء كان الله هو كاتب الوصايا أو كان موسى هو كاتبها فهذا أمر قد لا تشفع في عينك ، نفس بنفس . عين بعين . سين بسين يد بيد . رجل برجل».

القانون فإنه ما اقتبسه لا يتوافق مع أي من النسخ الثلاث لسبب بسيط أن متى لم يعنه كثيراً أن يشير لأى نسخة من النسخ الثلاث . بل نلاحظ أن متى قال : «وسمعتم أنه قيل ولم يقل برأيتم أنه كتب» مما يعني أنه ربما كان يشير للتقاليد الشفافية وخاصة أن هذا القانون كان جزءاً من قانون شعبي ، إنه جزء من الفكليـر .

ولا يقتصر الاختلاف في الوصايا العشر على الاختلاف في عددها أو الاختلاف في مضمونها بين النسخ الثلاث واقتباس متى لها ، وإنما يثار حولها سؤال له وجاهته وهو كيف تم تنقل الوصايا ، هل الله أبلغها شفافاً أم كتابة هل كانت صورتها الكتابية الأولى من فعل موسى أم من فعل الله نفسه؟

ترى معظم الآباء إلينا من سفر الخروج متفقـاً على سفر الخروج (١٤:٢٠) .

ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً : «ما يدفعنا للاعتقاد في أن أول ظهور للوصايا كان في شكلها الشفافي ويدعم ذلك الاعتقاد ما جاء بعد ذلك في نفس السفر وفي نفس الإصلاح وقبيل ذكر الوصايا «فقال رب لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل أنتم أتيتم أنتم من السماء تكلمت معكم» (الخروج ٢٠:٢٢) إذن الصورة الأولى للوصايا شفافية ، ثم كتب لكن كيف».

«فكتب موسى جميع أقوال رب» (الخروج ٤:٢٤) لكن في نفس الإصلاح نجد . «وقال رب لموسى أصلح الجبل ولكن هناك فاعطيك لوحـي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبـتها» (الخروج ٢٤:١٢) المؤكد أن موسى عاد من مقابلة الله وفي يده الوصايا للناس وهناك أكثر من نص يؤكد على دور الرب في تسجيل هذه الوصايا بنفسـه:

يحلو لأصحاب الرؤى التاريخية واللادعويين أن يسعوا

لإثباته أو نفيه ، لكنه لا يجذب الفلاكيوريين للدخول في حلبة الإثبات والنقاش ، لأنهم يرونهم في هذا الاختلاف /التطابق الشفاهي لدعة الاصالة الفلكلورية.

أيانا الذي في السماوات

تسرب الاختلاف إلى النصوص الرئيسية كما رأينا في الوصايا العشر ولم يكن مقصراً على النصوص

الثانوية / القحصصية في طبيعتها وهو ما يلاحظه دينيس في «الصلادة الريانية» أيضاً حيث يورد الصلاة

الريانية في استخدامها الشفاهي الأنجلو-أمريكي في الوقت الحاضر ، أي كما يقولها الناس الآن:

أيانا الذي في السماوات ليقدس اسمك
ليات ملكوتك ! لتكن مشيتتك على الأرض

كما هي في السماء بخربنا كفافنا أطمعنا اليوم!

وأغفر لنا ذنبينا كما نغفر تحن المذنبين إلينا!
ولا تدخلنا في تجربة ، لكن نجنا من الشرير

ويقارن دينيس بين الصورة الشفاهية النهائية للصلادة الريانية وبين صورها في أناجيل متى ولوقا ومرقس:

«فصلوا أنتم مثل هذه الصلاة : أيانا الذي في السماوات ليقدس اسمك

ليات ملكوتك ! لتكن مشيتتك على الأرض كم هي في السماء .

خربنا كفافنا أطمعنا اليوم! وأغفر لنا ذنبينا كما نغفر تحن المذنبين إلينا إلينا! ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير

«إن غفرت للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم

بنفوقة على النص المكتوب.

- وإن لم تغفروا للناس ، لا يغفر لكم أبوكم السماوة

زلاتكم (متى ١٥:٩-٦:١٥).

وفي لوقا (٤:٢٠-١١)

فقال لهم : «عندما تصلون قولوا : أيانا (الذي في السماوات)

ليتقديس اسمك ليات ملكوتك (لتكن مشيتتك كما في السماء كذلك على الأرض) .

خربنا كفافنا أطمعنا كل يوم . وأغفر لنا خطايانا .

لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا

ولا تدخلنا في تجربة (لكن نجنا من الشرير!)

وأصبح أن شمة اختلافاً بين متى ولوقا في ترتيب أيهما الأسبق السماء أم الأرض (لتكن مشيتتك على

الارض كما في السماء) (لتكن مشيتتك كما في السماء كذلك على الأرض) .

أما في نسخة مارقس (١١:٤٣-٤٦).

- لهذا السبب أقول لكم : إن ما تطلبوه وتصلون لأجله فأنهناكم قد ثلتموه فيتكم لكم ، ومتنى وقفتم

وصلون وكان لكم على أحد شيء ، فاغفروا له لكن يغفر لكم أبوكم الذي في السماوات زلاتكم أيضاً . ولكن إن

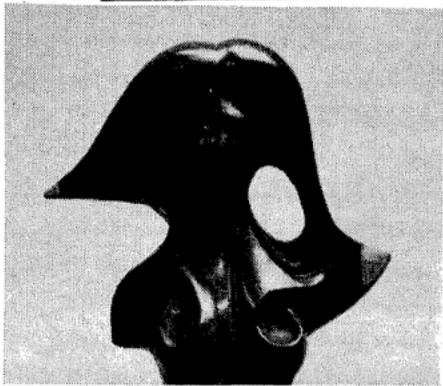
لم تغفروا لا يغفر لكم أبوكم الذي في السماوات زلاتكم.

يعطى دينيس على نسخة مارقس بأنها في أحسن الأحوال مكسرة ومشتبطة ، وهي مجرد صدى ضعيف

لبقاء النصوص لكن ربما يجاجا القراء بأن الصورة الشفاهية المستخدمة والشائعة للصلادة الريانية لا

تطابق تماماً حرفياً مع أي نسخة في الإنجيل وهذا ما يعتبره دينيس بمثابة حكم أصدره التقليد الشفاهي

بنفوقة على النص المكتوب.



العالم .. المصادفة والنقد الجدلی(ا)

سامح الموجي

قد لا يهدف هذا المخطوط في إستنتاجاته النهاية أن يحتقى بشكل كرنفالى بالأستاذ الكبير محمود أمين العالم في ميلاده الثمانين فياخذ طابعاً تاريخياً أو بيلوجرافياً عن فتن الدرج الأحمر «ليس هو الذي جعله أحمر بالطبع» (١) ومسيرته الحياتية في عالم السياسة ، والشعر ، والفلسفة ، وسرد أعماله وموافقه النضالية ، والفكرية بشكل إعلامي .

ولكن أقصى ما تسعى إليه هذه السطور أن ترصد التجربة العامة ، وتجليلات الرؤية الكلية لهذه التجربة ، والإطلاع على خط بياتها النهائي ، وسمات الدور الذي لعبه الأستاذ الكبير « وهو لقب شطرنجي » (٢) أمين العالم على رقعة الإبداع الإنساني ، وأهم مهاراته الفكرية التي أثرت في تحولات الفكر العربي المعاصر وتطوراته النقدية في صراعيته وتفاعلاته مع آخر التشكيلات الرأسمالية الراهنة.

فالتجرية الإنسانية للأستاذ العالم في حد ذاتها شيء يستهوينى ، ورصد التداعيات ، والمحننات والتحولات التي طرأت عليها هو ما يثير شهوتى البحثية ، فدسمامة التجربة وخصوصيتها ، وكثافة قوامها التاريخي شيء لا يقاوم ، ولاسيما لكونها شاهدة على مصر كامل من الأحداث ، معاصرة لجييل الرواد الذى رسم ملامح الثقافة العربية في القرن العشرين بكل تنويعها المنهجى ، وتعدد سماتها الأيديولوجية من سلامة موسى ، ولويس عوض مروراً بطه حسين والعقاد إلى عبد الرحمن بنوى وزكى نجيب محمود.

فهذا التنوع والتعدد هو ما أثرى التجربة وأكتسبها خصوبة وغنى بفاعلية في تطور خط بياتها العام ،

وتساق نتائجها مع مواقفها الفعلية فجات تحولاتها انعكاساً لصراعية هذا التنوع والتعدد الأيديولوجي، وجدلية مع واقع الحلة التاريخية وأدائها الموضوعي.

من هنا تحدد مهمة هذا المخطوط في رصد الموقف التي اتخذتها هذه التجربة الإنسانية ، والتعامل التقى معها كمنتج إنساني موضوعي في ضوء تشكيله الاجتماعي ، وظرفته التاريخية.

.. من الماجستير إلى " الكريملين "!!!

(هكذا تكلم زرادشت) .. كان هذا هو عنوان الكتاب الذي وقع في يد الفتى محمود أمين العالم طالب الثانوى ، حيث وجده فى مكتبة أخيه محمد فالمؤلف ليس غريباً عنه فقد تعرف عليه من خلال أستاذة بالمدرسة (داتيل) إنه " نينتشه " الذى سلب عقل الفتى محمود وأدهشه بقدراته السوبرمانية وأهداه جناحين وسيفاً خشبياً ليحلق فى سماء الميتافيزيقاً رافعاً راية المثالى بعيداً عن هذه الأرض المادية التى لا تليق بالإنسان ، ذاتياً بسيفة نظريات العلم المادى قرياناً لمعبد الآب " هيجل "

" كانت أحلم بمقامرة فكرية أتمنى بها حقيقة العلم الصلبة ! كانت أرى فى العالم المادى حولى مجرد نسيج وهمى صنعته تصوراتنا الإنسانية . كانت ميتافيزيقاً متطرفاً ، يتحرك بارادة نينتشه ويترعرع بحس برجسون ويسخر من العلم وموضوعيته بكلمات أندجتون وجينز (٠٠٠) وانطلقت بغير أشواطاً حتى بلغت من تاريخ الفكر أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وأستعد للاقاء المنجزات العلمية الجبارة فى بداية القرن العشرين بسيف ميتافيزيقى ما كان أشد غروره وتعاليه "(٣)

هكذا يصف محمود أمين العالم نفسه فى بدايات تجربته الفكرية ، مثالياً حتى العظم يرى الإنسان والعالم من خلال هيجل ويطبلن بفلسفات بيرجسون وماخ المثالى ، ويدخل قسم الفلسفة من أجل وجودية عبد الرحمن بدوى ، ويدأت تتباهى فى هذه المرحلة حالات من الهايج الهيجلى - على حد تعبيه - مما أسرفت فى النهاية عن تبنيه لمفهوم الضرورة - مما يعكس مبدئياً توجه التجربة وجهة علمية وبحثية فارقة - الضرورة فى الطبيعية والإنسانية ، مستهدفة تقويض دعائم العلم المادى والتاكيد على الأساس الذاتى والمثالى للضرورة فى الطبيعة الفيزيائية داخلاً أى أساس موضوعية أو مادية ، مستعيناً بسلاح الامعقول الذى يراه الحقيقة الوحيدة والثابتة فى العالم .

ويبدأ من هنا رحلة الماجستير والعمل البحثي والأكاديمى والتنقل بين عقول الفلسفه والمفكرين على مدار ثلاث سنوات للتاكيد على مصادقة العالم والانسان حتى أتى ماليس فى الحسينان وبدأ الفعل فى خلق نقيضه الموضوعى مما أسرف عن محصلة جدلية داخل معادلات التجربة وظهور عناصر جديدة أفلقت المستقر الميتافيزيقى والمثالى الثابت ، فائلئ أمين العالم كل مواعيده مع نينتشه وتختلف عن قداس هيجل الأسبوعى ، بعد ما التقى (مصادقة) وعلى غير موعد مع (المادية والنقد التجربى) فهذا هو عنوان أحد أهم مؤلفات فلايدمير إيليتش إيلانوف "لينين" ذعيم الاشتراكية ومفكراً الكبير ، وهو كتاب يتبعى فى محتواه لمذاهب الفلسفه المثاليين ويقتنها بالنقد والتحليل . . وقف فى تفال لا حد له ، لأجهز بسيفى الميتافيزيقى على هذا الكتاب العارض ، الذى التقى به ثم أواصل الرحلة إلى هدى الأكبر ، تقويض العلم الموضوعى ، ووقفت عند كتاب لينين ، ثم طالت وققى عنده ، ثم توقفت عن الرحلة نهائياً كلها . نزلت عن فرسى الجامح وسقطت منى سيفى

لقد خلع لينين عن أمين العالم رداءه الهيجلي النيتشوبي ، ومزق جناحه وأنزله من الهواء وثبت أقدامه على أرض الواقع المادى ، ولقته فى حزن ثورى أول دروس السيد فى طرقات الأرض الوعرة وبين زحام الجماهير الفقيرة حتى يرى ذاته ويعرف من هو الإنسان.

إن هذا التحول العتيف الذى طرأ على التجربة الفكرية والإنسانية لأمين العالم إنما يعكس فى محتواه المضوئى مدى التفاعل الجدى الحال وتصاعد معدلات الصراع الفكري بين التأثير المتألى للتاريخ والانسان وبين اتجاهات النقد التجربى والمادية الجدلية وتعاملها مع التجربة الإنسانية كمتحج تاريخي وموضوعى ، فكان كتاب "لينين" بمثابة إعصار جامع أطاح بقمر المثلية الذى ظل الأستاذ العالم يشيد به على مدار ثلاثة سنوات من التحضير للماجستير كما حول هذا الإعصار شراع سقينة البحث إلى أرض جديدة ومبادر بحثية جديدة " تغير البحث من نظرية المصادفة فى الفيزياء المعاصرة إلى نظرية المصادفة الموضوعية ويدأت أدافع عن الأساس الموضوعى للمصادفة واكتشاف الأساس العلمى والموضوعى لكل شيء فى العالم والسياسة والمجتمع والأدب (....) وأنهيت رسالى للماجستير باتجاه التاكيد على أن العلم قائم على أساس موضوعى وأن المصادفة هي تركيب من ضرورات "(...) " كانت مقدرة أعواماً ثلاثة انتهت فيها من بحثى عن المصادفة وتحقيق مهمتى الفكرية والتاريخية ، ويدلأ من هذه الأعوام الثلاثة ، رحث أوصل سبعة أعوام ، أراجع فيها رحلتى من جديد ، أراجع بحثى من جديد وأراجع فكرى وحياتى ثم أخلص فى النهاية إلى ما ينقض بدأها الرحلة ، أخلص إلى إيمان جديد بموضوعية العلم والعالم ، ثم أمتدا يائماً هذا إلى الحياة الإنسانية نفسها (٥)"

من هنا تحديداً - عزيزى القارئ - وفي هذا المنحنى العميق لخط بيان التجربة الفكرية والإنسانية للأستاذ أمين العالم أؤسس ثلاثة مواقف رئيسية تشكل هيكل هذا المخطوط فى مناقشته لهذه التجربة ، وهذا الموقف الإنسانى ، وخاصة عند هذه النقطة المتحولة فى النسق الفكرى والمنهجى للأستاذ العالم ويزرع النقيس فى محصلاته النهاية مما خلق حالة من الانتعاش الجدى فى تحليلاته وقراءاته لواقع التاريخى ، تأسست على هذه الحالة وتجلياتها كافة مواقفه الفكرية والإنسانية ، حين اكتشف نقلة " الكش مات " فى معركته الفكرية وبالبحثية مع " المصادفة " .. هاتقاً بعبارة نيونتن الشهيرة " وجدها !! إنها إذن المصادفة الموضوعية والضرورة المادية فى شموليتها ونسبيتها لا فى إطلاليتها ومثاليتها .. مؤكداً أن " العلم قائم على أساس موضوعى وأن المصادفة هي تركيب من ضرورات "(٦).

.. على هذا النحو المادى الجدى بدأ حالت التخلق والإفراز لإبداعات التجربة فى الإنتاج الثقافى ، والفكري ، والنقدى تتضخم مضامينها وتتخرج استنتاجاتها على مدى ستين عاماً من تاريخ الثقافة المصرية والعربية ، وتاريخ الفكر المادى الجدى .

كنت أقول أن المواقف الثلاثة القادمة تعد أبرز المواقف الفكرية والمهارات المنطقية للأستاذ العالم وليس كل مواقفه ، فهذا ما يخصيق به المجال ، ولكنها تشكل السلوك العام والجامع للتجربة ورؤيتها الكلية ، والتاكيد التحليلي العام الذى اتسم به الأداء الفكرى ، والإنسانى للأستاذ محمود أمين العالم.

أولاً : الموقف من التراث ..

ما التراث ؟ وهل يوجد في ذاته ؟ وما هي الطبيعة الأيديولوجية ، والدور الذي تلعبه الأيديولوجية للتحقق من هذا المفهوم وتمثلاته التاريخية وإنعكاساته السياسية على الواقع التاريخي ؟؟

عن هذه الأسئلة المفترضة يدور الحديث مع الاستاذ أمين العالم داخل معمله الإجرائي حول مفهوم التراث .

فالامر لديه مختلف ، فالتراث لا يوجد في ذاته رغم تحققه مادياً ، وهو هنا لا ينفي الحقيقة الذاتية للترااث " إن التراث بغير شك موجود ، قائم ، متتحقق بالفعل موضوعياً ومادياً في فكر ، في معرفة علمية ، في ممارسة ، في سلوك ، في عمار ، في بناء ، في نظام حكم ، في إشكال تعبرية قوية أو حرکة أو مادية ، في أعراف ، في عادات ، في أداب شعبية ، في خبرة ، إلى غير ذلك (٠٠٠) على أنه فعلاً أقوم به ، بمعارسته ، بتحقيقه إبتداء . وإنما هو تحقق سابق على وجودي ، ولهذا فحقيقة في ذاتها مشروطة بمدى معرفتي بها وطبيعة موقفها منها ، وتوظيفي لها" (٨) . ويعتبر الاستاذ العالم الموقف العلمي من التراث على أنه ليس موقفاً من الماضي فهو دائماً موقف من التقىض الحاضر ، ومدى التفاعل الذي يتم جديلاً بين هذا الماضي وهذا الحاضر هو الذي يحدد المذاخ الأيديولوجي لمفهوم التراث . ولهذا فإن الموقف من التراث ليس موقفاً من الماضي وإنما هو موقف من الحاضر ! فبحسب موقفى من الحاضر يكون موقفى من الماضي وليس العكس كما يقال أو كما يظن " (٩) ويتمثل أمين العالم هذا الصراع في منجزات مادية وفكيرية وثقافية وروحية تتصل إضافات إنسانية متباينة ومتخطية ، لكنها لا تترككم معرفياً بشكل مجرد في فضاء الأيديولوجية الرحب ، إنما تتجاذب ماهيتها في صراعية اجتماعية وسياسية تحدد مجالها الدلالي العام " . وبهذا المعنى حين الصراعي المتحرك للتاريخ وفي إطاره ، وفي عناصره العينية ومعطياته المشخصة تتشكل الإضافات التراثية وتتحدد المواقف في هذه الإضافات (٠٠٠) ولهذا فإن كل إضافة تراثية هي نفسها موقف من إضافة تراثية سابقة عليها وهي موضوع موقف تراثي لاحق .. وهكذا إلى غير حد " (١٠)

بهذه الرؤية الجدلية للتراث في شموليته وتاريخيته تتأكد الطبيعة التجددية والتوليدية للتراث ولا يقتصر الأمر على هذا النحو الميكانيكي الشبوري بل إن العلاقة القائمة بين هذه المنجزات التراثية على مراحل التاريخ المتغيرة لاتتم بشكل سكوتى إلى تراكى رأسياً أو مستوى ومتوازي أفقياً وإنما هي علاقة اختلاف ومقاييس ، وصراع . إنه في دلالته النهائية " . صراع الامتلاك الحاضر وليس صراعاً لإمتلاك الماضي وإنما لتوظيف الماضي لصالح الحاضر" (١١) وتتبدي ملامح هذه العملية الجدلية في إفراداتها التاريخية ، والاجتماعية في التشكيلات السياسية المقترحة إجتماعياً .. حتى إنني أتخيل أن هذه التشكيلات الفوقية - حسب لقبها الكلاسيكي - تكتسب مشروعيتها من حركتها وصراعيتها ومدى قدرتها على التجديد العملي والمفهومي لأنيتها وهيكلها السائدة . وارى الاستاذ العالم يساندنى هذا القول مؤكداً على أن الموقف من التراث هو موقف من الحاضر في معركته التجددية مع الماضي " . وهى معركة بين الفئات الاجتماعية الراغبة مصلحياً فى تكريس هذه الأبنية والهيكل وإعادة إنتاجها ، وبين الفئات الاجتماعية الراغبة مصلحياً كذلك فى تغيير هذه الأبنية والهيكل تغيراً جذرياً (٠٠٠) فما أكثر الذين يتصورون أنهم يدافعون عن التراث لذاته التراث أو عن لحظة من لحظاته أو عن موقف من مواقفه مدفوعين إلى ذلك بروح دينى أو قومى ويكرسون بهذا أوضاعاً متارضة مع مصالحهم

على هذا الأساس المنهجي تتمثل الطبيعة الأيديولوجية للتراث عند الأستاذ أمين العالم في رؤيتين أساسيتين مما : الرؤية التاريخية والرؤية الاجتماعية.

بيد أن طرح هذه الرؤى لا يقابل بشكل سوى ولا يترافق أبسطمولوجياً فهو متناقض متقاير ، ومتصارع حسب الرؤية العامة للجدل المادى ، ويحاول الأستاذ العالم استخلاصه مستنرجاً دور الأيديولوجية في تحديد مفهومنا عن التراث ، ومدى مساحة الدور الذى يمكن أن يلعب العلم بآرائه المادية والعينية أمام الأيديولوجية فى إستيعاباتنا العملية لهذا المفهوم موضحاً بإن "التراث لا يوجد في ذاته ، وإنما هو قراءتنا له ورؤقنا منه ووظيفتنا له والتحقق العلمي منه قائم وجائز في نشر أي مخطوط محقق أو وصف آخر أو اكتشافه وتحديد تاريخه (....) فالعلم بالنسبة للتراث يقف عند الحدود الوصفية التقريرية الخالصة للتراث في مختلف تجلياته . ولكن عندما نبدأ في الانتقال من عملية التحقيق والوصف إلى عملية التقييم والتوظيف فانتا ننتقل مباشرة إلى آفق الأيديولوجية" (١٣) . أما عن طبيعة هذه الأيديولوجية ورصد الأستاذ العالم لمناخها وقياس درجة حرارتها واستبساط منطقها الراهن فيحدثنا قائلاً "تبين الطبيعة الأيديولوجية للتراث ، أو بوجه آفق الموقف من التراث في رؤيتين محوريتين : الأولى هو الرؤية التاريخية والثانية هي الرؤية الاجتماعية وإن تداخل الرؤيتان في النهاية وتتمثل الرؤية التاريخية للتراث في تحديد معنى تاريخيته ، فهناك من يحدد هذه التاريخية باتخاذ منجز من منجزات الماضي في لحظة معينة من لحظات الماضي ، باعتباره محور إشارة ثابتة أو نقطة بده معياريه . مطلقة الحكم بمعقاضتها على كل فكر وسلوك وقيمة ! والتاريخ بعد هذا المحور وهذه النقطة هو انحدار متصل ا ولهذا تتحدد مصداقية ومشروعية وسلامة أي شئ بمدى اقترابه من أو ابتعاده عن هذا المحور الثابت ونقطة البدء المطلقة (٠٠٠) أما من حيث الرؤية الاجتماعية للتراث فهي مرتبطة بتلك الرؤية التاريخية . فهناك من يرى ضرورة إتخاذ محور الإشارة ، ونقطة البدء نموذجاً يحتذى عملياً أي إجتماعياً بمعنى محاولة التماثل والتطابق مع محور الإشارة وتكرار نقطة البدء واستثنائها في مختلف المظاهر الفكرية والسلوكية والتشرعية والقيمية عامة (٠٠٠) وبهذا تتحرك الرؤية الاجتماعية لمحاولة التوفيق والتوازن والتوازن بين محور الإشارة ونقطة البدء ، وبين احتياجات الأحوال المتغيرة والواقع المتتجدد" (١٤) .

أمام هذا التشكيل الهجومي الذي ينتهج الأستاذ العالم في حواره مع مفهوم التراث ومحاولاته سبر أغواره والوقوف على أماكن دفاعاته الحصينة تاريخياً وقدره على إعادة إنتاج هذه الدفاعات ببقاعات تراكمية أزيد على القوف مستنانأً الأستاذ العالم بحياة التلميذ ، ومستعرقاً معه في معادلات التفكيرية والقيمة النهائية للرؤى المستنرجة حول هذا المحور الثابت ونقطة البدء المطلقة ، ومحاولات التشخيص والتحليل الفكري والتمثيل الإجرائي ، لعناصر مفهوم التراث ، وما يتشكل حوله من زحام أيدلوجي وعلوماتي وحشد تقسيمي محظوظاً في بساطة ما أحاول تسميتها "أيديولوجية السلوك الإنساني" عبر تاريخه ، وتمثل هذه الأيديولوجية في لفظ - التراث - ناهيك عن الدور الخفي الذي تلعبه اللغة في التشكيل الحركي لمفهوم التراث والأصول السلوكية للفظ اللغوي من "التراث" إلى Inheri Tance - والذي لامجال له الآن - .

ما يجعل الأستاذ العالم يؤكد على حكم المطلق والثابت وإنصاراته المفهومية والسلوكية على النسبى

والمتطور كمفاهيم متناقضة ومتضادة فكريًا على رقعة الجدل التاريخي للإنسان ، وقدرة هذا المطلق وهذا الثابت على التعبئة الجماهيرية وتنشيط مجالات فعله الرئيسية (الدينية ، والثقافية ، والفنية ، والتشريعية) وتشكله في هيكل بنوية ضخمة لها مشروعية تاريخية نافذة ، وناسبة لنقيضها الجدل عند محاولة اقتراب وزير الله الأبيض المنظور من بيادق التبييت الخاصة بعرض الملك الأسود الثابت.

فأمين العالم لا يرى التراث في حدود هذا المحور الثابت ونقطة البدء المطلقة " بل يرى التراث تاريخاً متراكماً متضارعاً . منفصلاً متصلًا في آن ، لا يراه في منجز واحد بل في كل منجز ماديًّا كان أو معنوياً ، كما يراه في التسييج الاجتماعي الشامل ، ثمرة له وقرة فاعله فيه " (١٥) . كما لا يتوافق الاستاذ العالم أو يتوازن في رؤيته الاجتماعية للتراث ولكن هذه الرؤية " تتحرك لاستيعاب التراث استيعاباً عقلانياً ونقدياً هو إمتداد ل موقفها العقلاني النقدي من واقعها عامة ، مستلهمة هذا الاستيعاب العقلاني النقدي للتراث في استيعابها وامتلاكها وتطويرها لخصوصية واقعها نفسه " (١٦) ويحدد الاستاذ العالم في بيانه النهائي بأن " الموقف من التراث هو بالضرورة موقف من التاريخ وموقف من المجتمع وهو لهذا موقف سياسي على أو على الأقل يفضي إلى مواقف سياسية عملية ذات دلالة اجتماعية محددة ، وهذا هو معنى الطبيعة الأيدولوجية للتراث " (١٧) .

... من هنا أحاول رؤية الاستاذ أمين العالم حول طرحة " الطبيعة الأيدولوجية للتراث " ومتانج الوعي الزائف لهذا المفهوم و موقفه الفكري والتحليلي من هذا التراث . بيد أن مناقشة تجليات هذه الرؤية العامة وكليات هذا الموقف وهذه الفكرة عن التراث في شموليتها ومحاولتها التحاور معها قد يكون له مجال " غير هذا داعي الاستاذ العالم للقاء آخر حتى لا أطيل عليه بهذا المخطوط ، راجياً أن تكون قد هيأت مقدمات متواضعة بخصوص ما أو مناقشته ورؤيتها حول طبيعة الصراع المفاهيمي ومعادلات البقاء والفناء ، وبواقع النفي ونفي النفي لجدل المفاهيم الإنسانية في محاولة ودمعة لتجديد الأرشيف المنهجي لرؤية الجدل التاريخي والموقف المادي من التجربة الإنسانية .

.. إن رهان فلسفى في زمن العولمة على قدرة الرؤية المادية الجدلية وأسلحتها المنهجية التاريخية على فهم وتفسير واستنتاج الواقع التاريخي للإنسان ، ومن ثم لتأسيس موقع التغيير والتطوير .. مما أسهل التفسير الذي ظلل الفلسفة منهكين فيه طوال تاريخهم ولكن القضية هي التغيير - حسب القول الماركسي الشائع - فلا أحد يراهن في واقعه على التراث ، لكن القائم هو مازراهن عليه جميعاً .



فى الذكرى الأولى لرحيله: ذالد سعود الزيـد .. سيرة مثقـف

إعداد: عباس العداد

هو شاعر من الكويت ، ولد في العام ١٩٣٧ ، قال يصف نفسه في صباه «كنت صبياً شقياً ، أضرب أصحابي ، وأتحايل على أرزاقهم ، بيد أنني جبان أمام تهديد والدى الذى كان توييشه أشد إيلاماً على نفسى من عصا يضربني بها» ، درس في مدارس نظامية حتى المرحلة الثانوية، ثم هجر الدراسة في العام ١٩٥٧ حيث عمل موظفاً في الحكومة حتى حصل على التقاعد في العام ١٩٨٧م .
في الفترة ما بين ١٩٤٩-١٩٥٢ اندفع نحو القراءة ، وقد سارت قراءته في ثلاثة اتجاهات:

الأول : قراءة السير الشعبية ، وخاصة سيرة عنترة ويطولاته ، التي كانت سبباً رئيسياً في شييئنته ، قال «وما كان أشقايني وأنا أشق صنوف أصحابي وأدفعهم بمكبي صارخاً فيهم ، دافعاً عقيرتي بقول عنترة:

مني وبپض الهند تقطر من دمى
ولقد ذكرتك والرماح نواهل
فوبدت تقبيل السيوف لأنها
لعت كبارق من ثغرك المتبسـم
حتى إذا ما انفلت مع هذا القول الجميل ضربت صنوفهم يمنة ويسرة كما كان يصنع
عنترة بصنوف الأعداء غير شاعر بما يصيبنى منهم من أذى ، أو شجوج في رأسى

وكدمات على وجهى».

وقرأ سيرة الوزير سالم الشعبية ، قارن أشعارها المنسوبة لأمرئ القيس بديوان «أمرئ القيس والراقصة» تحقيق حسن السندي -رحمه الله- وكانت تلك أول محاولة أدبية قام بها محاولاً إثبات أن السير الشعبية حقيقة ، وأنها مصدر تراثنا العربي الذي يعتقد به حين التوثيق.

الثاني: قراءة مكتفة لفتاوی ابن تيمیة الفقهیة التي وجدها في مكتبة والده الذي كان حنبلي المذهب وهابي الهوى.

الثالث: قراءة الكتب ذات المزدوج الإنساني العام، كمسرحيات شكسبير والروايات السوفيتية الخالدة لتوليستوي وبوستوفسكي.

وفي مارس من العام ١٩٥٤ نشر أول قصيدة شعرية له في مجلة «البيضة المدرسية» لسان المدرسة الثانوية بالشيوخ وكانت القصيدة بعنوان «صيحة عربية» مطلعها:

-أنبئ الخطاب يأتي ويرى ما دهى الشرقه وماذا قد جرى

-ما هي القدس وما حل بها أين أين القدس تدعوا عمرا

-كيف أصبحى العرب في قوضى على شر حال كيف أصبحوا رمزا

ولقد كانت قصائد البداية كلها بلا استثناء ذات اتجاه قومي خالص، وزنزة عربية خالصة:

ـيا سائل عن مذهبى وعقيدتى إن العروبة مبدئى ومعادى

وكانت فلسطين ولم تزل جرحا يتزلف فينسكب فى أعماقه ، فيخرج شعرا انفعاليا يصور الألم والحزن والماراة في لغته وصوره:

ـهذى فلسطين الجريحة تشتكى فى كل بيت صرخة وعويل

ـوعندما أمم القائد جمال عبد الناصر (قناة السويس)

ـأقيم احتفال فى ثانية الشيوخ بهذه المناسبة ، فالقى قصيدة مطلعها:

ـما لهذا الصب أعياه السأم بات لا يدرى مدى هم الهم

ـوالمعالي لا يلقاها سوى من تلقاها بسيف وقلم

ـأمضت مصر قناتها فانبرى كل نذر هائجا ياللسقم

ـولم ينس نضال الجزائر وثورتها الشعبية ضد الاستعمار فقال:

ـسل قمة الأبراس من زانها مجدًا ومن طهرها بالدم؟

ـنحن قربيناها بأرواحنا أكرم بها والمطعم المكرم

ـما عابها مين الحقد القيمي أيامنا في الدهر مشهورة

ـريانة الأمجاد عن قدرة

نشوانة الأعطاـف لم تهرم

ولم يتوقف عن القراءة ، فظل يقرأ في كتب الفرق والمذاهب الإسلامية (الشيعة، الاسماعيلية، الزيدية) مفاضلاً بينهما ، ساعياً نحو الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها ، وقال يصف تلك المرحلة: «وكفى أن أقول أنني قرأت كل ما وقع تحت يدي من كتاب في التاريخ ، أو الدين أو الأدب أو العلم ، وبينما تراني أعيش موسلاً في الإيمان ، تراني متربداً في سفح حضيض الشك والتردد».

وهذه المرحلة من حياته الفكرية المترجحة بين الشك واليقين، بين الإيمان وعدمه ، كانت مرحلة مفصلية بوصفها لمرحلة التصوف الفكري والروحي التي عاشها بعد ذلك ، والتي سيطرت عليه واحتوته «لقد عشت غربة روحية قبل أن ترسو سفينتي طوافي ، وعشت غربة جسدية ، فسافرت كثيراً بمركب الغربتين ، وتنقلت في بلاد الله الواسعة ، منتشرًا في الأرض وفي الكتب ، منقلباً ما بينهما زماناً طويلاً ، كلما لامست القرب ، دافاني لافتراض يبعدني ، وكلما شفني سراب لحظني غيري يبهرني».

وفي التصوف وجدت حقيقتي وشاهدت ذاتي وما في ذاتي من وراء مستسلم وأمام يقود ، وقد سجلت بداية اللقاء في قصidتي (الحقيقة المطلقة) ١٩٧٠ مـ

ومطلعها :

ـمنك ما في الحروف من عنفوان

ـيا ابتسamas تثراها في المعانى

ـيا ارتياـد المشـوق يـندـاح بـعـدا

ـكلـما لاـح لـلـعيـون الرـوـانـى

ـفـتجـربـتهـ الشـعـرـيـهـ /ـ الصـوـفـيـهـ تـجـربـةـ غـنـيـهـ فـىـ مـعـانـيـهاـ ثـرـيـهـ فـىـ لـغـتـهـ الـقـرـآنـ مـصـدـرـهـ ،ـ وـحـبـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـعـشـقـ آـلـهـ رـاـفـدـهـ ،ـ فـتـجـربـةـ (ـالـزـيـدـ)ـ تـتـأـلـقـ بـالـلـغـةـ الـقـرـآنـيـةـ الـرـفـيـعـةـ الـتـىـ اـسـتـطـاعـتـ أـنـ تـعـطـيـ كـلـ سـائـلـ مـنـهـ سـؤـلـهـ ،ـ ثـمـ تـهـدـيهـ إـلـىـ هـذـاـ التـشـكـيلـ الـفـنـيـ بـالـكـلـمـاتـ ،ـ لـيـصـبـرـ كـلـ اـمـرـىـ عـنـ تـجـربـتـهـ الـذـاتـيـةـ مـنـ خـالـلـ لـغـةـ سـمـاـوـيـةـ عـلـوـيـةـ لـهـ وـقـعـهـ عـلـىـ التـفـوـسـ الـبـشـرـيـهـ وـحـضـورـهـ الـمـتـأـلـقـ عـلـىـ الـمـتـقـنـىـ .ـ

ـفـمـاـ انـفـكـتـ تـجـربـةـ (ـالـزـيـدـ)ـ الشـبـعـيـهـ /ـ الصـوـفـيـهـ تـسـتـمـدـ مـنـ تـلـكـ الـلـغـةـ الـقـرـآنـيـةـ مـعـيـنـهـاـ مـتـواـلـدـهـ فـىـ تـوـالـدـهـ الـمـتـجـدـ عـبـرـ اـسـتـخـادـهـ الـفـنـيـ الـوـاعـيـ ،ـ بـهـ إـنـهـ صـاحـبـ تـجـربـةـ شـعـرـيـهـ /ـ صـوـفـيـهـ خـاصـةـ ،ـ نـشـأـتـ فـىـ صـحـراءـ شـبـهـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ الـقـاطـلـةـ مـنـ الزـرـعـ وـالـضـرـعـ الـرـوـحـيـنـ ،ـ كـائـنـاـ النـخـلـةـ الـتـىـ قـلـيلـ مـنـ الـمـاءـ يـرـوـيـهـ ،ـ وـكـثـرـةـ السـمـومـ تـحـميـهـاـ مـنـ الـفـنـاءـ وـتـحـفـظـ لـهـ بـقـاؤـهـ الـمـسـتـمرـ .ـ

ـوـيـكـادـ يـكـونـ (ـالـزـيـدـ)ـ الشـاعـرـ الـخـلـيجـيـ الـوـحـيدـ الـذـىـ يـمـتـلـكـ تـجـربـةـ شـعـرـيـهـ /ـ صـوـفـيـهـ فـىـ الـمـنـطـقـةـ فـىـ الـعـصـرـ الـحـدـيثـ ،ـ لـهـ مـلـامـحـاـ الـواـضـحةـ عـبـرـ الـلـغـةـ وـالـمـوـرـوثـ الـصـوـفـيـ ،ـ فـهـىـ بـنـتـ

تراث شعري / صوفي متين يبدأ من الحاج شاعراً مطوفاً في كل تجارب اللاحدين وأصلاً الأول بالآخر، منتجاً منها ومن سلوكه الصوفي الذاتي تجربته الخاصة. وربما يرجع السبب لهذا التفرد في التجربة إلى محاربة الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية منذ قيامها لكل الحركات الصوفية، والمفاهيم الروحية التي تقيم علاقة مع الغيب الفاعل بالنسبة للصوفية ، والخامل بالنسبة لحركة الإصلاح الوهابية.

وخرج (الزید) من هذه البيئة الجنبلية الوهابية في إنقائها الفقهى والفكري إلى واحدة الفكر الصوفى يعد خروجاً على السائد ومخالفة للقائم، وربما كان لها الدخول مسوغاته فى شخصية (الزید) النزقة، التى لا ترکن للثابت ، باحثة عن التحول باستمرار ، لا تقف ولا ترید الوقوف ، لأنها أدركت بوعيها الصوفى أن « الوقوف سقوط » ، وأن « الملتفت وراءه لا يصل ». .

وقد كانت شخصية (محمد) صلى الله عليه وسلم هي النموذج المحوري الذى منه انطلقت تجربته الشعرية بشكل عام ، وتجربته الصوفية على نحو خاص، فمحمد الإنسان ، ومحمد الوجودان ، ومحمد الروح الأعظم ومحمد المثل الأعلى محمد (الذى ليس لهناه فى الحقيقة حدّ، الوجود بأسره من وجوده مستمد) وربما كان مطلع قصيدة (محمد) التي كتبها العام ١٩٧٦ م تحمل فى طياتها مضامون الحديث النبوى الشريف عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم مخاطباً جابر: «أخذ الله... قبضة من نوره وقال لها : كوني محمداً ومنها خلق الخلق».

لذا جاءت قصيدة (محمد) وتلتها بعد ذلك قصيدة (صورة) في العام ١٩٨٦ م لتكشف عن أهم دعامة في تجربة (الزید) الشعرية / الصوفية ، محمد العربي الأصل والمنشأ ، الذي أحب العرب لثلاث : لأن القرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي ولأنه عربي» ، وليس عروبية محمد- هنا- عروبة عرقية- بقدر ما كانت عروبية حقيقة ، عروبية تتصل بالحق الذي (عرى) به الإنسان.

ومن ملامح التجربة الشعرية / الصوفية لديه -أيضاً- حضور بعض الشخصيات الصوفية المثيرة للجدل في تراثنا العربي ، فالحاج (ت ٥٣٠ هـ) شخصية مقلقة في تاريخ التصوف الإسلامي ، صliftت لتفنى ، فما كان صliftها إلا سرّ بقائها حاضرة ومؤثرة فيمن جاء بعدها وكانت الشخصية الصوفية الأكثر استلهاماً في الشعر العربي المعاصر (مأساة الحاج لصلاح عبد الصبور).

وذلك شخصية أبي حامد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) ، الذي كان شاغل الناس ولم يزل فى بحثه عن الحقيقة ، وقدرته على الأخذ من الشريعة ، والأخذ من الحقيقة ليكون بينهما

يرزخا لا يميل ، وقياما لا يغيب.

كما لا يفوت (الزيد) علينا فرصة التعرف على المدد الغيبي في نشأة النص الشعري - كما جاء في قصيدة الطواسين - عندما سأله معلمه منكراً عن معنى الطواسين فأجابه عن معناها شعراً، إنها أشبه بقصائد الأسلاف من الصوفية الذين كانوا يأخذون مددهم الفكري والشعري من مصدر حقٍّ غيبيٍّ أمثل (ابن الفارض وابن عربي والجيلي).

ولا تتوقف صوفية التجربة عند هذا الحد بل تسعى إلى إضافة في المشهد الشعري الصوفي، عندما تدخل التجربة الصوفية واللغة الصوفية في قصائده عن الشهداء (شهداء الكويت إثر الغزو العراقي للكويت أغسطس ١٩٩٠م)، فقد كانت لغته الصوفية وصوره القرآنية، وسلوكه الصوفي، وإيمانه الروحي متجليا في تلك القصائد، حاضراً في أرجائها طاغ على الصورة الحية، فالشهيد لم يعد شبيحاً بل صار روحًا خالصة لبارئها. موجودة تحت العرش، ممسكة به، وفي رأسها نور ونار.

إنها تجربة صوفية لإنسان سالك، جاهد في سبيل الوصول إلى الحق، وما زال يجاهد، مترقياً من الكثيف الفكري إلى الشفيف الروحي، قاصداً وجهه، ساعياً نحوه، ليكون هو هو أو ليكونه.

محمد

ما لمعناه في الحقيقة حد

كل شيء من نوره مستمد

هو هذى العصور تترى تباعاً

هو الذي الجموع حين تعد

ف فهو ما بين ظاهر يتواري

وهو ما بين باطن يستجد

قد مشى عبره الوجود سباقياً

نحو غاياته التي لا تحد

صلبت في مكانها عاديات

ضbihت والطريق قتل وحد

عقر الدرب حلمها ويعيد

ما رماها إليه وجد ووجد

ما أرى الشمس غير جذوة شوق

ساقها في مسيرة الحب عبد

والنجوم المسخرات لأمر

قتل ليلها ولم تجر بعد

غرقت في فضاءه تائهات

مثل قطر لو كان في البحر يبدو

سل حراء عن ليلة القدر ما من

شاهد غيره هناك يعد

شهد اللحظة اليتيمة لما

وقف الكون خاشعا لا يرد

وصفوف من الملائكة رتل

خلف رتل من خير ما صنف جند

وتولى على البسيطة جبريل

وحيداً يروح فيها ويعدو

ثم نادى في الكون ثم مناد

أيها الظائمون قد حان ورد

قد تلاقي ركب السماء بركب الـ

أرض في أحمد الهدى وهو فرد

الحلاج

سألت الشبلى فى لحظة إغفاءة : هل شهدت صلب الحلاج ؟ قال : بلى شهدت مولده ،
وهو يتحقق فى رحم الحقيقة ليكون للخلية مثلا .

قال الحلاج

حسب الواحد افراد الواحد له .

وقال الحلاج : ركعتان فى العشق لا يصبح وضوؤهما إلا بالدم .

هجرت الطلول وأصحابها

ووجهت وجهي محرا بها

وأوقفت قلبي لها قبلة

وأرجف بالحرف مستكتب

هجرت منزلى ولن أعود ما بدا صنم

كم رحل لرحلة

وقدمة إلى قمم

خلفتها

دنتوت منك قاب قوسين ولم
أعد أرى
لا اللات لا العزى ولا ما يفترى
فلتسقط القمم

هجرت منزلى ولن أعود ما بدا صنم
أفتيتني بك حتى لم أعد جسدا
وحسب مثلثي إفراد لسيده
خلفت هارون في قومى فما حفظوا
واستضعفوه وشادوا من حلهم
هذا دمى يجرى على الأرض اشربوا
يا أيها الأحباب من دمى اشربوا
هدية الدماء لا تكتب

فكم تعذب الذين لم يجربوا
يا ليتهم ، لكنهم ما جربوا الدما
ولم يروك مقلة ولا فما
ولو تنقووا

لاستعنبي العذاب ثم لم يعذبوا
أل ... طوى .. س

قلت لعلمي ماذا يعني الحلاج بكلمة (الطواسين) ؟ قال:
(أل) بمعنى الذي ، و(طوى) فعل ماض بمعنى أخفى . و (س) تعنى ذلك المخفي.

د المشرئب لمنتها
عد بي إلى حرف الوجو
المستجد على مداها
من سدرة الحق القديم
لم يكن فيها سوها
ما بين غاد أو مقيم
من كنت . إن الله باهى
يا (سين) إن لم يعرفوا
سلى عليك الله والاس
فيها وإنك مبتداتها
ما كنت إلا المنتهى
سر والفارار لمن أتها
صلى عليك اليوم نفح
وجه الحقيقة يا سنها
يا كعبة العافين يا
سدة الحمى، إننا فداتها
جيئنا إلى الأرض المقد

سدان ما أحلى شذاها
 مات العصور وما تلاها
 لأنت أول من بناها
 رع في الهوى أو من قلها
 سع وعندك ربك منهاها
 يا قبلة صلي لها الوج
 ما كان غيرك في قدي
 يا واحداً في القبليين
 لا يحزنك من يسا
 فلسوف يشهدها الجمي

البحث

سأظل على راحلة الأسفار ، على كتفى مزودة ظمائى
 ينهشها ليل وحشى الأنبياء
 لست الأول مصلوبا في الدرب
 ولا الآخر مقتولا في الحرب
 أجيال من قبلى مررت
 هذا مقطوع الساقين
 وهذا من دون يدين
 والدرب على مصراعيه
 مفتوح الأبواب
 لا تعرف من يدنو أو ينأى
 قتلاه بلا حد
 والموت بلا أسباب

لاصبر فقد أدمى أقدامى شوك الصبر
 مرق أحشائى
 صير دمعى حجرا
 أسقطه في بؤيّ عماقى
 يتهاوى ، يرجم أشواقى
 يسحقها سحقا في القعر المظلم يالصبر

 لو أبصوت الهيكل تذروه الريح
 يطويه الإعصار كما يطوى التابع

ويرمي به صحراء النار
وما يشعر بالدغ
لم يفتق قشرته الأرضية
لم يخلق
ما زال التيه أباه
وهمي التكوين
يبحث في الطين عن الطين
يا بركان الأرض السابعة المزوى
يانبعا فوقى الأنساب
يطعمه الجوع فينساب
على الأرض حفى الخطوط
أطعمنى من زادك شيئاً
ما زالت مزودتى ظمائى تنتظر الري
وخفاف الراحلة المنهوبة مثقوبة
لا شيء سوى الأحلام المكتوية
في صحراء تمام على حافات النهر المنسى

أشتاقك برقا يلمع مرة
القى في أحضانك كل شجوني
تسقينى قطرة
تسكبنى فيها
تلحقنى منها
فتعيد التكوين الأول للفطرة
حيث عيونى ماعادت تبصر
طمسمت فى ليل ظنونى
ويعيد الدرب الكرة
المرة تلو المرة
لكن لا أبصر غير مشوه
مقلوب الصورة والنفس مموه

يا صحراء الألم المتد
سلمت بأن الرحلة وجد
بيداً بالإنسان الكون ويرتد
تتجدد من معناه الأشياء وتولد
لكنى سائل على راحلة الأسفار على كتفى مزودة ظمائى.

عود على بدء

وسرت بغاية ظلماء لم أبصر سوى أشلاء أحلام
ورائى من خليط الليل أشباح تروعنى ، وقدامى
شجون من شجون الأمس ملأى من جراحاتى
دماء ملء راحاتى ، وأقدامى
لأشواك الأسى والقىه مزيلة ، وأهاتى
يضيق بها المدى المسعور ، آهاتى
ولا من نقطة تصل
كأنى للردى مثل
صليني يا متى سفري
بأى غد بأى يد
بشئ ما ليوصلنى
ويربط أمسى المحزون بالآتى
على بعدها أصل

ومن ثقب ضئيل الحجم فى جدرانى الظلماء من مسنون
تكوينى
رأيت وبالبصرة
سرت فى إثر خيط بارز القسمات من نور
وادركت الذى قد فات والآتى
وشيشاً دونه الكلمات والصور
ألا ياحبذا السفر

لكم أشتاق للنور
 أذوب وفيه انتشر
 على آفاق مستور ومستور
 . تطالعني سماوات تنادي أيها المسحور بالطين
 تأمل سر تكوييني
 وأدركك الذي قد فات والآتي
 عرفت ولم أكن أدرى الذي قد كان يحدوني
 يعلمني ويغدواني
 يضيئ كأنه شمس
 وطوراً إنه قمر
 ويبهرنى شعاع منه فى ذاتى يلامستنى
 فتحسب أنه القدر
 يعلمنى ويغدواني
 ولكن لا أرى شيئاً سوى لا شيء يغمرنى
 وعدت إلى سماواتى
 أقلب وجه أعمقى إلى ذاتى
 رأيت .. عرفت .. أدركك الذي قد كان يغدواني
 وبيعث فى من مكتون مخزونى
 (أنا)
 لاشمس
 لا قمر سواى (أنا)
 وتلك يدى
 أجهلها ؟ وإن جهلوا معالهم
 أجهلها ؟
 أراها،
 ذى أظافرها
 أراها،
 ذى أصابعها
 وذا وجه من أذر

يطالعني ويبتسم
عرفتك لست أنتهم
فما في باطنى إلا (أنا) وهم
(أنا) وإن هم نكروا
فما ذاقوا الذي قد ذقت مانظروا
أرى المرئى في أنا
عجب عالمي .. أنا
جماع عوالم ؟ أنا
إذن إني
بحث
عن أنا فيه ومانظروا
و قبلت القم العينين والقدمين
سجدت وغبت في السبحات
و فرت من فم الكلمات
و ددت بأن أكون فما
ورأسا مقلة قدما
و نفسا ترفض العدما
أكونك .. لا ..
فلست كما ..
و فرت من فم الكلمات
فعودي لحظة الإشراق كم أشتاق للنور
أذوب وفيه أنتشر



الأدب الأذربيجاني في الدراسات العربية

وأزمة الأدب المقارن

د. إمام وردش حميدوف

ليس اهتمام الباحثين المصريين بالأدب الأذربيجاني من قبيل المصادفة.

يمتد تاريخ الأدب الأذربيجاني خلال العصور التي قضتها الشعب الأذربيجاني في نضال قاس من أجل وجود . ويتميز هذا الأدب ب الإنسانيته الرفيعة وله علاقة وثيقة باللغات غير الأذرية كالعربية والفارسية والروسية، كما أنه ينبع بالقيم الإسلامية والحكم الشعبية العميقية الدلالة إذ بدأ تراث الغنى التأثر بالثقافة الإسلامية والعربية خاصة والتفاعل معها يتخذ عمقاً وشمولاً في القرن الوسطى.

ومن أهم أركان الأدب الأذربيجاني الإبداع الشعبي . وعلى رأس هذا تبرز الملحم الشهيرة مثل «دادا قوورد» و «كورأغلو» و «أغوزنامه» والأشعار المسماة «بیاتی» وغيرها . وأكثر ما يميزها بشكل عام الإحساس العالى بالقومية وحب الوطن والتشكيل الواعى للنماذج الإنسانية الموجودة فيها والتأثر الواضح بالروح الإسلامية.

وتعود ملحمة «دادا قوقورد» من أشهر الملحم الأذرية التركية حيث يعود تاريخ ظهورها إلى فترة زمنية حصرها الباحثون ما بين القرن السابع والحادي عشر وقد تم الاحتفال في عام ٢٠٠٠ بمناسبة مرور ألف وثلاثمائة عام على ملحمة «دادا قوقورد» وذلك بقرار من المؤسسة الثقافية التابعة للأمم المتحدة.

حيث قدم فكرة مهمة تشير إلى تشابه بعض المفردات في هذه الملحمة مع بعض الكلمات المصرية القديمة أخذًاً بعين الاعتبار أن المخطوطين النازرين لها موجودان فقط في الفاتيكان (إيطاليا) ودرزدن (ألمانيا). ويعتقد العلماء أنه من المحتمل أن نعثر على مخطوطة أخرى للملحمة في مصر.

أما ملحمة «كورأوغلو» فتحكي عن بطولة البطل الشعبي روشن كور أوغلو وصراعه ضد الحكام الظالمين ويرافقه أصحابه البواشل وصديقه المخلصة ويساعده فرسه . ويلاحظ أن سلاح كورأوغلو هو السيف المسمى بالسيف المصري وهو ارتباط لفظي ومعنوي بمصر القاهرة في إبداع الشعب الأذربيجاني.

وفي القرون الوسطى درس كثير من الأذريين على يد العلماء المصريين ،كما أن الأدب والنحو الشهير أبو زكريا الخطيب التبريزى عاش في مصر حوالي عشر سنوات وتعلم أساس النحو عند أبي الحسن طاهر بن باباشان.

من المعروف أن الشاعر الأذربيجاني والإيراني الشهير نظامي كنجوي (عاش في القرن الثاني عشر) لعب دوراً هاماً في تطوير القصة المنظومة ومهد لتأليف «الخمسة» وفي هذه القصص توجد صور تمثل الشعوب المختلفة من بينها قصة «مهان» المصرية ويصف نظامي فيها مغامرات مصرى خارج بلده .وفي قصة «إسكندرنامه» أو (كتاب الاسكندر) توصف مدينة الإسكندرية القديمة على النحو التالي: «مدينة مثل الربيع الأخضر» و«جنة في الثور والتممير».

وهنا فصل خاص عن ماريا القبطية التي تسافر إلى اليونان وتدرس علم الكيمياء وتغنى خزانة بلدتها مصر.

ولعل ما أقدمه هنا ما هو إلا تمهيد تاريخي للعلاقات الأدبية الأذرية المصرية وذلك لإعطاء بعض اللمحات عن خصائص الأدب الأذربيجاني الذي أصبح موضوعاً للبحث لدى العديد من الباحثين المصريين إذ تتحرك دراساتهم عادة في اتجاهين لدى الكتابة عن الأدب غير العربي وهم اتجاه الأدب الإسلامي أو اتجاه الأدب المقارن.

ومن أشهر من كتبوا في هذا المجال عبد النعيم حسين ومحمد عفيفي هلال وأمير عبد المجيد بدوى وحسين مجتبى المصرى ذلك أن دراسات هؤلاء عن مبدعى الأدب الأذربيجاني تشمل أسماء

مثل خاقاني شروانى ونظمami كنجوى وعماد الدين نسيبى ومحمد فضولى.

وفي مقدمة كتاب عبد النعيم حسنين «نظمami كنجوى» - شاعر الفضيلة: عصره وبيئته وشعره» يؤكد إبراهيم أمين الشواربى أن هذا الكتاب هدية أدبية عظيمة إذ أفاد المؤلف من المصادر الموجودة فى مكتبات إيران وتركيا والهند وباكستان وإنجلترا وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا وألمانيا ويوجد من بين المراجع التى اعتمد عليها مؤلفات باخانوف الأذرى وقرود لفسكى الروسى ومجموعة من المقالات عن نظامى نظمami صادرة فى باكى.

إن آراء عبد النعيم حسنين فيما يتعلق بحياة نظامى تعبير عن موقفه القىدى حيال مصادر المعلومات . من بين ذلك الفكرة غير الصحيحة عن حياة نظامى وما ذكره بعض المؤلفين أمثال قزوينى زكريا وأمين رازى اللذان كتبا أن شاعرنا تعرض للعديد من المصاعب المادية الأمر الذى لا يتفق معه عبد النعيم حسنين . ولقد ثبتت صحة رأيه عندما نشر أكاديمى آخر هو حميد أراسلى فى ثمانينيات القرن العشرين «الدفاتر العثمانية للقرن الوسطى» مشيراً إلى أملاك الشاعر نظامى الكثيرة.

وتعتمد دراسة عبد المنعم حسنين على التحليل الأدبى والمقارنة النظرية ، هذا والمنظومة الأولى من سلسلة «خمسة» و«كنز الأسرار» تتم مقارنتها «حدائق الحقائق» لستنائى وبعد مؤلف نظامى أفضل وأكمل.

كذلك يشير الباحث إلى الفرق بين «خسرو وشيرين»، لنظامى و«شاه تامه» الفريوس فخسرو نظامى يختلف عن خسرو الفريوسى بعشقه ، كما يكتب الباحث أن منظومة «خسرو وشيرين» لنظامى هي أول مؤلف رومانسى فى الأدب الشرقي يحكي عن الحب كما أنه أى الباحث- يطبق النهج المقارن فى دراسة منظومات «ليلي ومحجنون» و«سبعة نجوم» ، و«اسكترناتامه» وتوجد ملاحظات قيمة عن مدرسة نظامى ومقليه إذ يلفت عبد المنعم حسنين النظر إلى لغة مؤلفات نظامى وكثيرة كلمات البديع فيها ونجد اعترافاً بأن نظامى كنجوى صاحب منهج جديد فى الشعر الفارسى مع أن العلماء الأذربىجانيين أمثال محمد أمين رسول زاده وحميد أراسلى ورسيم علييف قد أثبتوا أن الصعوبة والغرابة فى فارسية مؤلفات نظامى سببها أذريته وتفكيره الأذرى بل واستخدامه للكلمات الأذرية.

الباحث المصرى الآخر الذى أهتم بنظامى هو محمد غنيمى هلال الذى ترجم مقطوعات من منظوماته إلى العربية فى كتابه «المختارات من الشعر الفارسى» تحت عنوانين «شكوى خسرو إلى هرموز» ، «الحوار بين خسرو وفرهاد» «حدائق الحياة» «الحب أو الملك» و «المرأة» . ومن بين الأشعار المترجمة فى هذا الكتاب توجد نماذج من أشعار قطران التبريزى وخاقانى شروانى

بينما قدم الباحث أمين عبد المجيد بدوى فصلاً خاصاً في كتاب «القصة في الأدب الفارسي»، حرصه لدور نظمي كنجوى - الشاعر الأذربيجاني الشهير.

يلعب الشاعر الأذربيجاني التركى محمد فضولى الذى عاش فى القرن السادس عشر دوراً مهماً في تاريخ الأدب الأذربيجاني الإسلامى.

لقد كتب فضولى مؤلفاته باللغات العربية والفارسية والتركية . ويعود أصله إلى طائفة «بابيات» الأذرية وعاش في العراق وألف أكثر من ١٥ منظومة وقصة أكثرها بالتركية- الأذرية.

إن دارسى إبداع فضولى كثيرون في أذربيجان وخارجها وخاصة في تركيا والعراق وروسيا وإيران وإيطاليا وإلى هذه القائمة يضاف اسم مصر بفضل دراسة الدكتور حسين مجيب المصرى وذلك من خلال كتابه القيم «فضولى البغدادى» أمير الشعر التركى القديم»، فهنا بحث شيق في الأدب الإسلامي على عظمة حضارة الإسلام ونقاشه تراثه، يقول الباحث:

«لقد طربت لفضولى منذ أيام طولية أحسبها سبعة عشر عاماً أو تزيد ، وشعرت بتجاوب روحى بيئى وبيئه يعطفنى عليه ويحجب إلى دراسته وصح منى العزم على ذلك (ص. ١٠) . وبحسب رأى د. مجib المصرى فإن فضولى كان من أهم من نظم ونشر بالتركية-الأذرية والفارسية والعربية وتصرف في فنون الشعر جميعاً حتى ذاعت شهرته بين الترك والفرس والعرب «كما كان كتاباً حسن الترسيل ، يجرى قلمه في نثر فنى لاتعهد أحسن منه عند الترك ولا الفرس» (ص. ٩). ومن بين المصادر والمراجع التي استفاد منها الباحث توجد بعض مؤلفات العلماء الأذربيجين مثل: لمحات في الأدب الأذربيجاني» ليوسف وزير وزيفوف و«تاريخ أذربيجان» لإسماعيل حسنيوف و«باكستان سعدي» لأستاذ رستم علييف.

وجدير بالذكر أن ملاحظات مجib المصرى فيما يخص لغة مؤلفات فضولى وتحليلها الأدبى ورأيه حول علاقات فضولى بأدباء عصره كلها دقيقة إلى حد بعيد وتتفق مع أفكار الباحثين الأذربيجين المعاصرین.

وفي الستينيات كانت الدراسات عن فضولى في أذربيجان قليلة أما بعد ذلك فقد أتى جز العلاماء الأذربيجين أمثال حميد أراسلى ومير جلال وميرزا غاقولوزاده ومحمد جعفر جعفروف وصادير علييف ونصيب كيوشوف وغيرهم العديد من الدراسات عنه، لكن مجib المصرى كان محقاً عندما كتب في الستينيات: «والباحثون عن هذا الشاعر معدودة ، أو أنها أقل بكثير مما ينبغي أن تكون عليه من الكثرة ، كما أنها تتجاوز ما اختلف فيه المختلفون منذ زمن طويل» (ص. ٩٠).

ولا يزال علماؤنا يدرسون تراث هذا الشاعر الكبير كما تنشر مؤلفاته المنظومة والمنتورة وتنتم

ترجمتها إلى اللغات الأخرى حتى أن الملحن الأذريجاني الشهير أزيز حجيبوف وضع أول أوراقاً شرفية في موضوع «ليلي ومجنون» لحمد فضولي.

إن البحوث المقارنة في الأدب الإسلامي لها أهمية خاصة لدراسة العلاقات الثقافية والأدبية بين الشعوب في القرون الوسطى . وبهذا المعنى فإن الدراسة الأدبية المقارنة بين قصيدة سينية البحرى وفونية خاقانى لصديقى د. عبد السلام عبد العزىز فهمى تعد أحسن مثال على دراسة العلاقات الأدبية بين العربية والأذريجانية.

إن خاقانى شروانى هو ممثل المدرسة الأذريجانية في الشعر الفارسي ويمتاز شعره بالروح الفلسطينية والكثير من المديح.

ولقد عاش خاقانى في القرن الحادى عشر وفي كتابه «إيوان المدان بين البحرى وخاقانى» يقدم د. عبد السلام فهمى معلومات علمية واسعة حياة وإبداع خاقانى وقد ترجم الباحث قصيدة خاقانى «إيوان المدان» إلى العربية من تقديم دراسة تحليلية لها.

ويتلخص تقييمه لشعر خاقانى في قوله: تميز خاقانى بجادته الكاملة في إسداء النصيحة والموعظة وأورد صوراً شعرية جديدة قد لا يالها في الشعر العربي ولا نجد لها نظيراً في الشعر الفارسي» (ص ٨٢) وأيضاً إذ يكتب : «أما شعر خاقانى فيشد الانتباه والاحسیس ويشتمل على اللفظ الرقيق والمعنى الغريب البديع» (ص ٨٢).

ويهتم العلماء الأذريجانيون بدراسات الباحثين المصريين ويقدرونها تقديرأً خاصاً وقد تطرق الباحثان أراسلى وواسم محمد علیيف فى مقالة لهما إلى دراسة د. محمد حسنين عن نظامي كنجوى . أما كتاب «فضولي البغدادى أمير الشعر التركى القديم» لحسين مجیب المصرى فقد أصبح موضوعاً للعديد من مقالاتى العلمية الصادرة فى مجلة «المشعـل» ومجلة «الأكاديمية الوطنية للعلوم» وجريدة «الأدب» وقد ترجمت مقتطفات من هذا الكتاب (حسين مجیب المصرى) إلى الأذرية.



مياه الشهاوى فى أصابعه

حلمى سالم

عرفت أحمد الشهاوى منذ عام ١٩٨٣ ، فى ندوة بجامعة المنصورة ، وألقى يومها قصيدة «ركعتان للعشق» التى هى أولى قصائد المجموعة الشعرية التى صدرت أخيراً، بالقاهرة، ضمن سلسلة «مكتبة الأسرة» ، بعنوان «مياه فى الأصابع» مشتملة على «مختارات» من دواوين الشاعر التى أصدرها عبر عقدين.

وقد أخرج الشهاوى ، حتى الآن، عشرة كتب هى: ركعتان للعشق ، الأحاديث (السفر الأول) ، كتاب العشق ، الأحاديث(السفر الثانى) ، أحوال العاشق، الأحاديث (مختارات) ، كتاب الموت ، قل هي، الوصايا فى عشق النساء ، مياه فى الأصابع.

وأحمد الشهاوى واحد من شعراء الشمائلننیات فى مصر(حسب تصنیفات أصحاب الأدراج الخشبية)، ذلك الجيل الذى تعرض -فى رأيى لظلم بين ، حينما زعم شعراء ونقاد أن جيل الشمائلننیات الشعري العربى (وخاصة فى مصر) لم يقدم شيئاً ، وأنه امتنى على تجربة شعراء السبعينيات ترسماً ، واجتراراً وتقليداً.

وأغلب ظننى أن هذا الزعم غير الصحيح ينطوى على غرض فى نفس يعقوب ، هو إقصاء جيل الشمائلننیات لصالح جيل السبعينيات وجيل التسعينيات ، وقبل ذلك لصالح إقصاء رواد حركة الشعر الحر ، إن بعض القائلين بهذا الزعم المغلوط هم من أصحاب النظرية التى ترى أن الشعر

العربي الحديث قد شهد ثلاثة ثورات جذرية هي: المدرسة الرومانسية في الأربعينيات ، وجيل السبعينيات ، وجيل التسعينيات.

وتفصيل وجوه الخطأ في هذا النزاع المزعوم ليس هنا مجال له . وأكتفى بالتأكيد على أنه ينظر إلى شعراً الشمانيات نظرة مجحفة . فعندي أن شعراً الشمانيات لم يكونوا عالة على شعراً السبعينيات ، وإن تأثر بعض أولئك ببعض هؤلاء بخاصية في بدايات طريقهم الشعري وهو أمر طبيعي يحدث في كل مرحلة . لكن الحقيقة الأبرز هي أن جيل الشمانيات قد أخرج لنا مجموعة (محدودة، مثل كل جيل) ذات بصمات خاصة وسمات متميزة . وأستطيع أن أشير كاملاً إلى أسماء: فاطمة قنديل وإبراهيم داود وسمير درويش وعلاء خالد ومهاه نصر وياسر الزيات ومحمود الطواوي وخالد عبد المنعم وحسين خضر وأحمد الشهاوى.

الشهاوى، إذن ، واحد من يثبتون لي صحة اعتقادى بأن شعراً الشمانيات فى مصر كان (عبر مجموعة من مبدعيه) يجسد إضافة واضحة على شعر السابقين بلا اجترار أو احتداء ، بل إننى أزيد فأقول إن بعض شعراً هذا الجيل الشماني المظلوم قد أثر على بعض شعراً الجيل التسعينى التالى له: سواء من جهة الذهاب إلى قصيدة النثر، أو من جهة الملح من خزان الطفولة المفقىء ، أو من جهة الالتفات إلى الصغار اليومية المنيسية والابتعاد عن «الكلام الكبير».

ويصبحلى ، هنا ، أن أقرر أننى كنت طوال قراءاتى المفترقات لشعر الشهاوى -قد كنت رأياً يرى أن هذا الشعر يمضى على وتيرة واحدة، أفقية رتيبة، تخلو من التصاعد والتنوع؛ لكن قراءاتى لختارات «مياه فى الأصابع»، التى تعرض مساراً كاملاً، بيّنت لي أن ذلك الرأى الذى كونته القراءات المتباudeة ليس سليمًا . فالمسار الذى تحويه هذه المختارات- عبر عقدين- يوضح أن القصائد التى تمثل عقد الشمانيات تجسد مرحلة ، وأن القصائد التى تمثل عقد التسعينيات تجسد مرحلة مختلفة. تتسم قصائد المرحلة الأولى بالرومانسية ومستلزماتها من عاطفية زائدة ورغبة فى التوحد بالطبيعة والكائنات والذات . . وتتسم كذلك، بحضور الوزن حضوراً قوياً ملحوظاً . . وتنقسم أخيراً بتسرب رائحة بعض الأصوات الشعرية الرائدة إلى تصاويف النص.

أما المرحلة الثانية فيتجلى فيها ابتعاد الشاعر عن الرومانسية الظاهرة ، باتجاه نبرة من الحكمة الذهنية المشعرة . ويتجلى فيها التخلى عن الالتزام المدرسى بالوزن الخليلي التقليدى الرسمى ، باتجاه تعديل الوزن تارة، وإحداث خلل به تارة ثانية، ومزاوجته بالنشر تارة ثالثة . ويتجلى فيها خلوص صوت الشاعر من أحباب صوت الآخرين ، ليصفوه صوت المخصوص ، والحق أنه، صفاءً الصوت من شوائب السابقين علامة جوهيرية من علامات الشعر الجميل ، بحيث قد نختلف على كثير في مثل هذا الشعر أو تنافق ، لكننا لن نختلف على أن خلوص صوت الشاعر لنفسه هو موجب أولى لتشين شعره عالياً.

في هذه المرحلة الثانية من شعر الشهاوى بترت ثلاثة المعروفة: (العشق ، الصوفية ، الموت ، وعناوين كتبه) وجدها تعلن حضور هذه الثلاثية حضوراً ضاغطاً : أربعة من هذه العناوين ترد

فيها مفردة العشق، وستة من هذه العناوين ترد فيها مفردات من مستلزمات الصوفية والتراجمي كالأحاديث والكتاب والأحوال فضلاً عن «قل هي» المتناسقة مع القرآن الكريم ، أما الموت فهو مبثوث في معظم شعر المرحلة حتى وأن اختص به عنوان واحد.

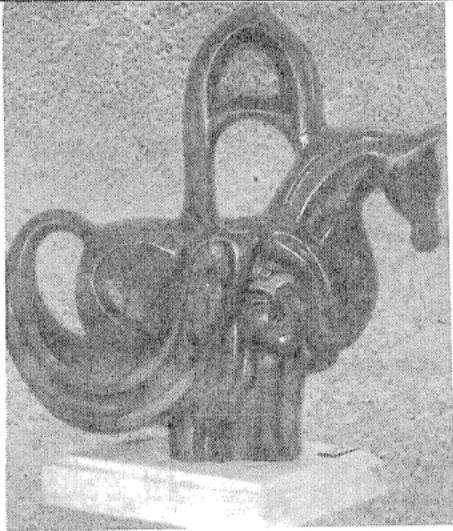
ولا ريب أن هذه الثلاثية (العشق ، الصوفية ، الموت) يربطها جذر واحد جامع هو: الفنان أو التفاني أو الانتحار ، فالعشق فناء في الآخر المحبوب والصوفية، فناء في الذات الإلهية ، والموت فناء في الأبدية والمطلق . ولعل هذه الثلاثية تشكل مصداقاً - تحويلات طفيفة - للعلاقة المثلثة المتداخلة التي وحدهما بعض النقاد وال محللين بين: الجسد (أو الأنوثة أو الحس) ، والشعر (أو الفن أو الكتابة) واللاهوت (أو التدين أو القداسة أو الألوهية)، حيث في الشعر خيط من الكهانة وخيط من الوصال الجسدي (ويحيط في التدين خيط من المجاز وخيط من التجربة الحسية) ، وحيث في الشهوة خيط من الكتابة وخيط من التوحد الصوفي . أما الطائر المرفرف فوق كل أطراف هذه الثلاثية فهو الموت: العشق موت من حيث هو ذوبان المحب في المحبوب أو تنزيل المحبوب في المحب ، والشعر موت من حيث هو تصفية للروح في كلمات ، واللاهوت موت من حيث هو اتحاد بالرب وانمائه فيه.

في وجود هذه الثلاثية (العشق والصوفية والموت) يجوز أن يتوقع حضور «تيمة» الكتابة عن الكتابة ، أو الشعر عن الشعر ، وهو ما حدث في المرحلة الثانية من شعر الشهادى وهي بكتافة (وان وجد في المرحلة الأولى خفيفاً) تتعنى هذه «التيمة» أن الشعر صار هو «الحياة» و«التعبير» عن الحياة ، في أن ، إذ تقدّم معاركة التجربة الشعرية بديلاً أو رمزاً لمعاركة تجربة الحياة أو العيش ، ليصبح الانتصار أو الانهزام في تلك انتصاراً أو انهزاماً في هذه ، بينما يلف كل ذلك لبس عميق بين الحياة وشعرها.

فى حديث- سابق أخذت على أحمد الشهادى استغراقه فى استلهام النص الصوفى والتراثى ، مشيراً إلى أمرين:

الأول : هو ضرورة الحذر من التطابق مع النص الصوفى ، فالشاعر المعاصر لا يمكن له أن يكون صوفياً ، ولكنه يستطيع أن يستفيد فنياً ولغوياً وجمالياً مما يزخر به النص الصوفى والتراثى القىيم ، على أن تكون هذه الاستفادة خيطاً من نسيخ الشاعر المعاصر وتجربته المعاصرة.

الثانى: هو ضرورة الانتباه إلى أن الإسراف المفرط في مضاهاة النص التراجمي - أو تعديله أو مناقضته - هو مقامرة حرجة قد تنقلب إلى نحر الشاعر ، حينما تتحقق في التدليل على اجراء الشاعر على «القىيم» ، بل تذهب (على عكس ما يهفو الشاعر) إلى التدليل على «إجلال» الشاعر للنص القىيم باتخاذه مثلاً أو نموذجاً علويَاً كاملاً : ينبغي احتماؤه بالصعود إليه ، أو ينبغي تهشيمه بطرحه أرضاً وكذا الحالتين - على تعارضهما - تشيان بمعنى واحد ، هو اعتبار «القىيم» مقاييساً ونبراساً».

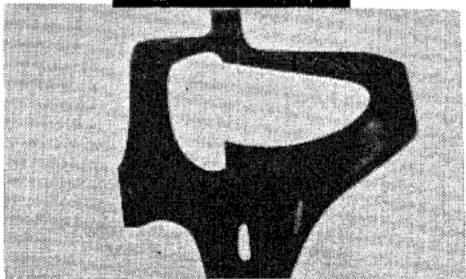


ولقد تمنيت سولاً أزالـ أن يكتفى أحمد الشهابي بما حققه من خطوات طيبة ملحوظة في هذا الطريق ، وأن يتوجه إلى درب جديد لم يطرق ، ليحفر فيه حفراً دعياً ، ويقطع فيه شوطاً مضيناً بذلك الذي قطعه في الطريق الراهن .

وأنا أعلم أن الشهابي لا تتعجب منه هذه الأثنية، وعادة ما يرد على كلما ذكرتها له: « ومن ذا الذي يجرؤ على أن يقول للشاعر : أفعل كذا ، ولا تفعل كذا؟ » وأجيبه: « لا أحد يجرؤ بالطبع » ، ولكنني أعبر عن قناعتي -كقارئ- بأن الشاعر الفطن حينما يكتمل له طريق جميل ، يتوجب عليه أن يغادره إلى طريق آخر مختلف وجميل . وأظن أن صدور القصائد المختارة في كتاب واحد هو «مياه في الأصابع» ينطوي على إلماح رمزية إلى أن الشاعر يقدم «كشف حساب» لمرحلة مضت ، مرهضاً بالدخول في غياهب جميلة جديدة .

الليس الشعر كالحياة والحبـ «مياه في الأصابع» ، تتسرّب ، وتتسرب ، لنكون في حاجة إلى مياه جديدة : كالحياة والحب والشعراء؟ ألم يقل الشهابي

«راقبي الأرض وهي تمشى
ففيها سيرتى
وكلامى عن حنين الأرض لى
فيها شموسى
وشرابى من مياه أنامى».»



رسالة الإسكندرية

أسبوع الفيلم الألماني

محمد عبد العظيم على

من (٢) إلى (٧) أكتوبر أقيم أسبوع للفيلم الألماني في قصر التئوق بسيدي جابر .. وكالعادة - في السنوات الأخيرة - مثل غالبية الحضور أرباب المعاشات وربات البيوت ، وعدد لا يأس به من الفتية والفتيات أغلبهم من رواد أدبية القصة والرواية باللغة.

ويبدو أن مهده جوته الثقافي كان يدرك هذا الأمر المتعد على مساحات من الوطن (قصور ثقافة : بنها ، شبين الكوم ، الإسماعيلية) حيث عرضت الأفلام نفسها .. وذلك بجوار أمور أخرى منها أن حال الكرة الأرضية فيه ماقد يغنى المرء عن الذهاب إلى أي فيلم جاد ، حتى ولو كان جيد الصنع وجميل ، وهذا الحال تتضمن به الجرائم الآلية المتتالية عبر المصفحات المقرورة - الصحف والمجلات) والصفحات المنظورة (الشاشات التليفزيونية) ، وتدفع المرء إلى البحث الغريزى عما يجعله يتوازن درامياً ونفسياً مع كينونته التي صارت المستطيلات البيضاء تملأ أزيمة أخسasها ، أى نفس النسبة تقريباً التي تملأها أمريكا من رغيف الخبر.

لذا اختار محمد جوته خمسة أفلام تجارية ، ذات كامييرات محابية ، ولقطات تتماهى مع منظور عين المترجع ، وتمثل فيه من الثقافية والبساطة ما ينسى المترجع أنه إزاء فن التصوير ، لذا تتعامل هذه النوعية من الأفلام مع العامة بارياباً تام ، قد ينقض قليلاً أو يزيد حسب درجة تزmet كل متزوج حيال العرى والمارسات الجنسية التي لم يخل منها فيلم . ولم يتنس المهد (كتاكيد على فكرة التعامل مع الأقلية من محبي السينما) أن يقدم فنيماً عن كرة القدم.

ويسرعة أنقل لكم ماجاء في - البيانفليت) عن هذه الأفلام وفق عرضها :

* مأوراء الصمت (١٩٩٦) *

إِخْرَاجٌ : كَارُولِينَة لِيُنْك

تمثيل: سيلفي تيستود، سيبيل كانوينكا، إيمانويل لابوريت، ماتياس هابيش
ولدت "لارا" لوالدين صم بكم ، ولهذا فقد حملت منذ نعومة أظافرها مسؤولية عظيمة : فهي وسيلة اتصال
والديها بالعالم الخارجي ، ومتترجمة والديها عند اجراء المكالمات الهاتفية وفي اثناء اجراء المعاملات البنكية او
مقابلة المدرسين ، تبدأ لارا في اللعب على آلة الكلارينيت ، وتقرر أنها سوف تنتقل بعد إتمام الدراسة من المدينة
الباريسية الصغيرة التي تعيش فيها إلى برلين لدراسة الموسيقى ولكن الانفصال عن الوالدين ألم ..

رجال (١٩٨٥) :

خروج : دوریس دوری

تمثيل: أوفه اوکسنکسنت، هاینر لوتز-ترباخ، اولریکه کوینز

"بوليسيوس ارميروست" مصمم أغلفة طموح للغاية في عمله ، لدرجة أنه لم يلحظ خيانة زوجته "باولا" له فترة طويلة ، والتي اتخذت لنفسها من الرسام العاطل "ستيفان" عشيقا ، وهو طرزا من الناس يختلف تماما عن بوليسيوس الأنثى الذي يختفي ويستاجر حجرة في شقة ستيفان ، ويبدا في أن يربه ماذا وطاب من رغد الحياة ما هو رد فعل باولا إزاء التغيرات المطردة على بوليسيوس وستيفان؟

* فی، شهر بولیو (۲۰۰۰) *

اخراج : فاتح اکن

تمثيل: موبيتس، بلايتزوي، كاستانه باول

يُعرف "دانيل بانير" مدرس الفيزياء الممل بعض الشيء ببائعة المجوهرات المرحة "ليولي" التي تقع على الفور في حب المدرس ، الذي يحمل سيدة أخرى ويتبعها عبر نصف القارة الأوروبية - من ألمانيا ، عبر المجر وبولندا ، حتى تركيا ، هل سمعتني هذا الفيلم الرومانسي بتهامة سعيدة ليولي ؟

* كرّة القدم هي حيّاتنا (١٩٩٩) :

إِخْرَاجُ تُومَّ فِي جَالِدٍ

تمثيل: أوفه أوكسنكتش، رالف رسشت، أوسكار أورتيجا سانشيز

"هانز" مشجع متخصص لنادي "اف تبس شالكه" ١٩٠٤ فريق كرة القدم الألماني الشهير لدرجة أنه قد خسر منزل عائلته في رهان على هدف يحرزه "ديوس" مهاجم نادي شالكه ، ولكن ديوس كان مختلفا تماماً عما كان المشجع يتصوره ، فيبدل هانز قصاري جهده ليحقق اللاعب صعب المراس ...

* لِبْنُ الْخَرِيفِ :

إخراج جوزيف فيلسماير

تمثيل: كلارا ليدوغا ، دانا غافروفنا ، فيريرا شتوك
تضيّعه: أنا بنت الثامنة بعد بوت الآن تعتن ، بشتون منزل عائلتها المكونة من تسعة أفراد وبعد موته

عشر سنوات في عام ١٩٣٩ ، تقع أنا في حب الفلاح الشاب "أيلرت" ويتزوجان ، ولكن سعادتها لا تدوم سوى بضعة أيام ، يدخل بعدها أيلرت ضمئن تعبيتة الجيش العامة للمشاركة في الحرب وتجد أنا نفسيها مضطربة لمواجهة موقف جديد ...

في الفيلم الأول نتعاطيش مع مشكلة (لارا) ، فمستقبلها هناك في (برلين) ، وفي صحبة الآلة الموسيقية (الكلارينيت) (المزمار) ، لا في مدينتها الصغيرة ، وبين أبويهما الذين لا يسمعن ، ولا يتكلمان ، ويعيشان أيام مكروبة ، كأنها الحاضر يعيد إنتاج نفسه شاددا كل من يقع في نطاقه إلى ثبات عقيم ..

وربما كان في اختيار (الكلارينيت) دلالة ما ، فهي ذات عيون كعین أبويهما ، تتحرك (لارا) عليها بأصابعها ، بمثابة تحرك هي أميابها أمام عيون أبويهما ، فيفهمانها .. وفي كلتا الحالتين هي تجود بأنفاس مصدرها عبر شفتيها اللتين تساعدها على سهولة توصيل المعلومات إلى أبويهما ..

وربما أيضا هي رغبة من المخرج لوصيل ذكرته عن العالم الذي ازدهر بالكلام المقول والمكتوب ، حتى صار من تضاربه المستمر لا يعني شيئا .. كذلك ازدهاره بالضجيج ، مما قد يدفع المرء غريزا إلى رحلة مع نفسه أو آخر عبر المجال المبثوث على جانبي الطريق السريعة الواصلة بين ألمانيا وتركيا ، عبر الجسر وبليغاريا ، هذا الجمال لا يطلب ارتشافه من أجل تجديد الروح سوى شيئاً ثالثاً هما اذاحة ضموئي السمع والكلام (فيلم : في شهر يوليو) .. وإلا سيتاجع هذا الضجيج المصاحب ، وهذا الكلام الواقع المتداخل في بعضه البعض في شد الرء إلى ساحة ملعب كرة قدم (فيلم : كرة القدم هي حياتنا) ، وهذا الفيلم هو الطرف المتطرف الآخر لفيلم (ماوراء الصمت) الذي عرض بعده : في مساء اليوم الذي يليه فيلم (رجال) الذي اختزل جغرافييا فيلم (في شهر يوليو) ، وناس (كرة القدم هي حياتنا) والتاريخ المتدفق في الفيلم الآخر (بن الخريف) ، وجسد الموسيقا المناسبة في الهواء ، ضاغطاً إياها في مساحات الأغلفة والوحات عبر الرجال المتصارعين على امرأة هي زوجة لأحدهما وعشيقته للأخر ، وكأنه صراع بين الغلاف الممسوك باليدي باعة المجلات والكتب ومشتريها من القراء ، وبين فن اللوحة التشكيلية التي يحظر مجرد لمسها ، والاكتفاء - فحسب - بالنظر إليها والتأمل فيها عن بعد مناسب ، الأولى مكروبة في عشرات ومئات الآلاف من المطبوعات ، والثانية هي لوحة واحدة مفردة تعرض لجمهور مخصوص حتى يقتنيها شخص واحد .. الفن الأول يشبه العاهرة ، والثاني يشبه الزوجة ، وكان المرأة تلك ، المحترارة بين زوجها وعشيقها ، هي تمثل نفس الحيرة لدى كل من فنان الغلاف ، وفنان اللوحة ، فالاول يحاول أن يرتفع بخلافه إلى مستوى اللوحة ، لكن بعد التجارى للمبروكية بالتأكيد يقت حياله بالرصاص ، والثانى يأمل في جمهور كجمهور المطبوعة ولكن هيهات .

وهذه المرأة المحترارة بين رجلها في فيلم (رجال) هي صورة أخرى من الفتاة (لارا) في فيلم (ماوراء الصمت) فهي مكثت فترة في حيرة بين حاضرها الحبيب المتمثل في أبويهما ، ومستقبلها الحبيب أيضا ، والذي فرض عليها الابتعاد عنهما .. في كل الفيلمين كان الفن هو المحرك للصراع الفوقي (فيلم : ماوراء الصمت) والصراع التحتى (فيلم : رجال) .

وقد ثالت الأفلام جميعها استحسان رواد (قصر الشوق) وإن تفاوتت درجة هذا الاستحسان من فيلم الآخر .



حلمى سالم .. الولع بفك الحصار !!

نجوى على

مفهومه هوــ فدائماً ما يكتب حلمى ويسافر ويتجرب ، يسعى وراء الحصار فى بيروت ويصر على أن يبقى فيها ويكتب «سيرة بيروت» في الوقت الذى يغادر فيه الآخرون بيروت.

وأشارت غادة نبيل إلى إصدارات حلمى سالم الشعرية والكتب النقدية أو بعضها ومنها «حبيبي بين السماء والأرض»، «فكته اللذة»، «الواحدة الواحدة»، «الشغاف والمريمات»، «البائمة والحادي»، «هاليزى والصيف ذو الوطء»، وأخيراً، يوجد هنا عميان» . ومن الكتب «ثقافة تحت الحصار»، «الحدثة أخت التسامح» وغيرها .

أقامت «أدب ونقد» أمسية للشاعر العائد من فرنسا حلمى سالم وذلك لقراءة مختارات من أحدث مخطوطه لديوانه الجديد الذى لم يسمه بعد.

وقد أدارت الأمسية الشاعرة والكاتبة غادة نبيل فأشارت إلى أن حلمى سالم من الشعراء الذين لديهم القدرة على الإدراك بمحض ارتجاله الكلمات حتى أن أحد الأصدقاء قال له «مرقاً لو اعتصروك لما نزرت سوى الشعر».

وقالت الشاعرة «أنتصر أن التجربة في الحياة أساس التجربة في أشياء كثيرة منها التجربة في الشعر وحلمى سالم يريد أن يعيش ومن أجل هذا الطموح شديد الاغراءـ سفقـ وغيرها .

والوزن أيضاً يعد بمثابة استقرار وحوار خالق بين الشعر واللغة في نوع من العراك مما جعل الإيقاع يساهم في صنع مفارقات لبعض القطع الشعرية.

أما العيب في نظرية فريد أبو سعدة فهو يتجلّى في إصرار الشاعر على وزن كل شيء مثل أسماء الشخصيات والمدن وحتى المقولات الفلسفية مما كبده جهداً شاقاً في تأثير وتقديم الجملة ليستقيم الوزن على حساب الجمالية.

ونوه فريد أبو سعدة إلى التكوين الدرامي للشخصيات فهي شخصيات يمكن تصورها مسرحياً مثل مونودrama شعرية أو قصيدة درامية.

وأعلن د. محمد عبد المطلب عن حاجته إلى الوقت والقراءة المتأنية لمعايشة هذا النص الذي قرأه للتو لحمله سالم الذي لا يقصد أن يكتب شعراً موقعاً أو قصيدة تنشر فهو يترك نفسه للدفق الشعري وشلة قصيّدان ستمثلان نقلة كبيرة له وللشعرية العربية وهما - في رأيه - المتنبي و «طه حسين».

وتحدث الناقد والشاعر أمجد ريان فقال إن أهم ما يميز تجربة حلمي سالم الشعرية هي قدرتها على أن تساير الواقع وهذا هو ما يطرح شاعراً حقيقياً فحملمي يطور نفسه ويحاور الواقع ويتجادل معه.

الذات والعالم

ومر الناقد على التحولات السياسية في العالم وأثرها على الشعر فذكر أن فترة

ولقد اختار الشاعر التواصل مع جمهوره بقراءة الجديد من الشعر بدلاً عن إلقاء الأسئلة من قبلهم أو تحديه المباشر عن تجربة الشعر والسفر ومن ثم قام بإلقاء العديد من القصائد الجديدة المعنية بالعلاقة أو التماس والاحتكاك بين الشرق والغرب عبر شخصوص تتمثل الرموز الفكرية والفنية لكل من الشرق والغرب ومن هذه القصائد : الشريان، مرثية العمر الجميل، اللوفر ، طه حسين ، ثابليون ، أبو نواس، الهرانيون ، السهروري ، العرب ، الحلاج ، المتنبي ، فصل في الجحيم ، الطهطاوي ، المصري ، تطور وبعد الموسيقى.

وعقبياً على القصائد قال الشاعر فريد أبو سعدة الذي قرأ المخطوط كاملاً قبل التعديل الأخير، أن الديوان ينقسم بين الوطن والمنفى على طرف البحر المتوسط وبه جزء آخر يقاتل فيه الشاعر فنياً وفكرياً ١٥ شخصية منها شخصيات متصربة (الطهطاوي «طه حسين، حجازي) وشخصيات فرنسية ممثلة في فيكتور هوجو وبودلير وشخصيات عربية أخرى منها مفارقة وابن زياد وابن رشد بالإضافة إلى وجود خطاب عربي مزهو على الأغلب تلخصه عبارة «نحن الذين علمنا أوروبا».

وأضاف فريد أبو سعدة : من حيث الوزن فالإيقاع عروضي والوزن هنا له ميزة وعيّ كبيرين أما الميزة فهي لكون الإيقاع واحداً وثابتًا يتبع الفرصة، لتجلّى خلفية متكلمة، وأصوات أنين الضاحايا وأهات وصرخات المقتولين مثل كورس خاضت طوال الوقت ..

<p>للوزن لدى حلمي سالم.</p> <p>ووحد الشاعر على عطاً أن تجربة الديوان مرتبطة بالسفر إلى فرنسا وقد كتبت بإحساس يمكن أن يكتبه الشاعر وهو هنا في وطنه لأنّه يتتجاوز أنساق معرفية معروفة</p> <p>وتتساءل الشاعر: «أين ذاتك، هل ارجاتها لديوان آخر؟».</p> <p>شعرية الشك</p> <p>ووصف الكاتب عبد الخالق فاروق قصائد الديوان بأنّها تتنتهي إلى «شعر الشك». لأن نبرة الشك داخل القصائد وأضحة على الصعيد الفكري والفلسفى.</p> <p>وكانت كلمة الناقد عزازى على عزازى معايرة تماماً لما سبق، فقد رأى أن الشاعر بدا مطمئناً ويملك اليقين كما يملك زمامه لإعادة قراءة التاريخ وتؤويله ومحاولة وضع الأنساق البشرية في نسق آخر.. إضافة إلى الثنائيات التي وردت وتدخل العمصور في القراءة.</p> <p>وقال د. عزازى: «لم أرتع للنظام.. الشديد وأمتلاك اليقين وتحديد الأطر المعرفية بطريقية لا تقبل الشك أو للبس، إنه يقيد القراءة باستخدام (الألف واللام للاليقين)، ووصف الطهطاوى بأنه «مندوب الميتافيزيقا».</p> <p>ورد الشاعر حسن طلب بأن هذا الديوان وأن حلمي سالم تحديداً أكثر شعراء السبعينيات قلقاً وتجريبياً في الشعر.. وأن القلق ليس محموداً أو سعيداً في ذاته إلا بمقدار تأثيره الإيجابي في الإبداع».</p>	<p>التسعينيات بما رافقها من نتفت الكيانات الكبيرة كان لها انعكاس في شعر حلمي سالم إذ أصبح للذات وجود كبير في النص وأصبح هناك تجاور بين الذات والعالم وفي تجربته الأخيرة - والكلام ما زال لأمجد ريان - ابتداء من فقة اللذة» وحتى يوجد هنا عميان «تحضر الذات بالمعنى الشخصاني، أما قصائده التي ألقاها مؤخراً فتثبت قدرة غير عادية على دمج مشاهد كبيرة وكثيرة مع موئلي ومقطوفات كاملة في أقوال قدماء وتقديمين إلى جانب لحظات عادية في الحياة.</p> <p>البس بين الشرق والغرب</p> <p>وفي تعليق سريع تحدث حلمي سالم عن تجربته الشعرية الأخيرة فقال «أتصور أن المحاولة الأساسية لهذه القصائد هي تصوير الاحتكاك أو للبس بين الشرق والغرب، بين مصر والغرب، توجد غابة للذكر بلا شك لكنها طبيعة التجربة ولا يزال يعتقد حتى الآن - خطأ أو صواباً - أن قصيدة النثر تتنتهي إلى الغرب عند بودلير وغيرها.. إذا رأيت من المناسب أن يدخل الشرقي على الغرب بتراثه الأخلاقي والحضاري وأيضاً بتراث الموسيقى كى يتم اختبار هذه الأداة في التعامل مع مجتمع جديد.. وإن الحس الذي يحيط بالقصيدة هو صلاح السروى إلى أن شعر حلمي سالم بشكل عام يكن موزناً في المناطق التي يتجلّش فيها حلمي التعبير عن شيء آخر لا يخص ذات الشاعر وتعد هذه مرحلة تطرح قضايا خارج نطاق الذات .. أما إذا كان الموضوع شخصياً ونابعاً من الذات فلا حاجة</p>
--	--



وشهدت الشاعرة غادة نبيل على أهمية

وجمال حال التماهى وإضفاء الدرامية على الشخصيات في الديوان وأكدت على حق الشاعر في أن يكتب ما يريد ولو كان ذلك مخالفًا لتوقعات وتصورات ومفاهيم القراء.

وانتهت التعليقات بداخلة من الشاعر السوداني الياس فتح الرحمن الذي قال: «أتفق مع د. محمد عبد المطلب في أن هذا الشعر الجميل ، ربما لو علقنا عليه بعد قرائته مباشرة ، ربما أفسدنا هيبته فقد جمع حلمي سالم بين جمرة الشعر وجمرة المعرفة ، وأحيى هذا الضلوع الشديد في كسر الباب الذي تراه الشعريّة المعاصرة التي استعصت في زمان اختلط فيه حابل الشعر بتأليه ، ربما بعد أقل

النص النموذج

وألح د. عبد المطلب إلى عدم ضرورة الجدل حول الوزن والقافية وما أثير حولها بقصد قصيدة النثر كما أعرب عن رأيه في أن تجربة مثل تجربة حلمي سالم ينبغي التوقف فيها عن هذه الأمور (من النقد القراء) ، فالنص الذي ينشد حريته هو النص المنشود .
ويرغب أن يرى حلمي قائماً بالحوار وليس متحاوراً معه ، لأن خريطة الشعر العربية بحاجة إلى النص النموذج الذي هو نتاج المجمل فالأجيال الجديدة تعانى من مجمل نصوص لا تقول شيئاً .



عصفور غريب

إلى أحمد

محمد البرغوثي

.....	ريحةأدان الفجر ف ودانى
يا ابني	يا ابني
يا ضحكة تتشبه دمعتي الأولى	يا ضحى عيني والزمن أعمى
على حاجة كانت دنيتي الثانية	يا خطوتى والسكة مكفيه
أنا جى لسه م الحدين دايبح	أنا لسه ماشى زى عود صابع
شرابينى دبلانه، وأيامى شجر مقنوع	سرحان فى غيمة قديمة منسيه
وأنت بتتسالنى ؟؟	والغربية حنونه زى أحزانى
ماقدرش أقولك إيه مزعلنى	سيباني أرعي ف أرض مرويه
يا ابني	طين الأرضى تقيل ف رجليا
ياكل خوفى م الفرح	وعنبا إيد ممدودة فى الغيشه
إن يسألوك إنت ابن مين؟.	راجع لبيتى زى ديب طيب
.....

يلوب رخام الصبايا وينز حنيه	اضحك وقول : أنا ابن كلب جميل
يطلع صهيل التهود شهقه منديه	أبويا كان بنا وكان ملاح
أبويا كان سقا وجناينى	فلاح فصيح الخضار
ماسابيش عنقود على خدود عطشان لبلة	مازرعشى بالأجره
ريق	شرشوح قليل الأدب
ولاشاف جنинه إلا واتمنى	ماجرحش ولا مره
لو إنه سرب فى أمة التغريد
لو إنه عتمة ليل مغطيه
على بنت شاقه التوب ومشتاقه	أبويل كان أو يمجى وكان موا
مهره طلقة وحضنها حواديت	عتال هزيل البدن بيهدى الأحمال
.....	أبويا صاحب مرض
.....	وصحيح كائنه براح
أبويا كان فلتان	مت مرة قلبه انكسر
عييل عديم الحكمه والحيله	طلع له ألف جناح
حردان من التوابيت	عصفور غريب مدبوح
العدل هج فدمه زى الموج	طاير حلاوة روح
خلاه كائنه سيف	شايل على ضهره سكن مكسور
ف جراب ضعيف معووج	ف عنده هديل مبحوح
خلاه كائنه نهار	وغناوى تملا البلد رفقه وتنهيد
رمى ف طريق الليل
أبويا كان ياما كان
وأنا ابن كلب جميل .	أبويا كان أسطى وكان حريف ملاギه
	إن مد إيده ف إيد



الفنانة فاطمة مذكرور:

لو عاد بي الزمن .. لافترت الطب

أختي الأكبر فتح عينى على عالم الابداع الجميل

- **فاطمة مذكرور**
- مواليد الاسكندرية عام ١٩٤٦.
- تخرجت في كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية - قسم النحت - بتقدير جيد جداً بمرتبة الشرف، عام ١٩٧٥.
- شاركت في الجردة الفنية منذ تخرّجها.
- ألم المعارض التي شارك فيها
- الصالون السنوي لذيلية الاسكندرية منذ عام ١٩٧٥
- المعرض العام بالقاهرة عام ١٩٨٣
- معارض ثانوي الاسكندرية بالقاهرة منذ عام ١٩٨٣
- وكر الشيف عام ١٩٨٣
- معرض فنانى الاسكندرية بمناسبة العقاد
- دور نهابة الفنانين التشكيليين العرب عام ١٩٧٨
- المعرض السنوى لفنانى الاسكندرية بمتحف محمود سعيد منذ عام ١٩٧٥
- معرض ثانوى الأربعينيات بقصر ثقافة الحرية عام ١٩٨٢
- معرض خاص مع الفنان عصمت
- ناوستاشى بقاعة المتحف الوطنى بالاسكندرية عام ١٩٨٣
- حصلت على تأرخ الدولة فى نسخة النحت لذى
- عام ١٩٨٠/١٩٧٩
- عضو بذيلية الاسكندرية الفنانين والكتاب.
- عضو بذيلية الفنانين التشكيليين
- عضو بجمعية محترفى الفنون الجميلة بالقاهرة
- عضو مؤسس زيني طلقة علوم اكاديمى بالاسكندرية - هيئة الآثار
- عملت كمفرمة للآثار بالمتاحف اليونانى الرومانى
- منذ عام ١٩٧٢ حتى عام ١٩٨٢
- ساهمت رئيس قسم الرسومات الفنية الابرار
- ب المختلفة اثار عرب الدلتا بالاسكندرية بهيئة الآثار
- المصرية
- نشرت لها كتابات أدبية بمحفلة الإنسان والطبيعة
- عام ١٩٨٤/١٩٨٣
- أصدرت عام ١٩٨١ أول ملوك لها في المطبخ
- الفنى للآثار بعنوان «قراءة ذليلية للأثار مصرية
- مشاركة مع الأجرى احمد عبد الفتاح

- ماهى بداياتك الأولى وروافدك القديمة التي شكلت تجربتك الفنية.

- كنت أراقب أخي الكبير وهو يرسم التلاميذ في حوش المدرسة عندما كانوا يلعبون الألعاب الرياضية وكان يرسمهم بمهارة وأيضاً كان يرسم صور الملوك والألهة المصرية القديمة ليرفقها بكراسة التاريخ .. كنت مبهورة فأجلس أرسم بيضى وبين نفسى . وكنا نعيش فى مدينة سيوة بالواحات فكنت أرسم النخيل كثيراً لأنه يحيط بالمدينة من كل جانب بكثافة كبيرة . واكتسبت خبرة فى رسم النخيل وخاصة الرزف لأنه كان يستعمل بكثرة ويعبر عن الفرح والاحتفال فى مشاهد الأتراح والمناسبات الاجتماعية لأهل سيوة.

- ولأن أخي كان يكبرنى بأربع سنوات تقريباً فكنت أراه فى حصة التربية الفنية فى مرسى المدرسة يشكل الطين أيضاً ويصنع منه أشكالاً وموضوعات فنية وكتن أتمنى أن أعمل مثله لذلك عندما أصبحت فى الثانوية وأعطيتى مدرستى الصالصال لأنشكة انطلقت فى تشكيله ببراعة وحب كبيرين.

٢- اللوحة الأولى والمثال الأول وبعلاقة الرسم والتشكيل معًا ولماذا اخترت النحت كتخصص أثناء دراستك بالفنون.

- كما ذكرت فى مدرستى التى سعيت إلى الالتحاق بها وهى مدرسة لوران الثانوية الفنية والتى بها قسم رسم لكخصوص وليس كمادة عابرة مثل أي مادة وفي الدراسة أثناء - المرحلة الاعدادية - كانت مدرستى هي الأستاذة / فايزة ماهر - أمساها الله بالخير والبركة - كانت صديقتي ومشجعى بجانب الرسم وتتفوقى فيه انطلقت فى إنتاج مواضيع التشكيل فى النحت وكان راfeldاً ومنطلقًا بي فى التعبير الفنى العميق الذاتى وكانت أسعد أيام دراستى وحياتها . وانطلقت بمخزون نفسى ومشاعرى كلها ، أنجزت عملاً تلو الآخر ومدرستى سعيدة وتحددت عنى فى كل مجلس وأعمالى فى الرسم والنحت كانت منتشرة فى جنبات المدرسة وحجرة الناظرة وكانت انطلع للالتحاق بكلية الفنون الجميلة لكي يستمر تحقيق مسارى فى الحياة والدراسة الفنية والتحقت بقسم النحت ، لأن النحت كان تشكيلًا بنائياً يعبر عن تعابيرًا صادقةً وقوياً.

وفي ذلك الوقت عرضت أعمالى على المثال الكبير أحمد عثمان الذى أسس كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية فشجعني وأعجب بأعمالى وتمنى أن التحق بكلية لأدرس الفن بعد تخرجي فى المدرسة الثانوية الفنية وهذا ما حفظنى لتحقيق هذه الامنية وقد كتب لي كلمة

تشجيعية على إحدى لوحاتي مازلت فخورة بها .. وكافأني بأن التحقت بالقسم الحر مجاناً بالكلية كمنحة فنية بالاتفاق مع قسم الرسم بالمدرسة وذلك قبل التحاقى طالبة منتظمة بالكلية حيث تخرجت في قسم النحت عام ١٩٦٩.

٣- ما هو سبب التوقف عن الإبداع وهل كان السبب إن أحد المهووسين قام بالركوع أمام أحد تماثيلك كما يقال

- توقفت عن الإبداع لسبعين مهمن

أولهما :- تدهور صحتي بعد إصابتي بجلطة في الدماغ وشلل نصفي للنصف الشمالي من جسمي والإجهاد العام لصحتي .
واثنديهما :- هو يلوغ إبني عبد الله (أتون) للمرحلة الثانوية وكان عنيف الطبيع ويحتاج إلى رعاية دائمة فشعرت بأنه لا يجب الإنفاق عنه بأى شئ - بينما اختاه البنات التوأم سحر وسانية كانتا مختلفتين أثناء دراستهما ، كنت مستقرة ومستمرة في عمل بنظام بدون قلق أو إحساس بالبعد عن مسئوليتي أثناء عمل الإبداعي - وكان هذا هو الفرق في تربية البنات

الهادئة وتربية الصبيان الصاخبة المزعجة فكان خياري رعاية إبني الكائن الحي من دم ولحم أولأ بدلاً من فتنى وإبداعي - والحمد لله مرت هذه المرحلة وكانت من أشق مراحل حياتي صحياً ونفسياً وأخيراً تخرج في كلية الحقوق بعد حصوله على ليسانس الحقوق في ستة سنوات مزعجة ومريرة وكثيرة.

أما بخصوص رکوع أحد المهووسين أمام أحد تماثيلي فليس له أى أثر عندي .. كان مجرد حادث عابر.

٤- لقد تزوجت من فنان فما هي تأثير هذه العلاقة على مشوارك الفني .

- إن زوجي من فنان (عصمت داوستاشى) - هو إستمرار للمناخ الثقافي والفنى واستقرار هذا المناخ الواجب توفيره للفنان المبدع وإن كل منا يتبع فيه ويعبر به عن كيانه وذاته باستقلالية وخصوصية والآن أرى بعد وعكتي الصحبية وإنقطاعي عن الإنتاج الفنى أن زوجى كفنان منتج ومبدع يشبع فى نفسه أى رغبة فى الإبداع وكأنى مستمرة ولم أتوقف - قد اتى ماتتبادل الآراء والتافق المنسجم فى عمله وإبداعه الذى هو نتاج علاقتنا وحبنا وعشقتنا الطويلة التى بلغت ٣٢ عاماً وأصبحنا عmad أسرة كبيرة تحوى فى كنفها ابنتين متزوجتين وحفيداً وإبنتا عبد الله .

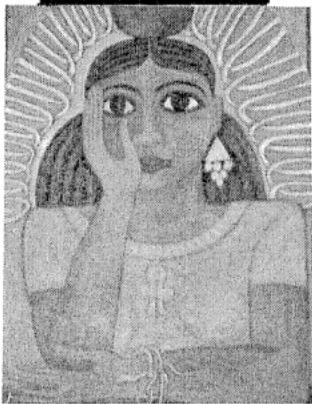


٥- من خلال بعض أعداد مجلة أقلام الصحوة ومجلة الإنسان والتطور قرأت لك نصوصاً نثرية أدبية ، أتمنى أن تحدثينا عن هذه التجربة ولماذا أثرت التوقف عنها كما حدث في الرسم والنحت.

- لقد كنت في حالات التوهج الفكري والفنى والثقافى والعاطفى أعيش فى مناخ بعيداً عن وسائل التعبير التشكيلي الإبداعى .. أعني المكان والخامات وحرية اختيار الموضوع وكنت أندفع إلى الكتابة اندفعاً حراً وكأنى أتخطى عوائق وحواجز ، أحمل اللفظ عميق المعنى والتلامغ - فالكتابة منفذ للإبداع الطليق بعيداً عن الخامات وقيودها .. وكانت هذه الحالة مرتبطة بي منذ طفولتى وصباى ، كانت لى كراسة أدون فيها ما أكتبها وأحتفظ بها كشئ غال وشين وذات مرة سرقت منها فحزنت ولكن مع الوقت أصبح عندي العديد من الكراسات . وبعد فترة كتبت (رحلة لا مجده) التي نشرت في مجلة (الإنسان والتطور) وأعتبر هذه الكتابة بمثابة عمل إبداعي شديد الشخصية.

٦- هل لديك رغبة الآن للعودة للإبداع

- ليس لدى رغبة الآن للعودة للإبداع فان استمرار زوجى في الإنتاج الفنى والإبداعى هو إشباع لى وسكن . فحالاتي الصحية تكاد تكفيني لأنتنفس وأنتحرك لأعيش مابقى لي من عمر فعند الإقتراب من سن الستين تصبح الحياة صعبة والمسئولية ثقيلة والأمل في الأجيال القادمة ولو عاد بي الزمن لاختار طريق دراسة وحياة لاخترت دراسة الطب لأخفف عن المرضى الآلام وعن الكبار أحمال الكبر والمرض والشيخوخة.



خفة الموت

أحمد أبو فنيجو

وكنا - أصدقاؤه - إن جاز التعبير لأن - نعرف ذلك فنصبر عليه حتى يفرغ ، أما الغشيم غير العارف به كان يحولها إلى مسألة شخصية لاتسمح له بالتعرف على إنسان طيب القلب ، رائق المزاج ، حلو الشعروالشعر والإحساس .
.. ياه يانجري ..
حتى الآن لا أزال أعتقد أنها إحدى الأعبيك ، وفي لحظة ما سأجدني واقفاً قدامك ، لا يهم الكيفية ، لكنه الشاي على "ليلي الحلمية " وعشرة الطاولة التي ترابط فيها دائماً ، وإن لم تصدقنى أسؤال " جار النبي الحلو " ، أرجوك سقف هذارك أمام الأغراب ، يابن والدى : يالى شايل هموم الوطن فوق دماغك ، ايه يقييد كونه حزب ناصرى ولاحتى المحاماه .. ولم يعد مجدياً أن تقلب فى بحور الندم والأسى ، ذلك أن الموت كفاصلة أخيرة غير قابل للنفخ أو حتى التمهل ، يمكنى إذا لحظة تعجب عابرة ، قصيرة كوقع الحياة ذاتها ، فلaimken للعجب أن يطول ، فهي هكذا عودتنا دائمًا - الحياة - على مد يدها القادر لتخطف بين لحظة وأخرى واحدًا منا ، ربما كانت المدة والألفة وبرام العشرة فيما نظن ، هو مايسبب الفجيعة ، والتي هي بلا طائل أيضاً .
كان " فنجري " كفيه من عباد الله الساعين فى الحياة يتپضن المحبة للناس والشعر ، يملك قلبًا طيباً وصوتاً جهراً أوقعه كثيراً فى المشاكل والخلافات ، التى كان ينهيها بعد أن يفرغ من زعيقه ، بآن يعنم عليك بكتوب شای وسيجارة او شيءة إذا كنت مشيشاً كحاله هو فى الفترة الأخيرة من حياته .

وممتدة ، ماتثبت إلا أن تكرر نفسها كل حين
* حكاية ..

في أواخر العام ١٩٨٩ ، كنت لتقى انتهى
الجيش ، ويدى تجرب بعض الأقاوميـص القصيرة
 جداً ، كنت مفترتنا - ولأزال - بالمارسات الشعبية
 العلاجية ، وكيف كانت طرقهم مع قسوتها الشديدة ،
 التي تمايل قسوة الحياة ذاتها ، تأتى أحياناً
 بنجاحات باهزة ، وكان عالم الطفولة هو الأثير لدى ،
 وكانت خفة القلب ، وكيف قامت جدي باللازم لطرد
 هذه الخفة ، كنت قد عملت على مسودة وثانية وثالثة
 دون أن أصل إلى النغمة التي أريدها ، ومن شدة
 زهقى قرأت هذه المسودة المصديـين : "أيمن حسن
 ويدر عبد العظيم" ، ودار كلام حول عدم اكتمال
 النص ، والقيت النص من يدى ، في نفس الفترة
 عقدت أمسية شعرية بالثقافة ، ألقى فيها فنجـرى
 الثانية قصيدة "خفة الكلب" :

يا خفة الكلب .. اطّلعي من القلب
 وتدق صدرى جدى وضهرى
 مرکوكها غازى فى الحشا يهرى
 أزعق بحسى أندى الغائب
 ضهرى اللي محنى بالعلل والكرب
 ينفع طالب ياخذ التايب" .

كانت النغمة الأساسية التي تشكل القصيدة هي
 السخرية ، السخرية القاسية والتي أطلقت عاصفة
 من الضحك عند انتهاء القصيدة ، السخرية هي التي
 كانت تقـدقـها ، كانت المسودة نصاً متوجهـاً كـنـيـاً ،
 مقبـضاً ، خالـياً ، غير مـعـبر عن هـذـهـ القـوـسـةـ التي
 تفـوقـ خـفـةـ الكلـبـ ، لتـاخـذـ إـلـىـ الـأـمـلـ فـيـ الـاعـتـاقـ منـ
 مركـبـ الجـدـةـ وـسـخـرـيـتهاـ الـرـيـرـةـ ، التي تـهـدـفـ منـ
 وـرـائـهاـ إـلـىـ بـنـاءـ يـسـطـعـ مـوـاجـهـةـ الخـفـةـ أـيـاـ كـانـتـ ،
 وـمـتـ جـاتـ .

"والجرـوـ خـفـكـ وـرـدـكـ عـ القـفـاـ يـاجـانـ
 وـأـنـتـ إـلـىـ عـاملـ شـيـعـ غـرـ فـيـ الـكـفـ" .

إلى جات مع الاصرار والصبر ، إيه يفـيدـ حتىـ كـونـكـ
 شاعـراـ ، فيـ وـطنـ لمـ يـعـرـفـ قـيـمةـ عـيـالـ ، سـيـكـ منـ
 الشـفـرـ والـفـنـ والـدـلـشـةـ ، وـشـفـ شـفـلـةـ تـجـبـ قـرـشـينـ
 عـلـىـ رـأـيـ "يوـسفـ اـدـرـيسـ" يـنـفـعـاـ العـيـالـ ، مشـ
 أـحـسـنـ بـرـضـهـ !! ..

لكـنـ الزـمارـ ، كـيفـ يـتـركـ الغـنـاءـ ، وأـصـابـعـ دـونـ أـنـ
 يـحرـكـهاـ تـلـعـبـ لـتـصـنـعـ أـنـفـامـهاـ ، إـنـهاـ أـصـابـعـ الرـوـحـ ،
 المـضـرـوـبةـ بـالـغـنـاءـ وـالـعـشـقـ الذـىـ لـيـتـنـهـ حتىـ بـخـرـوجـ
 هـذـهـ الرـوـحـ ، فـالـنـفـغـاتـ تـنـظـلـ سـارـيـةـ فـيـ الـأـثـيرـ /
 الـوـجـدانـ ، دـاـخـلـ قـلـوبـ الـأـحـبـةـ سـيـذـكـرـ كـثـيرـ مـنـ النـاسـ ،
 كـيفـ أـنـهـ قـرـأـ بـكـ للـرـمـرـةـ الـأـخـيـرـةـ ، وـسـيـقـصـ الـأـهـلـ /
 كـيفـ أـنـكـ قـمـتـ بـزـيـارـةـ عـلـىـ الـأـقـارـبـ وـالـأـصـدـقـاءـ قـبـلـ
 رـحـيـلـكـ . كـعـادـةـ كـلـ مـنـ يـقـبـلـ عـلـىـ الـمـوتـ دـونـ أـنـ يـدـرـىـ
 بـطـبـيـعـةـ الـحـالـ ، لـكـنـىـ سـاقـصـ حـالـةـ أـخـرىـ ، حـتـىـ
 الـآنـ لـأـجـدـ لـهـ تـفـسـيـرـاـ ، وـلـأـبـيـ أـنـ أـجـدـ ، فـقطـ
 أـحـكـيـ حـتـىـ أـوـسـعـ مـنـ طـاـقـةـ التـعـجـبـ وـالـدـهـشـةـ بـداـخـلـ

، كان فـنـجـرىـ مـعـتـادـاـ الـجـلوـسـ عـلـىـ مـقـهـىـ "لـيـالـىـ"
 الـحـلـمـيـةـ لـقـرـيـهـاـ مـنـ الـمـحـكـمـةـ وـلـطـبـيـعـةـ عـمـلـهـ كـمحـامـ ،
 وـكـنـتـ كـلـاـ أـرـيـدـهـ أـنـ أـرـغـبـ فـيـ لـقـائـهـ أـنـهـ يـذهبـ إـلـىـ هـنـاكـ ،
 وـيـكـنـىـ أـنـ تـقـولـ عـلـىـ عـالـمـ الـمـقـهـىـ : "فـنـجـرىـ" فـيـدـالـكـ عـلـيـهـ
 انـ كـتـ لـأـتـعـرـفـ ، أوـ يـخـبـرـكـ عـنـهـ إـنـ لـيـكـ مـوـجـداـ ،
 فـيـ يـوـمـ الـخـمـيـسـ /ـ يـوـمـ الـوفـاةـ ، تـوقـفـ التـاكـسـىـ
 ليـنـزـلـ أـحـدـ الرـكـابـ أـمـامـ الـمـقـهـىـ ، وـكـنـتـ ذـاهـبـاـ إـلـىـ
 عـلـىـ ، لـأـنـدـرـىـ مـاـ الذـىـ دـفـعـنـىـ إـلـىـ التـنـزـلـ أـيـضاـ ،
 وـالـدـخـلـ إـلـىـ الـمـقـهـىـ وـالـسـؤـالـ عـنـ فـنـجـرىـ دـونـ سـابـقـ
 تـكـبـيرـ ، وـأـيـضاـ كـوـنـىـ مـتـاخـرـاـ فـيـ الـذـهـابـ إـلـىـ الـعـلـمـ ،
 قـالـ لـىـ الـعـالـمـ : لـيـهـ أـيـامـ غـايـيـ ، بـاـيـنـ عـلـيـهـ مـسـافـرـ ،
 فـيـ الـمـسـاءـ كـانـ الـخـبـرـ فـوـقـ رـأـسـ يـجـلـجـلـ ، حـتـىـ
 الدـمـعـ ، الدـمـعـ الـوـحـيـدـةـ النـاجـحةـ فـيـ مـواجهـةـ قـهـرـ
 الـمـوـتـ ، الدـمـعـ كـانـ عـصـيـاـ مـحـبـسـاـ ، كـانـاـ الـمـيـاتـ
 السـابـقـةـ "إـبـراهـيمـ فـهـىـ وـحـاجـ الـبـاـيـ وـفـاطـمـةـ
 الـأـلـىـ ، وـخـالـدـ عـبـدـ الـمـنـعـ ثـمـ فـاطـمـةـ الـثـانـيـ وـسـيـدـ عـبـدـ
 الـخـالـقـ ثـمـ فـنـجـرىـ ، كـانـاـ - كـلـاـ مـيـةـ وـاـخـدـ ، طـوـلـةـ

كانت الجدة تمارس طقوسها بوله صوفي متوجد
في شبابيحة ، غير مدرك للنار التي يقلب جمرها
بأنصبه

" هات وري قلبك اشقة أخلع الخضة
لا سمعك وشائنك في البلد يوطى " ..
ياه يانجوري ..

جريت إليه مهنتاً وبماركاً على القصيدة ، قال لي
بعادية شديدة : دى ليها سنتين مكتوبة .
جاك حش بطنك ياعرة الولابيد

لما انت خايب
ليه تعانكس الكلب :

عندما عدت إلى البيت نفخت يدي من المسودة
ومرتقتها مكتفياً وممتنعاً بالقصيدة " خضة الكلب "
* خاتمة :

بتاكيد أنا لا أرثيك يانجوري ، أنت تعلم ، وانت
ليس في حاجة إلى الرثاء ، قل : هل مت !! أم أنها
احدى فترات غيابك التي كنت تمارسها علينا حتى
نسأل عنك ، لتأتينا بعدها بـ " زعابيب أمشير " .
فتصبر عليك وت慈悲 علينا حتى تقوت " التمة " .
والهوجة وبعدها ، خبرنا من يبدأ بتقديم الشاي
وتوزيع السجائر .

* - تنانيش *

" فرمستك والقبر " غير

تنفس والدم قاير

هانت لافت وانت داير

في البيوت عمال تعاير

ياديم الشوف تماين

من جرايرك بمن عاين

الرجال راحوا رهاین

والحرير ليسوا الخزائن

بالعناد ناشفة الجنابين
والماجور مكفى وهain
" مانلاقيش " جنس كاين
غير مددين وغير مدلين

* * *
مين يقولي ع المطباب
مين حبجي يا حباب
هو فيه غير التراب
فوق دماغ معيب وعاب

* * *
ياغراب البنين ياشايب
في البلاد شفنا العجائب
الجنت ماشية في كتابات
حاجة صبح من الغرائب

* * *
آه يأعدك في الاولخر
ضهر محنى وسن كاسر
في الوشوش نابتة الشواوف
ياقررين فيك حيل تعافر !!

* * *
* رشا
أنا كل ماأشوفها أتبز
وتنطف الدمعة في عيني
أمسحها بطرف صوابعى
واقرب منها أسالها
كيف حال الدنيا معاكى
 بشويش ترد تقوللى
أهى ماشية الدنيا ياعمى



قصيدة

صلاح جاد

إلى أين تذهب؟

عجز في عمر جدي بامتعاض تسأله
أين بيته ، كان خلفك منذ سنوات.
أين أسد الحديقة ياولدى ؟
- حقا إلى أين تذهب؟
- حقا إلى أين تذهب؟

(١) روح يوليه :

المارد الذي أطلقه الثورة
من قارورة "الويسكي" ليبارك خطاه
فأبدى اعجازا في التحرب وفي البناء
وفاق الخيال بغير الهزيمة
اعترف "يهودا" أخيرا بفشلته
في قتله أو اعتقاله

مفاوضات يوليه

(١) جheim يوليه :
 فوق الأربعين حرارة الجو
إلى أين تذهب؟
(قوات الاحتلال تقذف بالقنابل أحيا غزة)
إلى أين تذهب؟
(تسعةأطفال وقائد وعشرات الجرحى)
إلى أين تذهب؟
وحدها ستريح الآن سمعي وبصرى
 بينما قرد جنوب الوادي يصارع آخر
 تحت الشجرة
 في قفرة ننساس عجوز تذكرت وجهها كريها
 وكتابا "لدارون".



(٢) خراميم المياه التي عبرت
من ثلاثة عقود للضفة الأخرى
هي - نفسها - الآن - تجاهنا
تطلقها (الكراسي)
تجاهنا لنصلت لغرق
كسرب غربان فوق جث الضحايا
حلفت الكراسي
تنعب في وجهة أخرى
(٢) الذين اغتصبوا المدينة
سرقوا حلية وثيابها
لم يكتفوا بصمتنا
يطلبون الآن منا
شهادة زور عما جرى
للحاضر ..

بعد خمسة وعشرين عاماً يصرخ يهودا
باته لم يحضر عشاءً (كامب ديفيد الأول)
ولم يره في الثاني
المارد الذي يبحثون الآن عنه
 بلا جدوى لتسليميه أو اعتقاله

الغربان

(١) من نفسه
من بيته وأهله
من وطنه الصغير والكبير
ولم يعد
خرج المواطن



نفة ، يدى ، ومازال يلعب

خان سعيد

نفة

اليوم خذلتى الصديقة الحميمة التى وعدتني بأن تقضى اليوم معى ..
انتظرت رنين الهاتف ليكون هو .. تلقيت آلاف المكالمات إلا مكالمته ..
بشتى مرتبة ابنتى الصعيديبة المحبة كلمات تشى بحب وتقدير ..
اختصتني بحكاية أبكىتني عرفت منها أنها لم تبع بها مخلوق سواى لا لشئ سوى أن
”قلبها انفتحلى“

تنذكري حبيب اعتقدت أنه نسى حروف اسمى بمكالمة طويلة من أقصامى الأرض ..
داعبى طفل أسمر .. فتحت حقيبتي الملؤمة دائمًا كجعبه حاوٍ بلبان وحلويات وباللونات ..
صاحب بي رجل لأنى اقتحمت بسيارتي شارعاً منع الدخول فيه وتصاعدت أصواتنا
بالسباب .. كانت الشوارع خانقة وكنت أتوقع لكان فيه صخر وبحر وخضره وتنساب منه
موسيقى حانية قلم أحظى الا بمكان صغير مزدحم فيه صخر وبحر فحسب والحد الأدنى

لطلبات الفرد مبالغ فيه .. حاصلتني فيه نظرات الناس واعتقد بعضهم أنى مجرد أنشى باحثة عن صيد .. حاولت أن أكون محابدة لكن البحر كان ثائراً .. ينبع موجاته الرعناء تلطم الصخر بعنف .. تسقط ذراته متتابعة كالطلقات .. كان صوت وجيب موجاته الرعناء تلطم الصخر بعنف .. يريحنى ويغرينى بمزيد من الصمود للنطرات المتخصصة .

قريبون البشر مني يجلسون بجوارى أكاد أسمع أحاديثهم وحكاياتهم وأكاد أمد يدي فالمالسمهم لكن ما أصعبها هذه القدرة العجيبة على التواصل بين جزر منفصلة .

أخذتني سيارتي للمقابر بعد أن انتهت غايتي من البحر قرأت الفاتحة لروح الغاليين والداى وجدت دموعى تناسب رغماً عنى تعجبت لأنى ما زلت أحتفظ بذكرياهما طازجة رغم شسوع المسافات وبعد الزمن وعند خروجى كنت مفعمة بحزن شديد خاصة عندما وجدت التورته التى اشتريتها خصيصاً لعيد ميلادى قد عجبت واختلطت ببعضها وذابت الشيكولاتة وسائلت على أطرافها .. أدركت أن اليوم قد مضى دون أن أفعل شيئاً واحداً مما كنت أمناه .

* * * * *

يدى

وتنذكرتك وأنت فى مطبخى أسعى مهربولة بين الحوض الممتلىء بالأوانى والمقد الذى عليه أكثر من قدر تفلى تنتظر يدى لتقلبها .. تتبع درجة نضجها .. والفالسالة المكتظة التى تلفظ دفعتاً جديدة من الملابس خاوية الوفاض .. مبتلة ترقد فى استسلام يائس تنتظر يدى لتشجعها على العبال فتطير وتهفف فى سعادة .. ولفائف ابنتى التى تنتظر مزيداً من عمليات الدعك والتقطير والفالى ل تستعيد بها عها ونصاعتها .

تذكرتك وأنت تلثم تلك اليدين المنقوعة فى مبيضات الألوان والصابون السائل .. هل تدرى أن هذه اليدين تمسك أحياناً بالشيشى لمطاردة صرصور هارب أو منفحة لإزالة التراب العالق بأهداب سجادة .. هل رأيتها وهى تنهال على مؤخرة طفلتى لتنهرها ؟ أو هي تمسك بفرشاة المرحاض لتنظفه .. وسلك المواعين لإزالة سواد اعتلى الأوانى وأنهت بريقها .. هل تعلم كم تعبت لأزيل رائحة مبيض الألوان السمجة منها ؟ كم تعبت لأجعل يدى ناعمة لأنسيك كم تعرضت هذه اليدين لعمليات ببربرية ووحشية .. كم احترقت بقذائف الزيت المقروج .. ومفرقعات السنن الذى يجيد اختراقها والتوصيب عليها كأنها هدفه الأسنى .. أتعجب وأنا أراك تلشمها .. وكأنى انفلت من جلدك وتقولت من أجلك .. لاكون لك امرأة أخرى .. أتعجب وأنا أراك تتاملها

في وله .. تطري نداوتها وانسيابيتها وتأمل وجهي .. لاتدرك كم من أقنعة صنعت .. قناع اللبن
وقناع العسل وقناع الفاكهة وكريمات ترطيب البشرة ومقاومة التجاعيد .. كم شددت بطني
المترهل من عمليات الولادة المتكررة .. كم بحثت ونقبت وأنا أنتقي ملابس أكثر خداعا .. تداري
ماتراكم من شحوم تحمل في كل سنتيمتر منها تجارب وعمرها وسنين .. جاهدت وأنا أسجن
جسدي في مشدات البطن والأرداف وينطلوونات مخنوقة تضيق أنفاسي لقول لي أني أبو
أصغر سنا.

كم تمنعت الغباء وأنا أرى عينيك المتخاثتين تعابثان أثداء مراهقة أو مؤخرة أخرى - رغم
يقيني أنها خصلة رجالية بحثة - أصبحت أسلم بأن السير في دروبك اللولبية وأنا أجاهد
بناقتي المتعثرة لألحق بطايرتك المارقة بسرعة البرق أمر مستحيل وأنى تعيب من الوقوف بوجه
التيارات المعاكسة .. وأن الفرق بين عمرينا كان يمكن أن تصنع شاباً مراهقاً وأنى لن استطاع
أن أحلم يوماً أنى امرأتك ولن أملك رفاهية أن أعيد ترتيب لبيت حياتى من جديد لتكون أنت
فيها لأن أمك سوف تسقط مغشياً عليها ووالدك سوف تقاجه أزمة السكر .. عندما يعرفان
أنك تحب امرأة مطلقة ولها أطفال وتدرك بكثير من الأعوام.

* * * * *

ومازال يلعب !

صرح من الجرانيت البني والرخام .. ترقد فيه كائنات ومكاتب .. أجهزة كمبيوتر .. فاكس ..
مقاعد هيدروليكيه .. طابعات .. غرف واسعة .. صالونات وثيرة .. انتريهات فارهة وزجاج
الفيسب الأسود العاكس يرتفع عاليًا يفصل القيظ الخارجي عن اليد الداخلي الذي صنعته
أجهزة التكيف.

تدخل الصرح كائلاً في أحد دور السينما الفاخرة .. أبواب الألوميتال تفصل المكاتب ..
تعزل الناس .. تمنع الضجيج .. والمكاتب الزجاجية أنزلت ستائر ذات الشرائح المعدنية
المتعددة لضمان خصوصية كل مكتب عن الآخر.

قاعة التدريب الخضراء .. المفروشة بالموكيت .. يقف المحاضر على منصة عالية ويجلس
المتدربون ينصتون في خشوع.

في اللحظة الفاصلة بين المحاضرين وقفت بالشباك .. من خلال ستائر كانت أمامي أرض
فضاء شاسعة .. امتدات بأكوان القمامه والنفايات وعيroc الأخشاب المكسورة والصفائح



الصدمة وإطارات السيارات .. تسعى فيها حشرات وكثير من الزواحف مجهرة الاسم وكانتان غريبة تقر مسرعة من مكان لأخر تتراقص فثran وقطط وربما اخنقت ثعبانين بين الشقوق ..
كان هناك بيت صغير من الأسمدة .. على سطحه وضع صاحبه كثير من عروق الأخشاب المتكسرة التي رمي بساحتها .. فجعلها سقفا وعلى مدخله بضع بلاطات متكسرة بفعل الزمن كلما ابتعدت عن مدخل البيت تباعدت المسافات بينها وتلاشت إلى أن تصبح ترابا ..
وقف هناك طفل تو شعر ناعم أسود يلعب صنع لعبة من الصفائح الصدمة والعلب القديمة وعروق الأخشاب المكسورة صنع دراجة و سيارة و طائرة صغيرة .. كان مسترسلام فى ضحكاته أسمعها من خلف نوافذ الألوميتال فاندفع لأطل عليه لأجده ما زال يلعب ..



على صورى الحاسة

عاطف عبد العزيز

مليئاً بشرفات لم تزل هدوءها
 مدبلة،
 شارعاً
 لا يعرفه الشعرااء سجائرهم الريبة،
 لاتمتشى الشهوة في منازله على
 أطراف الأصابع،
 ولا
 تتقصصه نهود في ريعانها
 أرهقها السعي تحت مصابيح
 شاحبة.
 ستحمل حقائبنا إليه ،

فضاء واسع،
 من الطرف القريب يطل على
 غابة عطنة
 تأخذ في خرائطنا شكل ملحب،
 وينحنى
 عند نهايته على سوق للفجر.
 بذلكـ هنا
 سنخصص فيها شارعاً لل Yas ،
 مليئاً بدكاكين العطارة
 والمقاهي ،

باحتين

عن غرفة رخيصة لدى الأرملة :
الأرملة التي مات عنها الحلاق
قبل عشرين سنة.

يدحرج خريطة العلاقات الجاهزة
على أرضية المشهد
لتترقص الغواية
أو يصل
ما بين الفلال على المشى الحجرى،
وأشكالنا الأولى.

لن تأبه لخربشات سلمحها على
الحوائط الواقعه :

سنكنن له في الحارة المظلمة
على مقربة من البئر،
ونصيده أعزل
غارقا في السكر،
نصيده فحسب،
ونودعه قفص العصافير الفارغ

ريعا تنفس سر الوحدة
أو
تدخل بنا تاريخ الكراهة من
بابه السرى

دون أن تمسه بسوء
على أي نحو
ليكون شاهداً على ملوكنا
الجديد.
وكلاً ما ساورته التذكريات الدينية،
شمع السقف رأسه.

لن تأبه
لتکاثف الشعيرات على جسد
هذه الإنصارات

لحيف الغرف المجاورة
ثم

أسلم سره إلى شمس الصباح
على سطح البناء

سوف

لاندغ الماضي يتصدع سقف المكان
باتقاذة القتيله.

المكان الذي ريبناه في حظيرة الكلام
يتيمأ،
صامتاً،
ومنطويأً على رطوبته.
لن تندعه يتصدع سقف المكان،

سوف

لاندغ الخيال يدمى الفرصة
فيمزج

كمادته
ملاط الواجهات المتائل
بعابرین،
أو

لأننا

سنختار من صندوقه

ما ينفع الناس:

سكنانا الجدد الذين وفدوا

هذا الصباح.

سنختار لهم حراق الليل :

حراقاً

اعتنينا رصبا في المسافة

من الفراش الضيق ،

إلى نافذة تطل على الفناء الداخلي

ثم

من النافذة إلى المرأة التالفة

سنختار البوق الفخارى بدليلاً

للساكس:

الساكس الحزين ،

الخائن ،

طويل اللسان ،

الذى دأب على ملاحظتنا بافخاخه ،

من مدينة ، إلى أخرى ،

ومن حانة تنام على نفسها ،

إلى غرفة

غادرها أصحابها متجلبين.

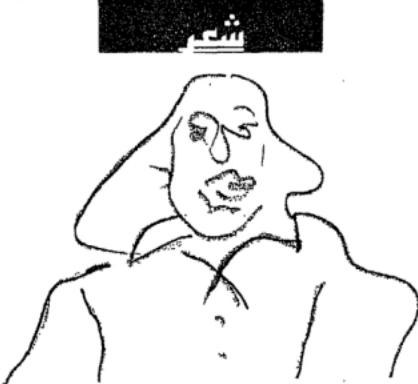
بلدة.

تتراءك على مرمى الحاسة.

البوق بعدهاته

كى

يختصر الضجيج الطالع من



عبدة مصرية

عبدة المصريين

وأطحنت رفات حببي
تحت العجل الحديد
دم الفقرا الذى سايل
ردى النبيل ف الرسائل
متبعترع القصبي
صبرنا ع الأطبى
وزهقنا المحبى
حدثت ملهاوش عازة
ولا يودى ولا يجيب
خابت كل الأغانى
ومصر اليوم يعيد
أبعد من شط نيلها

صدر حكم فى قضية قطار الصعيد الذى
احتراق ومعه أكثر من ثلاثة راكب من الفقراء
الذين كانوا فى طريقهم إلى بلداتهم وقرامش
ليحتفلوا مع أهلهم بالعيد . وقال القاضى إن
المسئول الحقيقى عن الكارثة ليس موظفا
صغريرا هنا أو هناك وجهوا له الاتهام وأن
المتهمين الحقيقيين هم خارج القفص ..

يا وابور الساعة انتاشر
يا مجبل ع الصعيد
عيid على الغلابة
بعدودة ونحيب



<p>تحرقها الذكريات شبابيك سجن الحكومة بتغطيط ع الى مات جذعان وصبايا زين دفنوهم من سكات من غير ما يليل ريقهم ولا تطفى نار قلوبهم أحضان الأمهات أحلام تناويبها تربى وليل ليل ف غربه ع الجاي واللى فات يا وابور الساعة اتناشر يا مجبل ع الصعيد</p>	<p>عمالها وفلاجينها محكمه بالبعيد يا قمر ايak تزورها خلال السلام ساكنها والقهري يبيد رجالها آخر وأحنا الوقيد يا وابور الساعة اتناشر يا مسافر ف الوريد طرح الموال ليالي وشوش ف الاستباليه وجحت نزت صديد يا وابور الساعة اتناشر ملم شعر البنات وسبيب عيون قرائبي</p>
---	--

قصة



أصابع صغيرة لها بهاء الحصرم

عماد أبو زيد

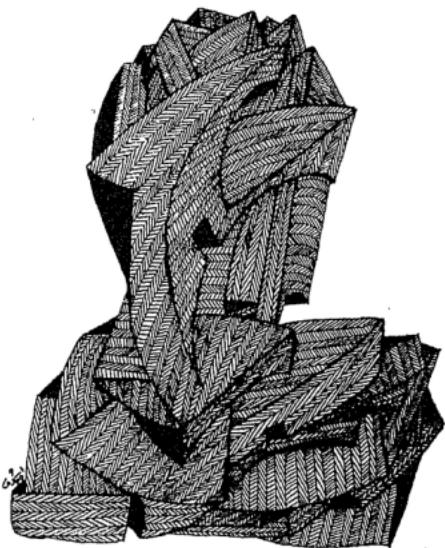
ولست وحدك من تذكرها إذ كيف ننساها
وقد رموها بالرصاص وهي تبحث عن أخيها
الكبير الذي لم تخل جيوبه يوماً من قطع
الحجارة؟!

اتسعت عيناك محدثة في أصابعنا
المخضبة بدم «الثور» المذبوح تحت نعش أمك،
تحترق المسافات فكأنما تراها الآن مُسجاةً
 أمامك .. تقول:

إذ أخذوا مني الميثاق لحظة وداعك: بأنني
سأسليط عليهم الريح، وأبث الرعب في قلوبهم.
 وإنى لأوفي بالعهد.

لست في حاجة لأن تقص على ما حدث
حينما تبتهل لأصابعنا الصغيرة، فما زلت
أتذكر قسماً أخذته على نفسك رغم حداة
سنك وقدمييك اللتين لم تكونا تعرفان سوى
الركض وراء ابتسامة شفاهنا نحن الكبار عنك
قليلًا.

اجتاحت أصابعنا مشاعرك حين شاهدتها
تفجرت عيناك بدموع اعتنادت أن تنقض اسم
أمك على خريطة وجهك صباح مساء، تذكرها
وهي تحكي لنا «الحواديت»، وتُضحكنا تحت
«الكرمة» قبل أن تشعل فيها صراغنا.



- يايك متفتحوش، للغريب، وإياك تخيب
عن دارك، دارك هي أملك وأخواتك ، دارك هي
عرضك.
هكذا يذكرك الباب، ولست في حاجة يا
عزيزي لأن تقصر على المزيد من، فانا
أول العارفين بك، وان أندھش إذا قلت : إن
صوتي يأتي إليك من هذا الباب في بكاره كل
صباح يحمل بشارةً لك.

* صفاراً المستقماً على بابنا الخشبي بارتعاشة
صدمة نهر طلارة التضاربة.
بعد (ن م ذ ل ١) سو

اذكرك حين وقفْتْ تحاكينا ونحن نلطخ
أكفنا بدم «الثور»، فنصليبه تمى على بابنا
الخشبي الكبير، وقد سجلنا إلى جوارها تاريخ
ذلك اليوم المشئوم، أثرت من بعد أن تنقل ذلك
الباب معك أينما رُحِّتْ أو رحلتْ أو عشتَ،
تحتفظ به وحدك ما دام هو المتبقى من رائحة
بيتنا القديم، تنظر إليه في تأسٍ ترى من
خلاله البيت، «الناصرة».. ترثي حالك:

- «العنبة» حزنت.
تبقي عينك على الباب، وكائناً الزمن لم
يمض، أو كائناً لم تعرف بعد بمروره..
تعيش مع أبيك وأملك وأخواتك خلفه ،
تنتصت كل يوم إلى أبيك:



قولى لهم

عارف البوهديس

قولى لهم
إنى أحبك
وجنوة الضمير
ضعفت

يا أيها المدود فى انهزامنا
أطلقت علينا شكلاً

صح أحزاننا
دمائنا

كرامة الندى
قولى لهم
إنى أحبك
ابتسامة



وهدياً
منشداً
قولى لهم
إنى أحبك
ترانيم صلاة
وأذان
بعدما قد رحلت
من ساحة الأرض الرجال
قولى لهم
إنى أحبك
وجنوة الضمير
ورقت
حب القتال.

السرد المكتنز

"السرد المكتنز" ، كتاب جديد للباحث والناقد النشط أيمن بكر ، في هذا الكتاب يشتغل الباحث مع المصطلح النقدي ، لعل عنوان الكتاب سعى للتعامل مع مصطلح جديد : السرد المكتنز من اكتنز - كمثل مضطرب (من اضطراب) - إذن يدل بصورة مبادئ على سرد مجتمع وممتد داخل النص الكبير الذي يقع ضمته ، ويعكم تأثير ظلال المعانى الأخرى فى مادة كنز ، يشير المفهوم أيضا إلى فكرة الخبرية القيمة " الكنز " ويقول زيمين فى مقدمته إن للكتاب توجهين فهو أولاً يسعى لإثارة بعض الجدل المتسائل حول ما يمكن أن نراه واحداً من أهم الافتراضات الواقعية فى الأساس من " النظرية السردية البنوية " الثاني يهدف إلى تقديم عدد من الدراسات التطبيقية على نصوص سردية وشعرية باستخدام مقولات النظرية السردية البنوية أحياناً ، وبالخروج عنها أحياناً أخرى .

ثقب فى الجدار

دراسة فى العلاقة بين الحق فى الخصوصية والحق فى السكن الملائم مع التطبيق على حالة مصر .
صدرت هذه الدراسة عن : المبادرة المصرية للحقوق الشخصية . للباحث حسام الحماوى .
تأسست المبادرة المصرية للحقوق الشخصية كمنظمة غير حكومية من أجل العمل على تعزيز الحقوق والحريات الأكثر التصاقاً بالإنسان مثل الحق فى سلامه وصحة الجسد والحق فى الخصوصية وحق الحرية والأمان الشخصى . هذا إلى جانب البحث والتوثيق والتوعية .

تداعيات فى بلاد بعيدة

المجموعة القصصية الأولى للكاتب والناقد السوداني عبد الحميد البرنس ، هذه المجموعة تتراوح قصصها بين القصر الشديد الذى يبلغ عدة أسطر وبين القصة الطويلة . هذه القصص التى قال عنها د . صلاح السروى ويدهى إننا لانلمع أثراً للراوى . كما لانلمح أثراً الشخصية محددة الملامح من حيث الشكل الخارجى والصفات الأخلاقية وعالها النفسى ، حتى الاسم غير موجود ، وإنما نتعامل مع مشهد يمثله بشعر مجھولين لا يحملون أية سمات ، فقط يحملون سمات الإنسان الضعيف الأسيان ، فى شفافية ، ورغم جهلنا بخلفيات الحياة الخاصة لهذه الشخصيات ، إلا أن هذا الإيحاء هو الذى يتبع كل التأويلات

العدد
125

تداعيات
في
بلاد بعيدة

تصويف قصصية

عبد الحميد البرنس

المرد الكثثر

أيمن بكر

الهيئة العامة لقصور الثقافة



الجَسُورَةُ

لِصَرِ

ضياء عثمان



المملكة ، مما يتيح لنا نصاً مفتوحاً في مقابل النص المغلق.

الجسورة

مجموعة قصصية جديدة للشاعر والكاتب ضياء طمان ، صدرت المجموعة عن سلسلة كتابات جديدة الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٢ "الجسورة تتراءكم" ، تدفعه نحوها بشعاع من الخلف ، وترفعه من السقوط ، وتوسّس شمعة تزخر له بالبر وتحترق أيضاً بالماء".

أنين المأسورين

مجموعة قصصية للكاتبة الفلسطينية بشري محمد أيوب شرار ، وكما في كلمة الفلاف ، هي قاصدة تمتلك لغة فنية وصورة موحبة ومعنى قد يبدو صوته عالياً في بعض القصص ولكنه متواافق مع المعاني القوية والقضايا التي تطرحها.

سيدة الطقس

عن أتبيلية الإسكندرية ٢٠٠٢ صدرت مجموعة قصصية للكاتب أحمد فوزي بعنوان "سيدة الطقس".

كسر الرجال

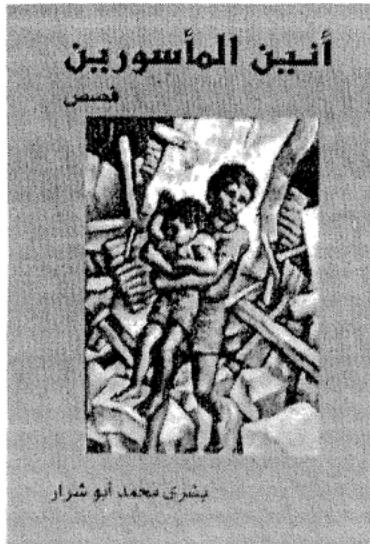
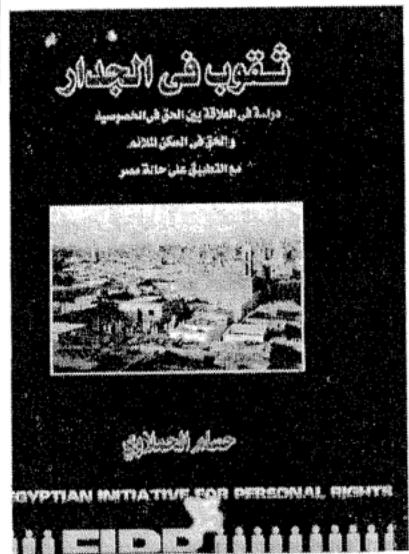
مجموعة قصصية للكاتب أمير سالم ، صدرت في طبعة ثانية صمم لها الغلاف واخرجها فنانياً الكاتب نفسه . وقد أهدى المجموعة إلى المخرج الراحل "رضوان الكاشف".

معارك على الورق

الكاتب والصحفي المصري الذي يعمل في لندن ، يسري خميس ، صدر له عن الغد للنشر والصحافة ، كتاب "معارك على الورق" في الكتاب مقالات متعددة عن الديمقراطية والاستثمار والإرهاب والمسرح ، ومعرض الكتاب.

وفاء إدريس

وفاء إدريس وقصص فلسطينية أخرى كتاب صدر عن مكتبة الأسرة ، الهيئة العامة للكتاب الصحفي والكاتب المسرحي محمد سلماوي ، يحوى الكتاب مجموعة نصوص من وحي الانتفاضة الفلسطينية وشهادتها .



باب السفينة

الرواية الثانية للكاتب سعد القرشى ، صدرت عن دار البستانى للنشر والتوزيع . ٢٠٠٢ .
قبل هذه الرواية صدر له ثلاثة كتب ، رواية « حديث الجنود » ١٩٩٦ ومجموعة قصصية بعنوان « مرافق الرحيل » فى عام ١٩٩٢ و « شجرة الخل » ١٩٩٨ .
هذا نبى غير منتظر ، تحدث أحالمه من النبوة إلى الولاية إلى السعادة الزوجية المستحبلة ، إلى التوسيط لدى القاضى لتحصل صديقته على البراءة - ولإثبات ذلك بأشحاب الرسالات ، إلى انتظار النجاة من الطوفان بركرוב السفينة . ليس لديه عصا سحرية ، ولا قوة ساعد موسى ، ففيقتل وبغيره . إنه ينشد الراحة فى اليقين ، واليقين هارب . مشاهد الرواية كتبها سعد القرشى بذقة وشاعرية وإحكام والشخصيات م رسومة بحدق .

تواصل

ما أصعب ساعات العمل في هذا الجو القاتل ، لكنها الغربة لكم قارنت بين هذا الجو القاري وبين النعيم الذي نحيا فيه بمصر جذبتي الذاكرة إلى أيام قاسية كلما طافت بخيالي اعتصمتى الألم وشعرت بالمرارة.

فإن أقسى اللحظات التي تمر بالإنسان هي المرض وإن كانت قصيرة فما أضعف تلك النفس عندما تلقى فوق الفراش تنازع وهن الأقسام بلا حول ولا قوة وما أشدتها عندما تصمّب وحيداً بلا صديق يخفّ عنك وما هون الماء وأهون الحياة في نظره عندما يعيش هذه اللحظات في بلد آخر ، يصارع الأمراض وحيداً ، يحاول في يأس أن يتحمل ويصبر.

إنها تجربة قاسية مررت بها ستة أيام لا تستطيع التحرك من الفراش حتى لحضور كوب ماء.

الجميع يخرجن للعمل وتظل نفسى تقتنى وتهوى وتسائى دوماً : لماذا جئت إلى هنا ؟ هل يوجد شئ يستحق ؟

أى مثال هذا يعرض المرء عن لحظة واحدة يعيشها بذلك الشعور القاتل فلكم شدّنى العذاب في هذه التجربة إلى تقبيل « تراب مصر » وملء صدرى من هوانها وشربة ماء من نيلها هي نواهى الآن

وكم سالت نفسى هل يوجد هذا العذاب والتراب بين المرء وأى أرض يعيش وسط خيراتها ويشرب من مائها ويمشي فوق ترابها لا أعتقد ذلك فمصر تنفرد بهذه العلاقة الروحية فائتاتها وحدهم دائماً يشدّهم الوجه والعذاب إلى ترابها ومامتها هما قست عليهم.

أتفت على صوت صاحبى وهو لا يزال متاثراً ببرودة الجو قائلاً كيف يمكن أن نؤدى أعمالنا في هذا الجو .

ابتسمت له ، وأسرعت الخطى حتى لاتتأخر.

* الصديق وليد ، نشكرك على التواصل مع المجلة ، ونأمل أن تكشف من القراءة في الفن الشخصى ، كى لا تكون قصتك نصفها قصة والنصف الثاني مقال.

للحلم .. أغنية

شعر / أشرف أبو الحمد
الخطيب
جرجا

تنابع الليل
وراح يحط على عينيها حلاماً وردياً
ويدي تزحف فوق الترجمس والياسمين
تنفس بدايات الوقت النهزم في كفيها ..
أحلق خلف سراب بليل بالنشوة ..
ثم .. أرتمنى في فراغ عينيها ..
أسب صديقاً لي كان يخبرني كل مساء
كيف يضاجع أغنية عاهرة مثلها ..
فأيقن أن قصيدي صارت حبلى
بمفردة جديدة ..
وحتى تكتمل أندعوها ..
لتتمر من بين شفتيها لحنى ..
لا تتقصى الخبر المناسب على ناصبي
ولون الفجر .. وبعض الشعر ..
وصوت أمي ..
حين تهز المصباح في أوردي ..
(أيها النمسان قم)
قد أوشك عمرك أن ينقضى ..
فيما بدأنت ... ١٩٩٩ ..

حسنين

وليد السيد زكي

قال لي صاحبى متاثراً ببرد الشتاء
إبنى لم أر يوماً أصعب من هذا ولا أ-meterاً
أشعر من هذه تذكرت أول يوم استقبلتني فيه
محافظة المفرق - بالأردن - عدت بذاكرتى
كان الجو شديد البرودة والثrog تسارع
سقوطاً من السماء لترصاص فوق الأرض تصمّب
لوحة بيضاء متناسقة مع ذرقة السماء وإشجار
الزيتون الخضراء
ويوسط هذا الجو خرجنا للعمل

من هو المثقف؟

على عوض الله كرار

أنت .. أنت أنت أنها المثقف .. من كم قردة مطبوعة (وجهاً لظهر) صنعت .. ألف .. عشرة آلاف .. مئة ألف .. مئات الآلاف .. ملايين ..

هل تعرف أن من بعض الأشياء التي كانت تدخل في صناعة الورق هي مما كان يلقيه فقراء الأحياء الشعبية على أرصنة الطرق ..
إن كنت لا تذكر .. أذكرك :
ملابسهم المتهزة ...

وخيشة خسل ويدعك أرضيات غرفهم الضيقة ..
ملحوظة : لأول مرة يداهمنى ظن من قوته ظنته حقيقة :
أغنية (كداد ياخيشة) لشعبان عبد الرحيم وراعها فلسفة عميقه ..
ولم لا ؟ .. وشعبان أمضى سنوات تكوينه وتلوينه في أعماق الطبقات الاجتماعية تحت خط (إنساني)
خالص

* *

اكتشاف علمي غير معترف به :
أعظم فلاسفة المصريين هم (الناجون من المناهج التعليمية والإعلامية والثقافية) ، التاركون أنفسهم في أحضان الروح الأخذة بهم إلى المسارب الخفية في دنيانا ، حيث تتراهى لهم المخبومات المخبوزات بعنصر الزمن ، مجموعات تستنطقهم برకاكتة عجيبة حتى لايطمع في منتجهم الواليد أى واحد من طوال أو قصار المثقفين الرسميين وشبيه الرسميين ..

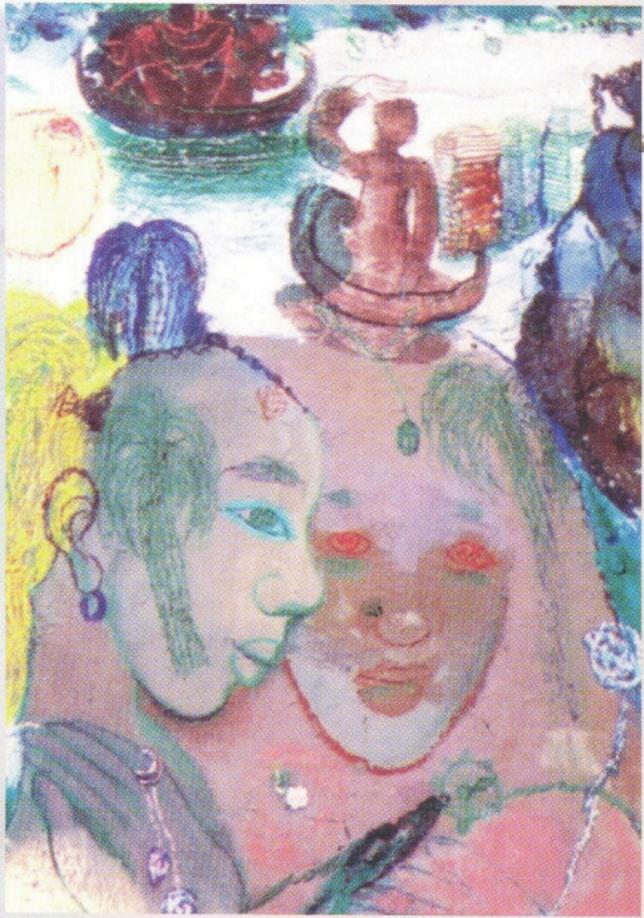
تماماً مثلما كانت تفعل الأم الريفية :
تدفع وجه ابنها الجميل ذا العينين الخضراوين بقليل من الطين أو سناج قرن الخبيز أو تركه على حالة الذي صحا عليه من نومه .. وتتداري باسم غريب لامعنى له حتى تبعد عنه شرر العيون ..



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com رابط بديل



«الثمن: جنیهان»

رقم الایداع ٩٢ / ٧٥١٢

الأمل للطباعة والنشر